The Islamic Universityof Gaza
Deanship of Research and Graduate Studies
Faculty of Ossoule Ed- deen
Master Interprelation and Scienes of Quran

الجامعـــــــة الإســـــلاميــة بغــزة
عمادة البحث العلمي والدراسات العليا
كـليـــــــــــــــة أصــــول الديـــن
ماجستير التفسير وعلـــوم القـــرآن

التوجيهات التربوية وأساليبها المستنبطة من سورة الأنفال

{دراسة موضوعية تطبيقية}

Educational guidance and methods derived from

Surat Al-Anfal

{An Applied Objective study}

إِعدَادُ البَاحِثِ

ناهض محمد علي رزق انطيز

إِشرَافُ

الأستاذ الدُكتُور: زكريا إبراهيم صالح الزميلي

قدمت هذه البحث استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في قسم التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية – غزة

نوفمبر/ 2020م – ربيع الثاني/ 1442هـ

إقــــــرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

التوجيهات التربوية وأساليبها المستنبطة من سورة الأنفال

{دراسة موضوعية تطبيقية}

Educational guidance and methods derived from Surat Al-Anfal

{An Applied Objective study}

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل الآخرين لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

I understand the nature of plagiarism, and I am aware of the University's policy on this.

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted by others elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name:	ناهض محمد على انطيز	اسم الطالب:
Signature:		التوقيع:
Date:		التأريخ:





الجامعة الإسلامية بغزة
The Islamic University of Gaza
عمادة البحث العلمي والدراسات العليا
هاتف داخلي: 1150

الرقم ج س غ/35/ Ref

التاريخ 2020/11/08م Date

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة عمادة البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحث/ **ناهض محمد علي رزق انطيز** لنيل درجة الماجستير في كلية **أصول الدين**/ برنامج **التفسير وعلوم القرآن** وموضوعها:

التوجيهات التربوية وأساليبها المستنبطة من سورة الأنفال
{دراسة موضوعية تطبيقية}

Educational Guidance and Methods Derived from Surat Al-Anfal
{An Applied Objective Study}

وبعد المناقشة التي تمت اليوم **الاحد 22 ربيع الأول 1442**هـ الموافق **2020/11/08**م الساعة **الثانية عشرة** مساءً، في **قاعة اجتماعات كلية أصول الدين** اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

أ. د. زكريا ابراهيم الزميلي	**مشرفاً ورئيساً**	....
د. زهدي محمد أبو نعمة	**مناقشاً داخلياً**	....
د. نمر محمد أبو عون	**مناقشاً خارجياً**	....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحث درجة الماجستير في **كلية أصول الدين/برنامج التفسير وعلوم القرآن.**

واللجنة إذ تمنحه هذه الدرجة فإنها توصيه بتقوى الله تعالى ولزوم طاعته وأن يسخر علمه في خدمة دينه ووطنه.

والله ولي التوفيق،،،

عميد البحث العلمي والدراسات العليا

أ. د. بسام هاشم السقا

P.O. Box 108, Rimal, Gaza, Palestine Tel: + 970 (8) 264 4400 هاتف Fax: + 970 (8) 264 4800 فاكس ص.ب. 108 الرمال. غزة. فلسطين
public@iugaza.edu.ps www.iugaza.edu.ps

ملخص الرسالة باللغة العربية

هدف الدراسة: استنباط أهم التوجيهات والأساليب التربوية في سورة الأنفال، وربطها بالواقع، للوصول إلى طرق وقائية، وعلاجية واقعية، من خلال فهم النص القرآني ومآلاته.

منهج الدراسة: اعتماد المنهج الاستنباطي التحليلي، حسب منهجية التفسير الموضوعي.

اشتملت هذه الرسالة على تمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة؛ فالفصل الأول بعنوان: توجيهات تربوية عقدية وإيمانية، والفصل الثاني: توجيهات تربوية تعبدية ودعوية واخلاقية، والفصل الثالث: توجيهات تربوية نفسية وجهادية وسياسية، وجعلت الأساليب في نهاية كل فصل في مبحث مستقل.

أهم النتائج:

1- المسلمون ملة واحدة، إذا لم يتوحدوا، توحدت عليهم ملة الكفر المتعددة، لهدم الإسلام.
2- لا يمكن أن تتم المصالحة الحقيقية بين الجماعات والأحزاب وأمة الإسلام؛ إلا إذا تآلفت قلوبهم بالمحبة والألفة والمودة، وإلا كانت المصالح الدنيوية هي التي تجمعهم.
3- ليس كل نزاع وخلاف شرًا؛ فخلاف الصحابة كانت له نتائج تربوية.
4- حياة المرء بالعلم من إنارة العقول بالاعتقاد الصحيح، والخلق الكريم، والدلالة على أن صلاح الفرد، أصل لصلاح الأسرة، وبهما معا يصلح المجتمع.

أهم التوصيات:

1- اعتماد القرآن الكريم منهجًا للحياة ابتداءً بالعقيدة والعبادة وانتهاءً بخلافة إسلامية، لذلك لا بد من فهم القرآن فهمًا تامًا.
2- محاولات استغلال الطاقات البشرية من خلال الكتابة والشعر والأناشيد، وإصدار الأفلام الوثائقية والتاريخية، وإنشاء كل وسيلة تربوية ترفع معنويات الأمة، وتحيي قضاياها العامة، وتدفع عدوها عن بلادها.
3- السبيل إلى تحرير الأقصى وأمة الإسلام: هو بالتعبئة الإيمانية والجهادية والعقلية والنفسية والمالية والإعلامية والعلمية والعسكرية.
4- الاهتمام والتأليف والبحث عن التوجيهات التربوية وأساليبها في القرآن كله، والعمل على نشرها لطلبة العلم.

Abstract

This study aimed to arrive, at the most important educational directives and techniques in Surat Al-Anfal, and to link them to reality, in order to reach realistic preventive and remedial methods, through understanding the Quranic text and its implications. The researcher adopted the deductive analytical method, according to the methodology of objective interpretation.

This study included a preface, three chapters, and a conclusion. The first chapter is entitled 'educational, doctrinal and faith directives', and the second chapter had the title 'educational, devotional, advocacy and moral directives', and the third chapter is entitled 'educational, psychological, jihadi and political directives'. The methods in each chapter were discussed in a separate section.

The study's main results are as follows:

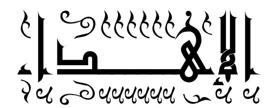
1- Muslims are one religious community, and if they are not united, then the multifarious community of disbelievers will unite over them to destroy Islam.
2- True reconciliation cannot take place between groups, parties and the Islamic nation unless their hearts are connected with love, care and compassion, otherwise worldly interests are what bring them together.
3- Not every dispute or disagreement is evil. The disagreement among the Companions had psychological and educational results.

4- A person's life with knowledge and enlightenment comes through sound belief and good manners, and that proof of the righteousness of the individual is the basis of the goodness of the family, and together they form a good society.

The researcher made the following important recommendations:

1- Paying attention to, writing about, and researching educational directives and techniques in the entire Holy Quran, and working on disseminating them for students of knowledge in order for them to teach to all people.
2- The way to liberate Al-Aqsa and the Muslim nation is through faith, jihad, mental, psychological, financial, media and physical mobilization by training on all weapons, and by confronting the collaborators with enemies who imprison virtue and liberate vice.
3- The necessity of educational and moral guidance through writing, poetry, and jihadist chants, issuing documentary and historical films, and creating every educational means that raises the nation's morale, revives its public causes and fends off its enemy.

بسم الله الرحمن الرحيم



إلى الرسول الأعظم، والنبي الأكرم، وإلى أمة الإسلام التي ينبض قلبي بحبها، ويحترق شوقًا إلى نصرها وعزها

إلى والديَّ مهجة قلبي: اللذيْن غمراني بحبهما، وذلَّلا لي الصعاب، وهيئا لي الأسباب؛ فآثراني على أنفسهم من أجل سعادتي، وما زالا يَدعوْن لي بالتوفيق والسداد، حتى ظهر أثر بركة دعائهما في كل كلمة كتبتها، وخطوة خطوتها؛ فالله يرعاهما ويحفظهما ويتولاهما، ويعينني على برهما.

إلى زوجتي الحبيبة: رفيقة دربي، التي تجشَّمت معي الصَّعاب، وتحملت المشاق، وقاسمتني نَصبَ الحياة وراحتها، وضَيِّقها قبل سعتِها، وكدَّها وتعبها، قبل هنائهِا وسعادتها.

إلى أبنائي الشجعان الكرماء: بلال وحذيفة وعبد الله، وبناتي المؤنسات الغاليات: رغد ومريم وجنى، مُنى حياتي أن يقودوا الأمة إلى برِّ الأمان؛ فلهم مني الشكر الموصول بالدعاء، وأن يجعلهم من الصالحين الذين تقرُّ بهم عيني في الدنيا والآخرة.

إلى إخوتي: سندي وعضدي، وأخواتي: الراقيات الغاليات، وعائلتي وأصهاري وذراريهم، الذين أعانوني بدعواتهم الصادقة؛ فأشرقت لمساتهم على رسالتي.

ففيكم وبكم يا والدي، تقدمت لنيل الشهادات والدرجات والسعي للارتقاء، حتى أكون ابنًا بارا تسعدان بما تتأملان من ابنكم، وزوجا معينا في السراء والضراء، ولأكون أبا صالحا يقتدي به، وأخا سندًّا في العسر واليسر.

وإلى طلبة العلم: حُراسِ حدود التوحيد، الذين ينفون عن دين الله تأويل الجاهلين، وانتحال المبطلين، وتحريف الغالين.

وإلى الأسرى المستضعفين: فما تفطر قلبي وما بكت عيني إلا لحالكم، وتطلعي إلى تحريركم.

وإلى المجاهدين بأموالهم وأنفسهم: ليوث الوغى، النافرين في سبيل الله تعالى.

وإلى من بدمائهم بلغوا الرضا فنالوا المُنى.

وإلى القابضين على الجمر: نصرة لأنفسهم ودينهم في زمن الغربة.

شكر وتقدير

الشكر أولا لله من قبل ومن بعد، شكرا يوافي نعمه، ويكافئ مزيده، هو الذي هداني لهذا وما كنت لأهتدي لولا أن هداني، وأسأله تعالى كمال الإيمان، والشهادة في سبيله مقبلا غير مدبرٍ لنيل جنة الرضوان.

ولو أن لي في كل منبت شعرة * لسانًا يُطيلُ الشكر كنت مقصرًا**[1]

قال الله تعالى في كتابة العزيز: ﴿**لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ**﴾ [إبراهيم: 7]؛ فإني أتقدم بالشكر والامتنان بعد الله، **للأستاذ الدكتور: زكريا إبراهيم صالح الزميلي،** حفظه الله ورعاه، الذي حباني بحبه، وقربني منه، فاسدى لي ونصح، وأفادني ونفع بأفكاره القيمة النيّرة.

وأشكر عضوْي لجنة المناقشة لقبولهما مناقشة الرسالة، والذي لا شك أنني سأستفيد كثيرًا من توجيهاتهما السديدة وهما:

فضيلة الدكتور/ **زهدي محمد مطر أبو نعمة،** حفظه الله ورعاه.

فضيلة الدكتور/ **نمر محمد مصطفى أبو عون،** حفظه الله ورعاه.

كما أتقدم بالشكر الموصول إلى الجامعة الإسلامية رائدة الصحوة الإسلامية في فلسطين، وإلى "كلية أصول الدين"، "وكلية الدعوة الإسلامية المعاصرة"؛ بكلية المجتمع للعلوم المهنية والتطبيقية – بغزة، ولأساتذتها الكرام؛ الذين نهلت من علمهم.

كما وأشكر زميلي وصاحبي وشيخي فضيلة الدكتور/ "**بسام بن خليل الصفدي**"، الذي نهلت من خلقه وعلمه؛ فغمرني بحبه ووده، فنصح وأفاد؛ فجزاه الله عني خير الجزاء.

وأشكر إخواني في مسجد الحرمين/ الذين غمروني بمحبتهم، وأخوَّتهم الصَّادقة.

وأشكر كل من بادلني المحبة والأخوة؛ فكانوا نعم الإخوه، ونعم السند، ونعم الصحبة، وكل من أسدى لي نصحًا، أو منحني علمًا، أو قدم لي عونًا، أو دعا لي بخيرٍ، أو تصدق عليَّ بكلمة طيبة، وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم: وأخص بالذكر: د/ **كامل سعيد شهوان**

وفي الختام: **اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَرِزْقًا طَيِّبًا، وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا**

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

(1) ديوان المعاني، أبو هلال العسكري (1/ 127).

فهرس المحتويات

المقدمة

الحمد لله مُعز الإسلام بنصره، ومذل الشرك بقهره، ومصرف الأمور بأمره، ومديم النعم بشكره، ومستدرج الكافرين بمكره، الذي قدر الأيام دولا بعدله، وجعل العاقبة للمتقين بفضله، وأفاء على عباده من ظله، وأظهر دينه على الدين كله، القاهر فوق عباده فلا يمانع، والظاهر على خليقته فلا يُنازع، والآمر بما يشاء فلا يُراجع، والحاكم بما يريد فلا يُدافع.

أحمده على إظفاره وإظهاره وإعزازه لأوليائه، ونصره لأنصاره، وتطهيره بيته المقدس من أدناس الشرك وأوضاره(1)، حمد من استشعر الحمد باطن سره وظاهر جهاره(2).

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنَّ محمدًا ﷺ عبدُه ورسولُه، وعلى آله وصحابته والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإنَّ كتاب الله تعالى كتاب هداية ورشاد، به يهتدي المهتدي في ظلمات الليل البهيم، فيرى الحق نورا، أمام ظلمات الباطل، ولقد جاءت سورة الأنفال لتبين للأمة جمعاء طريق النصر، الذي يشق من بين طرق وأزقة الباطل، لبناء لبنة الإسلام الأولى، ليس بعتاد أو عدة، إنما كان النصر بيد الله، يوم أن نصروا دين الله، في صدورهم وجوارحهم، فتحقق قوله تعالى: **﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: 249]**، فأراد الله من عباده، أن ينصروا دينه، لينصرهم بالدين على ملمات وشهوات الدنيا، ليخرج لنا جيل النصر، بعز عزيز يعز به أولياءه أو بذل ذليل يذل به أعدائه لقوله تعالى: **﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: 7]**، فجاءت سور القرآن الحكيم، منها سورة الأنفال، لتبين سبيل الحق والرشاد، لتحقيق نصرة دين الله في أرضه، موضحًا في دراستي، التوجيهات التربوية وأساليبها، من جوانب الحياة كلها:

كالجوانب العقدية والإيمانية، والتعبدية والدعوية والأخلاقية، والنفسية والجهادية والسياسية، بعنوان:

---

(1) أوضار: جمع وضر، وهو وسخ الدسم واللبن، وقيل الخبيث، انظر: تهذيب اللغة، الأزهري (12/ 42)، تاج العروس، الزبيدي (14/ 364).

(2) انظر: البداية والنهاية، ابن كثير (12/326).

(التوجيهات التربوية وأساليبها المستنبطة من سورة الأنفال – دراسة موضوعية تطبيقية).

أولًا: أهمية اختيار الموضوع:

1- لأنه كتاب الله، المعجز ببيانه، الهادي إلى سبيل الرشاد، به نهتدي، لنرسم واقعنا من خلال فهمه وتدبر آياته.
2- استنباط أهم التوجيهات والأساليب التربوية في سورة الأنفال، وربطها بالواقع.
3- التأكيد على أهمية التربية القرآنية في بناء الفرد والأسرة والمجتمع.
4- تربية الجيل المسلم على القرآن والسنة في إعداد القيادة الإسلامية.

ثانيًا: أسباب اختيار الموضوع:

1- دراسة القرآن من ناحية تربوية، ترقى بالفرد إلى معالى الفهم الصحيح.
2- التدبر والفهم الدقيق للقرآن الكريم، ليقود الفرد إلى الارتقاء بالجوانب التربوية.
3- بيان ألوان الماكرين، وأحوال المنافقين، كما صورها القرآن الكريم.
4- بيان معية الله وإغاثة عباده المؤمنين، وقت الملمات.
5- حب الجهاد والمجاهدين وشوقي إلى تحرير الأقصى وأرض فلسطين والعالم أجمع.

ثالثًا: أهداف البحث وغاياته:

1- الوقوف على الجوانب التربوية، التي يحتاجها كل عامل في مجال العلم والدعوة والجهاد.
2- يفيدنا هذا البحث في وضع، مخطط تربوي للمربين، للرقي إلى طريق الهداية والتحرير.
3- الوصول إلى طرق وقائية وعلاجية واقعية، من خلال فهم النص القرآني ومآلاته.
4- توجيه الجهود والطاقات الفكرية، إلى الاشتغال بالموضوعات التربوية القرآنية، لسد حاجة المكتبة الإسلامية لمثل تلك الموضوعات.

رابعًا: الدراسات السابقة:

اطلعت على كتب ومقالات ورسائل علمية، فوجدت أصحابها قد اهتموا، بالتفسير التحليلي والموضوعي، وقد اهتم بعض الباحثين بموضوع واحد من بين مواضيع السورة، منها:

1- رسالة ماجستير بعنوان: **(التربية الجهادية في الإسلام من خلال سورة الأنفال)**، للباحث: أحمد تالي إدريس، إشراف د/ عنتر لطفي محمد. سنة الحصول: 1989 – 1410، كلية التربية، جامعة أم القرى مكة، السعودية.

2- رسالة دكتوراه بعنوان: **(سنن النصر في ضوء سورة الأنفال وكيف ربى- الرسول ﷺ- أصحابه عليها)**، للباحثة: جميلة أحمد محمود صقر، إشراف أ. د/ محجوب أحمد طه، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية السودان، 1423هـ – 2002م.

لكني وجدت سورًا كثيرةً غير السورة، تناولها الباحثون من خلال رسائل علمية منها:

1- رسالة ماجستير بعنوان: **(المضامين التربوية المستنبطة من سورة الفتح وآثارها)**، للباحث: ياسر أبو هلال، إشراف د/ إبراهيم عيسى صيدم، الجامعة الإسلامية- غزة، كلية أصول الدين، سنة الحصول: 2018م – 1400هـ.

2- رسالة ماجستير بعنوان: **(المضامين التربوية المستنبطة من سورة محمد وآثارها)**، للباحث: أسامة عوني شعبان المقيد، إشراف: د/ وليد محمد حسن العامودي، الجامعة الإسلامية- غزة، كلية أصول الدين، سنة الحصول: 2018م – 1400هـ.

3- رسالة ماجستير بعنوان: **(التوجيهات التربوية وأساليبها المستنبطة من سورة الممتحنة)**، للباحث: محمد ناصر عبد القادر مصطفى، إشراف أ. د/ عبد السلام حمدان عودة اللوح، الجامعة الإسلامية – غزة، كلية أصول الدين، 1441هـ – 2019م.

4- رسالة ماجستير بعنوان: **(التوجيهات التربوية وأساليبها المستنبطة من سورة محمد)**، للباحث: جهاد زياد محمد أبو نعمة، إشراف: د/ زهدي محمد أبو نعمة، الجامعة الإسلامية – غزة، كلية أصول الدين، 1441هـ – 2019م.

وقد تناولت في دراستي التوجيهات التربوية من خلال سورة الأنفال، وهي سلسلة أبحاث قامت بها الجامعة الإسلامية بغزة، وقد قسمتها إلى الجوانب العقدية والإيمانية، والتعبدية والدعوية والأخلاقية، والجهادية والنفسية والسياسية، محاولًا تطبيقها على الواقع المعاصر في دراسة كل فصل أو مبحث أو مطلب، ليسهل الاستفادة من الموضوع، متجنبًا الإطالة، ثم ختمت كل فصل بمبحث، مبينا فيه الأساليب التي جاءت بها التوجيهات التربوية في السورة كلها.

خامسًا: منهج الدراسة:

1- دراسة النص القرآني لسورة الأنفال.
2- اعتماد المنهج التحليلي والموضوعي والاستنباطي.
3- توثيق الآيات القرآنية المذكورة، وذلك بذكر اسم السورة، ورقم الآية، في متن البحث، متجنبًا إثقال الحواشي.
4- الاعتماد على آيات السورة، وتوزيعها على فصول البحث، مع التوسع بما يخدم البحث.
5- وضع العناوين المناسبة للفصول والمباحث والمطالب.
6- تفسير بعض الآيات تفسيرًا إجماليًا، والوقوف على هداياتها وفوائدها.
7- الاستشهاد بالأحاديث والآثار التي تخدم موضوع البحث وتخريجها، فإن كان في الصحيحين أو أحدهما، اكتفيت، وإلا فإنني أخرجه من مظانه، مع ذكر حكم العلماء عليه إن وجد.
8- الاستدلال بأقوال العلماء والمفكرين، وأصحاب الشأن ذوي العلاقة بموضوع البحث، مع التوثيق في الحاشية حسب الأصول، والاستعانة بمصادر ومراجع عامة تخدم موضوع البحث.
9- ربط النص بالواقع في المواضع المناسبة.
10- الترجمة للأعلام المغمورة التي ترد في البحث.
11- ذكر سنة الوفاة للأعلام الواردة ذكرهم في الرسالة، ومن كان مختلفًا في وفاته لا أذكره.
12- تفصيل التوجهات التربوية المستفادة من هذه السورة، مع الحرص على جمع أطراف هذا الموضوع.
13- وضع التوجيهات التربوية المستفادة من الآيات في نهاية كل مطلب على شكل نقاط.
14- العناية بتوثيق كل المعلومات التي تحتويها الرسالة على حسب الأصول المتبعة في مناهج البحث.
15- تعريف المصطلحات وإيضاح كل المفردات الغريبة أو الغامضة إذا وجدت.
16- الخاتمة وذكرتُ فيها النتائج والتوصيات، ثم ختمتُ البحث، بعمل الفهارس اللازمة في نهاية هذه الرسالة.

سادسًا: خطة البحث:

تمهيد

أولًا: تعريف المصطلحات الواردة في عنوان البحث.

وفيه ستة مطالب.

المطلب الأول: تعريف التوجيهات التربوية.

المطلب الثاني: تعريف الأساليب التربوية.

المطلب الثالث: تعريف الأنفال ومرادفاتها.

المطلب الرابع: بين يدي سورة الأنفال.

أولًا: تعريف عام بالسورة.

1-أسماء السورة.

2- وعدد آياتها.

3- وترتيبها في المصحف.

ثانيًا: سبب نزول السورة وزمانها ومكانها.

ثالثًا: فضل سورة الأنفال.

المطلب الخامس: أهداف ومقاصد السورة الرئيسة.

المطلب السادس: مناسبات تتعلق بالسورة وموضوعاتها.

أولًا: المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها وبين الآيات.

ثانيًا: المناسبة بينها وبين السابقة لها (الأعراف).

ثالثًا: المناسبة بينها وبين التي بعدها (التوبة).

الفصل الأول

توجيهات تربوية عقدية وإيمانية

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التربية العقدية.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الموالاة والمعاداة وبيان أثرها على المؤمنين.

المطلب الثاني: الأمر بطاعة الله ورسوله والنهى عن مشاقتهما.

المطلب الثالث: التسليم للإرادة الإلهية وأثرها على المؤمنين.

المبحث الثاني: التربية الإيمانية.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الذكر وأثره في زيادة ونقص الإيمان.

المطلب الثاني: التعبئة الإيمانية قبل التعبئة الجهادية.

المطلب الثالث: التربية على أركان الإيمان.

المبحث الثالث: الأساليب الواردة في التوجيهات التربوية المنثورة في هذا الفصل

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أسلوب الترغيب والترهيب.

المطلب الثاني: أسلوب النداء.

الفصل الثاني

توجيهات تربوية تعبدية ودعوية واخلاقية

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: توجيهات تربوية تعبدية.

وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: أهمية الصلاة في زمن البلاء والابتلاء.

المطلب الثاني: التربية على الإنفاق في سبيل الله.

المطلب الثالث: الأمر بالتوبة والاستغفار.

المطلب الرابع: الأمر بالتوكل على الله والأخذ بالأسباب.

المطلب الخامس: الأمر بالتقوى وبيان ثمراتها.

المطلب السادس: الأمر بالصبر في مواجهة النوازل.

المطلب السابع: دعوة العباد للدعاء.

المبحث الثاني: توجيهات تربوية دعوية.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أهمية تغير النفس والواقع.

المطلب الثاني: الدعوة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المطلب الثالث: خطورة الفتنة على المسلمين.

المبحث الثالث: توجيهات تربوية أخلاقية.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: أهمية الإصلاح بين الناس.

المطلب الثاني: الأمر بصلة الأرحام.

المطلب الثالث: الأمر بوفاء العهد وعدم الخيانة.

المطلب الرابع: قبول الحق وعدم المجادلة.

المبحث الرابع: الأساليب الواردة في التوجيهات التربوية المنثورة في هذا الفصل

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أسلوب ضرب المثل.

المطلب الثاني: أسلوب النهي.

الفصل الثالث

توجيهات تربوية نفسية وجهادية وسياسية

وتشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: توجيهات تربوية نفسية.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: أهمية الحالة النفسية للمؤمنين في الثبات.

المطلب الثاني: بيان عمل الشيطان في نفوس الكافرين عند الحرب.

المطلب الثالث: حال المنافقين وضعفة الإيمان في الحرب.

المطلب الرابع: الرعب وأثره على النفس البشرية.

المطلب الخامس: أهمية استخدام الحرب النفسية في مواجهة الأعداء.

المبحث الثاني: توجيهات تربوية جهادية.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: التحريض على الجهاد في سبيل الله.

المطلب الثاني: التربية الجهادية للأمم والفرد.

المطلب الثالث: الأمر بالإعداد للجهاد.

المطلب الرابع: حكم التولي يوم الزحف.

المبحث الثالث: توجيهات تربوية سياسية.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: علاقة المسلمين بغيرهم في السلم والحرب.

المطلب الثاني: أحكام الأسرى في الإسلام.

المطلب الثالث: ألوان مكر المشركين.

المبحث الرابع: الأساليب الواردة في التوجيهات التربوية المنثورة في هذا الفصل

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أسلوب الجدل.

المطلب الثاني: أسلوب الأمر.

الخاتمة، وتتضمن: أهم النتائج والتوصيات التي توصل إليها الباحث.

الفهارس، وتتضمن:

1_ فهرس الآيات القرآنية.

2_ فهرس الأحاديث النبوية.

3_ فهرس الأعلام والتراجم.

4_ فهرس المصادر والمراجع.

5_ فهرس الموضوعات، (ويكون في أول الدراسة حسب خطة البحث العلمي الجديدة).

تمهيد

تعريف المصطلحات الواردة في عنوان البح

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: تعريف التوجيهات التربوية

المطلب الثاني: تعريف الأساليب التربوية

المطلب الثالث: تعريف الأنفال ومرادفاتها

المطلب الرابع: بين يدي سورة الأنفال

المطلب الخامس: أهداف ومقاصد السورة الرئيسة

المطلب السادس: مناسبات تتعلق بالسورة وموضوعاتها

تمهيد: تعريف المصطلحات الواردة في عنوان البحث

وفيه ستة مطالب.

المطلب الأول: تعريف التوجيهات التربوية.

التوجيهات لغة: من الوجه، "والوجه: معروفٌ، والجمع الوجوه"[(1)]، وحكى الفراء[(2)] (ت: 207): "حي الوجوه وحي الأجوه"[(3)]، لقوله تعالى: ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا**﴾ [الروم: 30]، أي: "اتبع الدين القيم"[(4)]، وقال أبو الدرداء (ت: 32)، "لا تفقه حتى ترى للقرآن وجوهًا"[(5)]: أي: ترى له معاني يحتملها فتهاب الإقدام عليه، ووجه الكلام: السبيل الذي تقصده به[(6)]، وقال اللحياني[(7)]: (ت: 220) "وقد تكون الأوجه للكثير"[(8)]، والوجه: "النوع والقسم، يقال: الكلام فيه على وجوهٍ، وعلى أربعة أوجهٍ، ووجوه القرآن: معانيه"[(9)]، ويقال: "خرج القوم فوجهوا للناس الطريق توجيهًا إذا وطئوه وسلكوه حتى استبان أثر الطريق لمن يسلكه"[(10)].

التوجيهات اصطلاحا: "الإرشادات والوصايا والدلالات التربوية التي يتوصل إليها، وذلك بعد الرجوع إلى كتب التفسير"[(11)].

---

(1) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري (6/ 2254).

(2) يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلميّ، أبوزكرياء، المعروف بالفراء: إمام الكوفيين، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب. كان يقال: الفراء أمير المؤمنين في النحو. ومن كلام ثعلب: لولا الفراء ما كانت اللغة. ولد بالكوفة، (144 - 207 هـ = 761 - 822 م) وانتقل إلى بغداد، وعهد إليه المأمون بتربية ابينه، فكان أكثر مقامه بها، واشتهر بالفرّاء، ولم يعمل في صناعة الفراء، فقيل: لأنه كان يفري الكلام. ولما مات وجد " كتاب سيبويه " تحت رأسه، فقيل: إنه كان يتتبع خطأه ويتعمد مخالفته، انظر: الأعلام، الزركلي (8/ 145).

(3) إصلاح المنطق، ابن السكيت (ص: 122).

(4) معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (4/ 184).

(5) تاريخ دمشق، ابن عساكر (47/ 173).

(6) لسان العرب، ابن منظور(13/ 556).

(7)عليّ بن المبارك -وقيل ابن حازم- أَبو الحسن اللحياني، النحوي، اللغوي: من مشايخه: الكسائي، وأَبو زيد، وأَبو عمرو الشيباني وغيرهم، ومن تلامذته: القاسم بن سلام وغيره، وكانت وفاته: (189هـ)، وقيل (210هـ)، انظر: الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة (2/ 1643).

(8) المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسى (4/ 396).

(9) تاج العروس، الزبيدي (36/ 543).

(10) تهذيب اللغة، الأزهري (6/ 187).

(11) التوجيهات التربوية المتضمنة في سورة المجادلة، سعيد بن موسى العمري (ص: 8).

التربية لغة: "ربا الشيء زاد، وقولك أربيت إذا أخذت أكثر مما أعطيت، ورباه تربيةً وترباه، أي: غذاه، وهذا لكل ما ينمي كالولد والزرع ونحوه"[1]، وربى يربي، رب، تربيةً، فهو مربٍ، والمفعول مربًى، وربى الأب ابنه: هذبه ونمى قواه الجسمية والعقلية والخلقية كي تبلغ كمالها، وربي الأجيال: المعلم، وربى الشخص المال: نماه[2].

التربية اصطلاحًا: "إنشاء الشيء حالا فحالا إلى حد التمام"[3]، وقيل: "تبليغ الشيء إلى كماله شيئا فشيئا"[4]، وقيل: "تنشئة الإنسان شيئًا فشيئا في جميع جوانبه وفق المنهج الإسلامي"[5]،

ويقصد الباحث بالتوجيهات التربوية: التعليمات الربانية والوصايا النبوية المستنبطة من سورة الأنفال؛ لبيان المعاني والمفاهيم العقدية والإيمانية والتعبدية والدعوية والأخلاقية والنفسية والجهادية والسياسية، المستنبطة من كتب التفسير وغيرها من الكتب التي تلبي حاجات الناس في هذا العصر.

المطلب الثاني: تعريف الأساليب التربوية.

أولًا: الأسلوب لغة: الأسلوب: "بضم الهمزة الطريق والفن، وهو على أسلوبٍ من أساليب القوم، أي: على طريق من طرقهم"[6]، والأسلوب: السطر من النخيل، أي: الطريق الممتد وتأخذ فيه: الوجه والمذهب والفن، يقال أساليب القول لفنونه[7]، والأسلوب: "الطريق والجمع أساليب، ويقال: أخذ فلان في أساليب من القول، أي: فنون منه، ويقال لعنق الأسد الأسلوب لأنها لا تتثنى"[8]، والأسلوب: "الشموخ أيضًا، يقال: أنف فلانٍ في أسلوبٍ، أي: في شموخٍ، أي: هو متكبر"[9]، والأساليب الحديثة للتربية: "المناهج والطرق العلمية"[10].

---

(1) مختار الصحاح، الرازي (ص: 117).

(2) معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عمر (2/ 852).

(3) التوقيف على مهمات التعاريف، عبد الرؤوف المناوي (ص: 95).

(4) الكليات، الكفوي (ص: 314).

(5) الآثار التربوية لدراسة اللغة العربية، خالد بن حامد الحازمي (ص: 502).

(6) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الحموي (1/ 284).

(7) انظر: معجم متن اللغة، أحمد رضا (3/ 185).

(8) جمهرة اللغة، محمد بن دريد الأزدي (1/ 341).

(9) التكملة والذيل والصلة، الصغاني (1/ 160).

(10) معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عمر (2/ 1089).

ثانيًا: الأسلوب اصطلاحا: "الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه واختيار ألفاظه"[1].

وقيل: "طريقة الإنشاء أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير"[2]، وقيل: "عرض ما يراد عرضه من معان وأفكار وقضايا في عبارات وجمل مختارة، لتناسب فكر المخاطبين وأحوالهم، وما يجب لكل مقام من المقال"[3].

ويقصد الباحث بالأساليب التربوية: طريقة الإنشاء؛ لتأليف الكلام واختيار المفردات؛ بقصد فن العرض والإيضاح والتأثير والإقناع؛ ليناسب المخاطب.

المطلب الثالث: تعريف الأنفال ومرادفاتها.

أولًا: الأنفال لغة: "فالنون والفاء واللام أصلٌ صحيحٌ يدل على عطاءٍ وإعطاءٍ، ومنه النافلة: عطية الطوع من حيث لا تجب، ومنه نافلة الصلاة، ومن الباب النفل: الغنم، والجمع أنفالٌ، وذلك أن الإمام ينفل المحاربين، أي: يعطيهم ما غنموه، يقال نفلتك: أعطيتك نفلًا"[4].

فالنفل والنافلة: "عطية التطوع من حيث لا تجب، ومنه نافلة الصلاة، والنافلة أيضًا: ولد الولد، وانتقل من الشيء، أي: انتفى منه وتنصل"[5]، ومنه قوله تعالى: **﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾** [الأنبياء: 72]، أي: "زيادةً على ما سأل، وسميت الغنائم أنفالًا لأن المسلمين فضلوا بها على سائر الأمم الذين لم تحل لهم الغنائم"[6]، وقال ابن عطية (ت: 542): "والنافلة في كلام العرب الزيادة على الواجب، وسميت الغنيمة نفلا لأنها زيادة على القيام بالجهاد وحماية الدين والدعاء إلى الله تعالى"[7].

---

(1) مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني (2/ 303).

(2) الأسلوب، أحمد الشايب (ص:44).

(3) المرأة المسلمة المعاصرة، د. أحمد محمد أبا بطين (ص: 523).

(4) مقاييس اللغة، ابن فارس (5/ 455).

(5) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري (5/ 1833).

(6) لسان العرب، ابن منظور (11/ 671).

(7) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (2/ 496).

ثانيًا: الأنفال شرعًا: هي ما آل من أموال الحربيين إلى المسلمين بقتال أو غير قتال[1]، **وقيل** "اسم لما شرع زيادة على الفرائض والواجبات[2]، وهو المسمى بالمندوب والمستحب والتطوع"[3].

وقال ابن جرير الطبري (ت: 310): "اختلف أهل التأويل في معنى الأنفال فقال بعضهم: هي الغنائم، وقال آخرون: هي أنفال السرايا، وقال آخرون: السلب الفرس، وقال آخرون: هي الخُمس الذي جعله الله لأهل الخُمس، ثم قال رحمه الله: "وأولى هذه الأقوال بالصواب في معنى الأنفال قول من قال: هي زيادات يزيدها الإمام لبعض الجيش أو جميعهم إما من سلبه على حقوقهم من القسمة، وإما مما وصل إليه بالنفل، أو ببعض أسبابه، ترغيبا له وتحريضا لمن معه من جيشه على ما فيه صلاحهم وصلاح المسلمين، أو صلاح أحد الفريقين، وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال بالصواب لأن النفل في كلام العرب إنما هو الزيادة على الشيء"[4].

ثالثًا: الفرق بين النفل، والغنيمة، والفيء:

- النفل: الزيادة، لأنها زيادة أحلت لهذه الأمة خاصة.

- الغنيمة: ما أخذ من أموال الكفار بقتال على وجه الغلبة والقهر.

- الفيء: هو ما أخذ من أموال الكفار بغير قتال قال تعالى: **﴿وَمَآ أَفَآءَ الله على رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلاَ رِكَابٍ﴾** [الحشر: 6][5].

---

(1) معجم المصطلحات المالية والاقتصادية في لغة الفقهاء، نزيه حماد (ص: 87).

(2) التعريفات، الجرجاني (ص: 245).

(3) كشف الأسرار شرح أصول البزدوي، عبد العزيز بن أحمد البخاري الحنفي (2/ 302).

(4) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (11/ 10).

(5) انظر: الفروق اللغوية، العسكري (ص: 170).

المطلب الرابع: بين يدي سورة الأنفال.

أولًا: أسماء السورة، وعدد آياتها، وترتيبها في المصحف.

1-أسماء سورة الأنفال:

أ- التسمية التوقيفية:

سورة الأنفال: اشتهرت في عهد النبي ﷺ باسم "الأنفال"، وذلك نسبة لحكم الأنفال التي ورد فيها، ولأن أول آية افتتحت بها في قوله تعالى: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ**﴾ [الأنفال: 1]، ولم يرد لفظ الأنفال في غيرها من سور القرآن الكريم.

فعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ (ت: 55)، قَالَ: (لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ قُتِلَ أَخِي عُمَيْرٌ ﷺ (ت: 2)، وَقَتَلْتُ سَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ، وَأَخَذْتُ سَيْفَهُ، وَكَانَ يُسَمَّى ذَا الْكَتِيفَةِ، فَأَتَيْتُ بِهِ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَالَ: **(اذْهَبْ فَاطْرَحْهُ فِي الْقَبَضِ)**، قَالَ: فَرَجَعْتُ وَبِي مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلا اللهُ مِنْ قَتْلِ أَخِي، وَأَخْذِ سَلَبِي، قَالَ: فَمَا جَاوَزْتُ إِلا يَسِيرًا حَتَّى نَزَلَتْ سُورَةُ الْأَنْفَالِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(اذْهَبْ فَخُذْ سَيْفَكَ)**(1)، فهذا الاسم الذي عرفت به السورة بين المسلمين، وفي المصاحف وكتب التفسير والحديث.

ب- التسمية الاجتهادية:

- **سورة بدر:** "لأن معظمها في ذكر حرب بدر، وما جرى فيها"(2).

ولما روي عن سعيد بن جبير(ت: 95)، قال: قلت لابن عباس ﷺ (ت: 68): (سورة التوبة، قال: التوبة هي الفاضحة، ما زالت تنزل، ومنهم حتى ظنوا أنها لن تبقي أحدا منهم إلا ذكر فيها، قال: قلت: سورة الأنفال، قال: نزلت في بدر، قال: قلت: سورة الحشر، قال: نزلت في بني النضير)(3).

---

(1) مسند الإمام أحمد بن حنبل، احمد، مسند العشرة المبشرين بالجنة، مسند أبي إسحاق سعد بن أبي وقاص (3/ 129)، رقم الحديث (1556)، وقال شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره، رجاله ثقات رجال الشيخين، غير أن فيه انقطاعًا، محمد بن عبيد الله الثقفي لم يدرك سعدًا.

(2) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروزآبادى (1/ 222).

(3) صحيح البخاري، البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب (6/ 147)، رقم الحديث (4882)، وصحيح مسلم، مسلم، كتاب التفسير، باب في سورة براءة والأنفال والحشر (4/ 2322)، رقم الحديث (31).

وقد ذكر السيوطي (ت: 911)[1]، الألوسي (ت: 1270)[2]، وابن عاشور (ت: 1393)[3]، بأن سورة الأنفال تسمى سورة بدر.

- **سورة الجهاد:** سماها البقاعي (ت: 885): "سورة الجهاد"[4]، نسبة للمسلمين الذين جاهدوا الكفار وكانوا المسلمون أقل عددًا، ولم يذكر سندا لروايته، كما ذكره الحافظ أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي (ت: 634)[5]، في كتابه: (الاكتفاء)[6]، وكذا شيخة الخطيب أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن حبيش (ت: 584)[7]، في كتابه الذي جمعه في الفتوح، قالا: "وقعة اليرموك من فتوح الشام، من حديث سيف بن عمر (ت: 180)[8]، قال: وكان القارئ يوم ذاك المقداد (ت: 33)[9]، قالوا: ومن السنة التي سن رسول الله ﷺ بعد بدر أن نقرأ (سورة الجهاد) عند اللقاء، وهي سورة الأنفال، ولم يزل الناس على ذلك، ايضا: قالا في وقعه القادسية من فتوح فارس، لما صلى سعد بن

(1) انظر: الإتقان في علوم القرآن (1/ 192).

(2) انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (9/ 163).

(3) انظر: التحرير والتنوير (9/ 245).

(4) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (8/ 215).

(5) **سُليمانُ بن موسى بن سَالم بن حَسّانَ الحِمْيَرِيُّ الكَلاعيُّ:** (565- 634هـ = 1170- 1237م)، الإمام، العلامة، الحافظ، المجود، الأديب البليغ، شيخ الحديث والبلاغة، وكان إماما في صناعة الحديث، يتقدم أهل زمانه في ذلك، وله تصانيف مفيدة في فنون عديدة؛ ألف كتاب (الاكتفاء في مغازي المصطفى والثلاثة الخلفاء)، وغير ذلك، قتل شهيدا مقبلا غير مدبر، انظر: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، الأنصاري (2/ 81)، وغاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزري (1/ 316).

(6) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء (2/ 469).

(7) **عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الأنصاري الأندلسي، أبو القاسم ابن حبيش:** (504- 584 هـ = 1111- 1188م)، مؤرخ، عالم بالعربية والقرآءت، من الحفاظ، من أهل ألمرية، ولي القضاء بجزيرة شقر، ثم بمرسية، وتوفي فيها، انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (21/ 118)، وبغية الوعاة، السيوطي (2/ 392)، والأعلام، الزركلي (3/ 327).

(8) **سيف بن عمر التَّمِيمِي الأَسدي وَيُقَال الضَّبِّيّ الْكُوفِي:** صاحب كتاب الفتوح وكتاب الردة وغير ذلك وتوفي في حدود الثمانين ومائة، انظر: الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل الصفدي (16/ 39).

(9) **المقداد بن عمرو بن ثعلبة البهرانى الكندى الزهرى أبو الأسود أو أبو عمرو أو أبو معبد المعروف بالمقداد بن الأسود:** شهد فتح مصر، ومات في أرضه بالجرف، فحمل إلى المدينة ودفن بها، وصلى عليه عثمان بن عفان سنة ثلاث وثلاثين، وروى عنه من كبار التابعين، انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، القرطبي (4/ 1481).

أبي وقاص ﷺ (ت: 55)، الظهر، أمر غلامًا كان لعمر ﷺ (ت:23)، ألزمه إياه، وكان من القراء، يقرأ (سورة الجهاد)، وكان المسلمون كلهم إذ ذاك يتعلمونها فقرأها على الكتيبة التي تليه، وقرئت في كل كتيبة، فهشت قلوب الناس وعرفوا السكينة مع قراءتها"[1].

وذكر الطبري (ت: 310)[2]، والسمعاني (ت: 489)[3]، وسعيد حوى (ت: 1409)[4]، أن سورة الأنفال تسمى "سورة الجهاد".

وهذان الاسمان ذكرهما السلف وأهل العلم ولم يذكر منهما شيء عن النبي ﷺ.

2-عدد آياتها:

قال سعيد حوى (ت: 1409): "سورة الأنفال مدنية، آياتها خمس وسبعون، وكلماتها ألف وستمائة وإحدى وثلاثون كلمة، وحروفها خمسة آلاف ومائتان وأربعة وتسعون حرفا"[5].

3- ترتيبها في المصحف:

"سورة الأنفال هي الثامنة في ترتيب المصحف"[6]العثماني، وقيل: إنَّ مكان سورة الأنفال وبراءة ليس بتوقيف من رسول الله ﷺ والصحابة ﷺ، كما هو الراجح في سائر السور، بل اجتهاد من عثمان ﷺ (ت: 35)، لحديث ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ (ت: 68)، قَالَ: قُلْتُ لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ: "مَا حَمَلَكُمْ عَلَى أَنْ عَمَدْتُمْ إِلَى الْأَنْفَالِ وَهِيَ مِنَ الْمَثَانِي وَإِلَى بَرَاءَةَ، وَهِيَ مِنَ الْمِئِينَ، فَقَرَنْتُمْ بَيْنَهُمَا، وَلَمْ تَكْتُبُوا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَوَضَعْتُمُوهَا فِي السَّبْعِ الطِّوَالِ فَمَا حَمَلَكُمْ عَلَى ذَلِكَ؟ فَقَالَ عُثْمَانُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِمَّا يَأْتِي عَلَيْهِ الزَّمَانُ، وَهُوَ يَنْزِلُ عَلَيْهِ مِنَ السُّوَرِ ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَالَ: وَكَانَ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الشَّيْءُ دَعَا بَعْضَ مَنْ يَكْتُبُ لَهُ، فَيَقُولُ: **(ضَعُوا هَذِهِ فِي السُّورَةِ الَّتِي فِيهَا كَذَا وَكَذَا)**، وَكَانَتِ الْأَنْفَالُ مِنْ أَوَائِلِ مَا نَزَلَتْ بِالْمَدِينَةِ، وَكَانَتْ بَرَاءَةُ مِنْ آخِرِ الْقُرْآنِ،

---

(1) تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، الطبري (3/ 397)، وصحيح وضعيف تاريخ الطبري، الطبري، خبر اليرموك ثم كانت سنة اثنتي عشرة من الهجرة مسير خالد إلى العراق وصلح الحيرة الخلافة الراشدة ضعيف تاريخ الطبري (8/ 144)، رقم الحديث (172)، وقال محمد بن طاهر البرزنجي: إسناده ضعيف، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي (8/ 215).

(2) انظر: تاريخ الأمم والملوك (2/ 336).

(3) انظر: تفسير القرآن (5/ 167).

(4) انظر: الأساس في التفسير (4/ 2121).

(5) المرجع نفسه (4/ 2105).

(6) التفسير الوسيط، الطنطاوي (6/ 7).

وَكَانَتْ قِصَّتُهَا شَبِيهَةً بِقِصَّتِهَا، فَظَنَنْتُ أَنَّهَا مِنْهَا، فَقُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَلَمْ يُبَيِّنْ لَنَا أَنَّهَا مِنْهَا، فَلَمْ أَكْتُبْ بَيْنَهُمَا سَطْرَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ"[1].

لعل مقصد عثمان ؓ في ذلك بأمور فتح الله بها: أنه جعل الأنفال قبل براءة مع قصرها؛ لكونها مشتملة على البسملة، فقدمها لتكون كقطعة منها، وتكون براءة بخلوها منها كتتمتها وبقيتها؛ ولهذا قال جماعة من السلف: "إن الأنفال وبراءة سورة واحدة، لا سورتان"[2].

ثانيًا: سبب نزول السورة وزمان ومكان نزولها.

"سورة الأنفال من السور المدنية، وهي السورة الثالثة نزولًا بالمدينة بعد الفاتحة والبقرة"[3].

1- بيان المكي والمدني في سورة الأنفال:

مدنية بجميع آياتها وهو قول جمهور المفسرين.

ولما روي في الصحيح، عن سعيد بن جبير (ت: 95)، قال: قلت لابن عباس ؓ (ت: 68): سورة الأنفال، قال: "نزلت في بدر"[4]، وقال البقاعي (ت: 885): "مدنية اجماعًا، نزلت في بدر"[5]، وقال الفيروزآبادي (ت: 817): "اعلم أن هذه السورة مدنية بالإجماع"[6]، وقال ابن عطية (ت: 542): "سورة الأنفال مدنية كلها كذا قال أكثر الناس"[7]، وقال ابن عاشور (ت: 1393): (وقد اتفق رجال الأثر كلهم على أنها نزلت في غزوة بدر، قال ابن إسحاق المطلبي (ت: 150)[8]: أنزلت في أمر بدر سورة الأنفال بأسرها، وكانت غزوة بدر في رمضان من

(1) المستدرك على الصحيحين، الحاكم، كتاب التفسير (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)، تفسير سورة التوبة بسم الله الرحمن الرحيم (2/ 360) رقم الحديث (3272)، وقال هذا حديثٌ صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الألباني صحيح، انظر: مشكاة المصابيح، محمد بن عبد الله الخطيب (1/ 682)

(2) انظر: أسرار ترتيب القرآن، السيوطي (ص: 90).

(3) تنزيل القرآن، الزهري (ص: 29).

(4) صحيح البخاري، البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: **﴿يسألونك عن الأنفال، قل: الأنفال لله والرسول، فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم﴾** [الأنفال: 1]، (6/ 61)، رقم الحديث (4645).

(5) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور (2/ 144).

(6) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (1/ 222).

(7) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (2/ 496).

(8) **محمد بْن إسحاق المُطَّلبيُّ المَخْرَميُّ أَبُو بكر**: ولد سنة نيف وثمانين، وتوفي سنة (150هـ)، وهو أحد الأعلام، وصاحب المغازي، وكان بحرًا في العلم، حبرًا في معرفة أيام النبي ﷺ، وعن شعبة قال: ابن إسحاق أمير المؤمنين في الحديث، انظر: تاريخ الإسلام، الذهبي (4/ 193).

العام الثاني للهجرة بعد عام ونصف من يوم الهجرة، وذلك بعد تحويل القبلة بشهرين، وكان ابتداء نزولها قبل الانصراف من بدر، فإن الآية الأولى منها نزلت والمسلمون في بدر قبل قسمة مغانمها، كما دل عليه حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ[1]، والظاهر أنها استمر نزولها إلى ما بعد الانصراف من بدر)[2].

وقال ابن هشام (ت: 213): نزول سورة الأنفال تصف أحداث بدر: قال ابن إسحاق المطلبي (ت: 150): "فلما انقضى أمر بدر، أنزل الله تعالى فيه من القرآن الأنفال بأسرها، فكان مما نزل منها في اختلافهم في النفل حين اختلفوا فيه: **﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾** [الأنفال: 1]"[3].

سبب نزولها:

عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، عَنْ أَبِيهِ ﷺ، قَالَ: (لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ جِئْتُ بِسَيْفٍ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ شَفَى صَدْرِي مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَوْ نَحْوَ هَذَا، هَبْ لِي هَذَا السَّيْفَ، فَقَالَ: **(هَذَا لَيْسَ لِي وَلَا لَكَ)** فَقُلْتُ: عَسَى أَنْ يُعْطَى هَذَا مَنْ لَا يُبْلِي بَلَائِي، فَجَاءَنِي الرَّسُولُ فَقَالَ: **(إِنَّكَ سَأَلْتَنِي وَلِيسَ لِي، وَإِنَّهُ قَدْ صَارَ لِي وَهُوَ لَكَ)**، قَالَ: فَنَزَلَتْ: **﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾** [الأنفال: 1])[4].

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ ﷺ (ت: 86)، قَالَ: سَأَلْتُ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ ﷺ (ت: 34)، عَنِ الْأَنْفَالِ: فَقَالَ: (فِينَا مَعْشَرَ أَصْحَابِ بَدْرٍ نَزَلَتْ حِينَ اخْتَلَفْنَا فِي النَّفَلِ، وَسَاءَتْ فِيهِ أَخْلَاقُنَا، فَانْتَزَعَهُ اللهُ مِنْ أَيْدِينَا، وَجَعَلَهُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَسَمَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ عَنْ بَوَاءٍ، يَقُولُ: عَلَى السَّوَاءِ)[5]، وحديث سعد بن أبي وقاص سبق ذكره[6].

---

(1) مسند أحمد، أحمد، مسند العشرة المبشرين بالجنة، مسند أبي إسحاق سعد بن أبي وقاص (3/ 129)، رقم الحديث (1556)، وقال شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره، رجاله ثقات رجال الشيخين، غير أن فيه انقطاعًا، محمد ابن عبيد الله الثقفي لم يدرك سعدًا.

(2) التحرير والتنوير (9/ 245).

(3) السيرة النبوية (2/ 224).

(4) مسند أحمد، أحمد، مسند العشرة المبشرين بالجنة، مسند أبي إسحاق سعد بن أبي وقاص (3/ 117)، رقم الحديث (1538)، وقال الألباني: حسن صحيح.

(5) مسند أحمد، أحمد، تتمة مسند الأنصار، حديث عبادة بن الصامت (37/ 410)، رقم الحديث (22747)، وقال شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره.

(6) (ص: 16).

ثالثًا: فضل سورة الأنفال:

دلت الأحاديث على فضل كثير من السور، لكن لم يرد في الكتاب والسنة ما يدل على فضل هذه السورة، لكن يوجد بعض الآثار نستنبط ونستدل بها على فضلها وأهميتها في واقع الحال والمآل.

أ- أنها من السبع الطوال:

فعَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ ﷺ (ت: 85)، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **(أُعْطِيتُ مَكَانَ التَّوْرَاةِ السَّبْعَ، وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الزَّبُورِ الْمَئِينَ، وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الْإِنْجِيلِ الْمَثَانِيَ، وَفُضِّلْتُ بِالْمُفَصَّلِ)**[1].

ويقصد بالسبع: "السور السبع الطوال من البقرة حتى الأنفال والتوبة، والمئين: هي السور التي يكون عدد آياتها مائة آية فأكثر، والمثاني: سورة الفاتحة وسميت بذلك لإنها تُثنى في كل صلاة"[2].

ب- أن النبي ﷺ كان يقرؤها بركعتين:

فعَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، قال: (بأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقْرَأُ فِي الرَّكْعَتَيْنِ مِنَ الْمَغْرِبِ بِسُورَةِ الْأَنْفَالِ)[3].

ت- كانت تقرأ في الحروب:

ذكر أهل التأريخ أن المقداد بن عمرو ﷺ (ت: 33)، "كان يدور على الناس في معركة اليرموك فيقرأ سورة الأنفال وآيات الجهاد"[4]، وقال الطبري (ت: 310)، في تلك المعركة: وكان القارئ المقداد ﷺ (ت: 33)، "وَمِنَ السُّنَّةِ الَّتِي سَنَّ رَسُولُ اللَّه ﷺ بَعْدَ بَدْرٍ، أَنْ تُقْرَأَ سُورَةُ الْجِهَادِ

---

(1) مسند أحمد، أحمد، مسند الشاميين، حديث واثلة بن الأسقع (28/ 188)، رقم الحديث (16982)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

(2) عقد الدرر فيما صح في فضائل السور، أيمن بن عبد العزيز أبانمي (ص: 25).

(3) المعجم الكبير، الطبراني، باب الزاي، عروة بن الزبير، عن زيد بن ثابت (5/ 125)، رقم الحديث (4824)، وقال الطبراني في الكبير، رجاله رجال الصحيح.

(4) البداية والنهاية، ابن كثير (7/ 11).

عِنْدَ اللِّقَاءِ، وَهِيَ الأَنْفَالُ، وَلَمْ يَزَلِ النَّاسُ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى ذَلِكَ"[1]، وكما ذكر أهل السير والمغازي في وقعة القادسية كما ذكرناه[2].

وقال حسن البنا (ت: 1368): "لهذا اتخذها المسلمون الأولون نشيدا حربيا يتلونه إذا اشتد الكرب وحمي الوطيس، وحسبك منها قول الله تبارك وتعالى: **﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾** [الأنفال: 60]، إلى قوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ﴾** [الأنفال: 65]"[3].

ث- **تحدثت عن أحداث بدر.**

فقد سمى الله يوم بدر، يوم الفراقان، يوم فرق بين الحق والباطل، يوم التقى الجمعان، بين الكافر والمسلم، فنصر الله أولياءه، وهزم الشيطان وأعوانه.

والذي يتابع التصوير الدقيق لأحداث غزوة بدر في السورة الكريمة، يشعر كأنه يشاهد أحداثها مصورة أمام ناظريه، وهي تنتقل بنا من درس إلى آخر، ومن مشهد إلى ثاني، وكأن السورة تعطينا رزمة في التربية دفعة واحدة بجميع مستوياتها وأنواعها، من تربية القلوب على العقيدة والصبر والطاعة والمنهج إلى تربية الأبدان على القتال وسلوك المجاهد المسلم.

المطلب الخامس: أهداف ومقاصد السورة الرئيسة.

أهم الأهداف والمقاصد لسورة الأنفال:

1- بيان أحكام الأنفال، وقسمتها ومصارفها وتسليمهم للإرادة الإلهية بأسباب النصر الربانية والمادية، كما قال البقاعي (ت: 885): "مقصد هذه السورة تبرؤ العباد من الحول والقوة، وحثهم على التسليم لأمر الله المثمر، لاجتماع الكلمة المثمر لنصر الدين وإذلال المفسدين المنتج لكل خير"[4].

---

(1) تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري (3/ 397)، وصحيح وضعيف تاريخ الطبري، الطبري، خبر اليرموك ثم كانت سنة اثنتي عشرة من الهجرة مسير خالد إلى العراق وصلح الحيرة الخلافة الراشدة ضعيف تاريخ الطبري (8/ 144)، رقم الحديث (172)، وقال محمد بن طاهر البرزنجي: إسناده ضعيف.

(2) (ص: 18).

(3) رسائل الإمام حسن البنا (ص: 432).

(4) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (8/ 214).

2- العناية بالتعبئة الإيمانية قبل التعبئة الجهادية: لما لها من تأثير على العدو الشيطاني والإنسي، مع بيان عمل الشيطان في نفوس الكافرين عند الحرب؛ "فتربية الصحابة وتزكية نفوسهم هي الأمر الأهم، فبدأت السورة بالتعبئة الجهادية قبل سردها لأحداث الغزوة، لأن هذه التربية والتزكية هي محور الفلاح في المعركة"(1)، لقوله تعالى: **﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (2) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3) أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾** [الأنفال: 2- 4].

3- تحدثت سورة الأنفال عن غزوة بدر، وعن مواقف كل أطرافها، وقدمت وصفًا متكاملا لأهم أحداثها، وجعلت أحداثها منطلقًا للتذكير، والتوجيه، والتربية.

4- بيان الكرامات الربانية: من البشرى والطمأنينة والنعاس ونزول الملائكة والطهارة الحسية والمعنوية، ونعم الله في غزوة بدر، نتيجة الاستغاثة بالله تعالى، وبين تعالى كيف قذف في قلوب أعدائهم الرعب، وحثهم على قتالهم بضرب الأعناق وقطع كل بنان.

5- بيان طرق الوقاية من الفتنة: وأنها سبيل الظالمين، وموقف المنافقين من نصرة المؤمنين لقوله تعالى: **﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾** [الأنفال: 25].

6- الحث على شكر النعم التي أنعمها الله عليهم: لقوله تعالى: **﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾** [الأنفال: 26].

7- بيان أسباب النصر والنصرة والمناصرة في ستة شروط: إن قام بها المسلمون، أقام الله لهم الدين في العالمين في قوله تعالى: **﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (45) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (46) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾** [الأنفال: 45- 48].

---

(1) انظر: النظام المقطعي ودلالته في سورة الأنفال (دراسة صوتية وصفية تحليلية)، إلهام حبيب دياب أبو لباد (ص: 50).

وهذه هي أسباب النصر التي بينتها الآيات:

أ- الثبات: قبل المعركة وأثناء وبعد المعركة.

ب- الذكر عند اللقاء: عن أنسِ بن مالكٍ ﷺ، قال: كان رسول الله ﷺ إذا غَزا قال: **(اللهم أَنْتَ عَضُدِي ونَصيرِي، بِكَ أَحُول، وبِكَ أَصُولُ، وبِكَ أُقاتِلُ)**[1].

ت- طاعة الله ورسوله: تكرار الأمر بطاعة الله ورسوله ﷺ، والنهي عن مشاقتهما في آيات عدة، ليعلم أن التمسك بالكتاب والسنة فلاح في الدارين.

ث-عدم التنازع: أمرهم بتقوى الله، ليتحقق كل هدف ومقصد، ولزوم الوحدة بين المسلمين، وإصلاح ذات البين، وعدم الفرقة والتنازع التي هي سبب كل فشل ديني ودنيوي لقوله تعالى: **﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾** [الأنفال: 1].

ج- الصبر: وهو مفتاح الفرج؛ لأنهم ما خرجوا من أجل القتال، إنما خرجوا من أجل العير، لقوله تعالى: **﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ﴾** [الأنفال: 6].

ح- الإخلاص: فلا تصلح العبادة إلا به، فهو هداية المتقين وسبيل المجاهدين ونجاة المهديين.

8- أهمية النداءات الربانية للمؤمنين في تحقيق النصر:

أ- التوجيهات الحكيمة التي أعقبت تلك النداءات الخمسة التي نادى الله بها المؤمنين، فقد أمرهم ﷻ بالثبات في وجه أعدائهم، وبالطاعة التامة له ولرسوله ﷺ، وبالاستجابة السريعة للحق الذي جاءهم به الرسول ﷺ، ونهتهم عن التولي يوم الزحف، وعن التشبه بمن قالوا سمعنا وهم لا يسمعون، وعن إقرار المنكرات والبدع والرضا بها، وعن خيانة الله والرسول، وعن خيانة الأمانات التي تجب صيانتها والمحافظة عليها، ووعدهم ﷻ بهداية القلوب، وتكفير الخطايا والذنوب، متى اتقوه ووقفوا عند حدوده[2]، وإليك هذه النداءات بالتفصيل:

ب-النداء الأول: **﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ﴾** [الأنفال: 15]، يأمرهم بتحريض المؤمنين على القتال، وعدم الفرار من الزحف عند

---

(1) سنن أبي داود، أبو داود، أول كتاب الجهاد، باب في دعاء المشركين (4/ 270) رقم الحديث: (2632)، وصحيح وضعيف سنن أبي داود، الألباني (ص: 2) وقال الألباني: صحيح.

(2) انظر: التفسير الوسيط، الطنطاوي (6/ 84).

اللقاء، حيث توعد الفارين بأشد العذاب، كما قال محمد أمين المصري[1]: "أمرهم بالجهاد والثبات في مواطن البأس وعدم الفرار من وجه العدو"[2].

ت- النداء الثاني: **﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾** [الأنفال: 20]، نداء للمؤمنين الذين دأبهم أن يقولوا **﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾** [البقرة: 285]، مع تحذيرهم ووصفهم بشر خلق الله تعالى لمن لا يسمع ولا يطيع أمر الله.

ث- النداء الثالث: **﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾** [الأنفال: 24]، فأمرهم أن يستجيبوا ويمتثلوا لأمر الله ورسوله، إذا دعاهم لما فيه حياة سعيدة، تسعدهم في الدنيا والآخرة.

ج- النداء الرابع: **﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾** [الأنفال: 27]، نداء للمؤمنين بعدم خيانة الله ورسوله وما استأمنهم عليه من أسرار الأمة.

ح- النداء الخامس: **﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾** [الأنفال: 29]، دعاهم إلى التقوى مع بيان ثمرته، وأنه يفرق بين الحق والباطل.

خ- النداء السادس: **﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾** [الأنفال: 45]، دعاهم إلى أسباب النصر من الثبات والذكر والطاعة وعدم التنازع والصبر والإخلاص.

9- "ضرب المثل بالأمم الماضية: التي عاندت رسل الله، ولم تشكر نعمته، لقوله تعالى: **﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾** [الأنفال: 52]"[3].

---

(1) **محمد أمين المصري:** ولد في دمشق، وبعد إنهاء دراسته الثانوية عمل في سلك التدريس، ونشأ مع فتية من جيله على حب الإسلام ومطالعة كتبه، وقد أثر فيه كتاب (إحياء علوم الدين)، كثيرًا حتى آخر حياته، وقد ساهم في الندوات العلمية إسهامًا جيدًا، ثم حصل على الشهادة الجامعية في الأزهر بعد عام 1941م، وكان له صلة طيبة بالدعوة الإسلامية في مصر، كما كان حريصًا على حضور محاضرات الأستاذ (حسن البنا)، انظر: تكملة معجم المؤلفين، محمد خير بن رمضان (ص: 451).

(2) من هدي سورة الأنفال (ص: 8).

(3) التناسق الموضوعي في سورة الأنفال، بدر إبراهيم الذيابي (ص: 89).

10- بين أن الاستغفار أمان للأمة من العذاب في الدنيا والآخرة، وبعد موت النبي ﷺ: لقوله تعالى: **﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾** [الأنفال: 33].

11- بيان هيئة عبادة المشركين: لقوله تعالى: **﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾** [الأنفال: 35].

12- مآل نفقات المؤمنين في قوله تعالى: **﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾** [الأنفال: 60] ونفقات المشركين: لقوله تعالى: **﴿فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾** [الأنفال: 36].

13- بيان علاقة المسلمين بغيرهم في السلم والحرب: مع جواز عقد الهدنة مع غير المسلمين، لقوله تعالى: **﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾** [الأنفال: 61].

14- بيان جواز الأسر بعد الإثخان في الأرض: وكيفية التعامل مع أسرى الحرب، لقوله تعالى: **﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى﴾** [الأنفال: 67].

15- ثم ختم هذه السورة ببيان الموالاة والمعاداة: وأثرها على المؤمنين، لقوله تعالى: **﴿وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ﴾** [الأنفال: 72]، فيه بيان أن للمؤمنين أولياء، كما أن للكفار أولياء، لقوله تعالى: **﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾** [الأنفال: 73].

المطلب السادس: مناسبات تتعلق بالسورة وموضوعاتها.

أولًا: المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها وبين الآيات:

1- وقعت المناسبة بين أول السورة وآخرها من حيث السؤال عن المغنم، وبما يقابلها من الإيمان والمغفرة والرزق الكريم والأخوة والألفة والمحبة والترابط والموالاة والمعاداة؛ ليتحقق النصر والتأييد من العزيز الحكيم، ففي البداية تحدثت السورة عن تقسيم الأنفال، حيث قال تعالى: **﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾** [الأنفال: 1]، وفي نهايتها عما غنمه المسلمون، وما كان بشأن الأسرى والفداء، لقوله تعالى: **﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ﴾** [الأنفال: 67]، وقوله تعالى: **﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا﴾** [الأنفال: 69].

2- تحدثت بدايتها عن أول لقاء بين المسلمين وأعدائهم دون أن يعد المسلمون العدة، حيث قوله تعالى: **﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ﴾** [الأنفال: 6]، وجاء في نهايتها عن

إعداد العدة للقاء الأعداء، قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ [الأنفال: 60][1].

3- تحدثت السورة عن الموالاة للمؤمنين وأهل الحق، وعما يقابلها من معاداة الكفار وأعوانهم، قال السيوطي (ت: 911)، معلقًا على هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنفال: 72]، "وذلك أن السورة لما نزلت في تنازعهم في الأنفال وحثهم على إصلاح ذات البين، وذكرهم بنعمه، وحذرهم من التنازع غاية التحذير، إلى آخر ما تقدم، وختمها بذكر أن المؤمنين بعضهم أولياء بعض، فلا ينبغي تنازعهم، بل اللائق بهم التواد والتحاب والتناصر والتوافق، وأن لا يكون عرض الدنيا الفاني الزائل قطعًا بينهم، وذكر أن المهاجرين والأنصار بعضهم أولياء بعض، ووقف ولاية من آمن ولم يهاجر على الهجرة، وبين أن هذه الولاية الموقوفة، هي ولاية الخصوص، وأما ولاية العموم، وهي النصرة في الدين فثابتة، ثم استطرد إلى ذكر ولاية أخرى أخص مما تقدم، وهي ولاية التوارث"[2].

4- مناسبة آخرة السورة لأولها، وخاتمتها لفاتحتها في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: 74]، قال السيوطي (ت: 911) "وصفهم بأعمال القلوب من الخوف والزيادة في الإيمان التوكل، وزاد في الوعد "درجات"، لما لم يكن هنا سوى الأفعال البدنية والمالية، واقتصر على المغفرة والرزق الكريم المذكور من أول السورة في مقابلتها، ثم ذكر من تأخرت لإيمانه وتأخرت هجرته، وهم أهل الهجرة الثانية"[3].

---

(1) انظر: منهجيات الإصلاح والتغير في سورتي الأنفال والتوبة (دراسة موضوعية)، عبد المؤمن إبراهيم الفقي (ص: 43).

(2) قطف الأزهار في كشف الأسرار (ص: 1125).

(3) قطف الأزهار في كشف الأسرار (ص: 1128)، والبرهان في تناسب سور القرآن، أحمد بن إبراهيم الثقفي العاصمي (ص: 103 – 107).

ثانيًا: المناسبة بينها وبين السابقة لها (الأعراف):

الناظر في سورتي الأعراف والأنفال، يجد أن سورة الأعراف مبينة لأحوال الرسل مع أقوامهم، وسورة الأنفال في بيان أحوال النبي ﷺ مع قومه[1].

وقال البقاعي (ت: 885): "ومناسبتها للأعراف أنه لما ذكر تعالى، قصص الأنبياء عليهم السلام مع أممهم في تلك، ناسب أن يذكر قصة هذا النبي الكريم ﷺ مع قومه، وتقدم أنه لما أطنب ﷻ في قصة موسى عليه السلام كان ذلك ربما أوهم تفضيله على الجميع، فأتى بقصة المخاطب بهذا القرآن في سورتين كاملتين، الأنفال في أول أمره وأثنائه، وبراءة في ختام أمره وانتهائه، وفرق بين القصتين"[2].

وقال أبو جعفر بن الزبير العاصمي (ت: 708)[3]: "لما قصَّ ﷻ على نبيه ﷺ في سورة الأعراف أخبار الأمم، وقطع المؤمنون من مجموع ذلك بأنه لا يكون الهدى إلا بسابقة السعادة، لافتتاح السورة من ذكر الأشقياء بقصة إبليس وختمها بقصة بلعام، وكلاهما كفر على علم ولم ينفعه ما قد كان حصل عليه، ونبه ﷻ عباده على الباب الذي أتى منه على بلعام بقوله تعالى: ﴿**وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ**﴾ [الأعراف: 176]؛ فأشار ﷻ إلى أن اتباع الأهواء أضل كل ضلال، نبهوا على ما فيه الحزم من ترك الأهواء جملة فقال تعالى: ﴿**يسألونك عن الأنفال**﴾ [الأنفال: 1]؛ فكأن قد قيل لهم اتركوا ما ترون أنه حق واجب لكم وفوضوا في أمره لله وللرسول فذلك أسلم وأحزم في ردع أغراضكم وقمع شهواتكم، وترك أهوائكم "[4]، وقال محمد الأمين الهرري (1348)[5]: "سورة الأنفال بدئت بالأمر بتقوى الله ﷻ وبإصلاح ذات البين وبالحث على طاعة

---

(1) انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي (5/ 147)، وتفسير المراغي (9/ 161)، تفسير المنار، محمد رشيد رضا (9/ 484)، والتفسير الوسيط، الطنطاوي (6/ 8).

(2) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (8/ 216).

(3) **أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر**: (627- 708 هـ = 1230- 1308 م): ولد في جيان وأقام بمالقة؛ فحدثت له فيها شؤون ومنغصات، فغادرها إلى غرناطة فطاب بها عيشه، وهو محدث مؤرخ، من أبناء العرب الداخلين إلى الأندلس، **انظر**: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: ابن حجر العسقلاني (5/ 31)، وطبقات الحفاظ: السيوطي (ص: 517)، والأعلام، الزركلي (1/ 86)

(4) البرهان في تناسب سور القرآن (ص: 216).

(5) **محمد الأمين الهرري**: ولد في الحبشة في منطقة الهرر في قرية بويطه، في عصر يوم الجمعة أواخر شهر ذي الحجة، سنة ألف وثلاثمائة وثمان وأربعين، وكان يدرس من صلاة الفجر إلى صلاة العشاء الاخرة نحو: سبع وعشرين حصة من حصص الفنون المتنوعة، كان يحي ليله دائما بكتابة التأليف وبما قدر الله له من طاعته، انظر: المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين، أسامة بن الزهراء (ص: 276).

الله وطاعة رسوله ﷺ، وبيان أنَّ الخوف من الله ﷻ وعدم الاستكبار عن طاعته من صفات المؤمنين، وأن إقامة الصلاة التي من أركانها السجود من صفاتهم، وأن سورة الأعراف ختمت بأخذ العفو، والأمر بالمعروف، والإعراض عن الجاهلين، المستلزم لإصلاح ذات البين، وبالأمر باستماع القرآن والإنصات له عند قراءته، المسلتزم خوف القلوب من ربها، وزيادة الإيمان لها عند تدبرها معاني آيات الله ﷻ، وختمت أيضا ببيان أنَّ من صفات الملائكة المقربين عدم الاستكبار عن عبادته ﷻ، وأنَّهم يسبحونه وله يسجدون"[1].

ثالثًا: المناسبة بينها وبين التي بعدها (التوبة):

سورة الأنفال تتحدث، عن أول غزوة، وهي غزوة بدر، وسورة التوبة تتحدث، عن آخر غزوة، وهي غزوة تبوك.

وأما التناسب بينها وبين ما قبلها، فإنه أظهر من التناسب بين سائر السور بعضها مع بعض، فهي كالمتممة لسورة الأنفال في معظم ما فيها من أصول الدين وفروعه، والسنن الإلهية والتشريع، وجله في أحكام القتال، وما يتعلق به من الاستعداد له، وأسباب النصر فيه، وغير ذلك من الأمور الروحية والمالية، وأحكام المعاهدات والمواثيق من حفظها ونبذها عند وجود المقتضي له، وأحكام الولاية في الحرب وغيرها بين المؤمنين بعضهم مع بعض، والكافرين بعضهم مع بعض، كذا أحوال المؤمنين الصادقين والكفار والمذبذبين من المنافقين ومرضى القلوب، فما بدأ به في الأولى أتمه في الثانية[2]، ومن الأمثلة على ذلك:

1- أن العهود ذكرت في سورة الأنفال، وافتتحت سورة التوبة بتفصيل الكلام فيها، ولا سيما نبذها الذي قيد في الأولى بخوف خيانة الأعداء.
2- تفصيل الكلام في قتال كل من المشركين، وأهل الكتاب.
3- ذكر في الأولى صد المشركين عن المسجد الحرام، وأنهم ليسوا بأوليائه، وجاء في الثانية: ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله إلى آخر الآيات.
4- ذكر في أول الأولى صفات المؤمنين الكاملين، وذكر بعد ذلك بعض صفات الكافرين، ثم ذكر في آخرها حكم الولاية بين كل من الفريقين كما تقدم، وجاء في الثانية مثل هذا في مواضع أيضا.

---

(1) انظر: حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (10/ 328).
(2) حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (11/ 122).

5- ذكر في الأولى الترغيب في إنفاق المال في سبيل الله، وجاء مثل هذا الترغيب بأبلغ من ذلك وأوسع في الثانية، وذكرت في الأولى مصارف الغنائم من هذه الأموال، وفي الثانية مصارف الصدقات.

6- ورد ذكر المنافقين والذين في قلوبهم مرض في الأولى في آية واحدة، وفصل في الثانية أوسع تفصيل، حتى كانت أجدر بأن تسمى سورة المنافقون[1].

وقال الألوسي (ت: 1270): ووجه مناسبتها للأنفال، أن في الأولى قسمة الغنائم وجعل خمسها لخمسة أصناف على ما علمت، وفي هذه قيمة الصدقات وجعلها لثمانية أصناف على ما ستعلم إن شاء الله تعالى، وفي الأولى أيضا ذكر العهود وهنا نبذها وأنه ﷺ أمر في الأولى بالإعداد فقال تعالى: **﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾** [الأنفال: 60]، ونعى هنا على المنافقين عدم الإعداد بقوله تعالى: **﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾** [التوبة: 46]، وأنه ﷺ ختم الأولى بإيجاب أن يوالي المؤمنين بعضهم بعضا وأن يكونوا منقطعين عن الكفار بالكلية وصرح جل شأنه في هذه بهذا المعنى بقوله تعالى: **﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾** [التوبة: 1]، إلى غير ذلك من وجوه المناسبة[2].

وروي عن أبي بن كعب رضي الله عنه في الأنفال ذكر العهود، وفي براءة نبذ العهود، فوضعت إحداهما بجنب الأخرى[3].

وقال الطنطاوي (ت: 1431): "الحق أن الذي يقرأ السورتين بتأمل وتدبر يراهما تعطيانه ما يشبه أن يكون صورة تاريخية مجملة لدعوة النبي ﷺ وجهاده إلى أن أتم الله له نعمة النصر"[4].

---

(1) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا (10/ 132)، وانظر: التفسير المنير، الزحيلي (10/ 92).

(2) انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (10/ 40).

(3) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، النيسابوري (3/ 427).

(4) التفسير الوسيط (6/ 184).

الفصل الأول

توجيهات تربوية عقدية وإيمانية

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التربية العقدية

المبحث الثاني: التربية الإيمانية

المبحث الثالث: الأساليب الواردة في التوجيهات التربوية العقدية والإيمانية

المبحث الأول: التربية العقدية

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الموالاة والمعاداة وبيان أثرهما في المؤمنين

المطلب الثاني: الأمر بطاعة الله ورسوله والنهي عن مشاقتهما

المطلب الثالث: استشعار معية الله وأثرها على المؤمنين

الفصل الأول

توجيهات تربوية عقدية وإيمانية

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التربية العقدية.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الموالاة والمعاداة وبيان أثرهما في المؤمنين.

الموالاة والمعاداة تُجلِّي حقيقة الإسلام من الكفر والضلالات وغيرها؛ فإن أصل الإسلام قائم على الموالاة لله ورسوله والمؤمنين لقوله تعالى: **﴿وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾** [الأنفال: 72]، وفي المقابل؛ فإن ملة الكفر وأن تعددت؛ فإنها واحدة في عدائها للإسلام والمسلمين؛ فإنه يجب علينا مع هذه التوجيهات الإلهية الصادرة عن علم وحكمة ورحمة، أن لا نتجاهل دليلا واقعيا يوجب علينا الحذر من أعدائنا ومن موالاتهم، ذلك هو ما حصل للإسلام من عز وتمكين، فإن أعداءنا لن ينسوا ذلك العز الذي أسقط دولهم، وأزال سلطانهم، واجتاح بلادهم، وظهر على دينهم، حتى يأخذوا بالثأر منه بشتى الوسائل ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا؛ فإن أعداء الإسلام لا ينحصرون في طائفة حزب معين، وإن الكافرين كلهم أعداء الإسلام وأولياء بعضهم بعضا[1] لقوله تعالى: **﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾** [الأنفال: 73].

أولًا: الموالاة في سورة الأنفال على نوعين:

1- مولاة المؤمنين بعضهم بعضا:

المشار إليهم في قوله تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾** [الأنفال: 72]، أقوى روابط الإسلام التي تجمع المؤمنين على منهج واحد في الدين، وهي أهم من روابط الدم والنسب ما دام على الكفر، لأن الموالاة في أول الإسلام كانت تقوم على أسس الأخوة الإيمانية، فقد جعل الله ﷻ المحبة والبغض فيه أوثق عرى الإيمان لقول النبي ﷺ من حديث البراء بن عازب ﷺ، قال: **(إن أوثق**

(1) انظر: الضياء اللامع من الخطب الجوامع، ابن العثيمين (2/ 362).

عرى الإيمان، أن تحب في الله، وتبغض في الله)[1]، **بل** زاد الأمر أنه جعل بينهم ميراثًا يرث الآخر أخاه إن مات، ثم نسخ بقوله تعالى: **﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ﴾** [الأنفال: 75].

وكان جواب عمر بن الخطاب ﷺ (ت: 23) عندما سأله رسول الله ﷺ عن أسرى بدر، قد بين مدى إيمانه وموالاته لأهل الإيمان، فقد فقال رسول الله ﷺ: **(ما ترى يا ابن الخطاب)** قلت: (لا والله يا رسول الله، ما أرى الذي رأى أبو بكر، ولكني أرى أن تمكنا فنضرب أعناقهم، فتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه، وتمكني من فلان نسيبا لعمر، فأضرب عنقه، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها)[2]، فوصل بهم الأمر أن يقتل الرجل أخاه وأباه، من أجل أن تحيا عقيدة الإيمان في قلوب المؤمنين، وبذلك ضحوا بالغالي والنفيس، ضحوا بالبلاد والجماد والبيوت والزوجات والأولاد والأهل والأحباب، وهاجروا من أجل رفعة دينهم ونصرة نبيهم محمد ﷺ، "فإن لم يتجمع المؤمنون ليترابطوا ويكونوا على قلب رجل واحد، فالكفار يتجمعون بطبيعة كفرهم ومعاداتهم للإسلام، وإن لم يتجمع المسلمون بالترابط نجد قول الحق يحذرهم من هذا: **﴿إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأرض وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾** [الأنفال: 73]"[3]، فينشأ الفساد الكبير، من سفك الدماء وظهور الشرك، حين لا يتضامن المسلمون مع بعضهم البعض يجترئ عليهم غير المسلمين ويصبحون أذلةً وهم أغلبيةٌ، ولا يهابهم أحد مع كثرة عددهم[4].

لهذا كانت الهجرة عند منطلق دعوة الإسلام علامة الإيمان الكامل؛ فوصفهم الله ﷻ في آيات عدة بفضلهم ومناقبهم فقال تعالى: **﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾** [التوبة: 100]، وقال تعالى: **﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (8) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾** [الحشر: 8، 9].

---

(1) مسند أحمد، أحمد، أول مسند الكوفيين، حديث البراء بن عازب (30/ 488)، رقم الحديث (18524)، وقال: شعيب الأرنؤوط: حديث حسن بشواهده.

(2) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم (3/ 1385)، رقم الحديث (58).

(3) تفسير الشعراوي (8/ 4822).

(4) المرجع نفسه (8/ 4823).

2- **مولاة الله تعالى للمؤمنين:**

تكون مولاة الله للمؤمنين، المتصفين بصفات الكمال من الهدى والتقى والعفاف والغني عن المخلوق والتوجه إلى الخالق، من طلب الاستغاثة والشكر على النعمة، ومن صفاتهم:

الصفة الأولى: أولياء الله هم المتقون.

صرح ﷻ في هذه الآية الكريمة: **﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾** [الأنفال: 34]، "بنفي ولاية الكفار على المسجد الحرام، وأثبتها لخصوص المتقين"[(1)]، ومن هنا فإنه لا يستحق أن يكون قائما على خدمته، وحراسته، إلا أهل الإيمان والتقوى، فكيف يدعى هؤلاء المشركون القوامة على أمر هذا المسجد الحرام، وهم حرب عليه، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: **﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ﴾** [التوبة: 17].

الصفة الثانية: أولياء الله هم الشاكرون.

ينبه ﷻ عباده المؤمنين على نعمه عليهم وإحسانه إليهم في قوله تعالى: **﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾** [الأنفال: 26]، حيث كانوا قليلين فكثرهم، مستضعفين خائفين أن يتخطفهم الناس من مشرك ومجوسي ورومي، فقواهم ونصرهم بالملائكة، فقراء عالة فرزقهم من الغنائم الطيبة، فلم يزل ذلك دأبهم حتى أذن الله لهم في الهجرة إلى المدينة، فآواهم بالمدينة، وقيض لهم أهلها، آووا ونصروا يوم بدر، وآسوا بأموالهم، وبذلوا مهجهم في طاعة الله ورسوله[(2)].

وقال قتادة السدوسي (ت:61): "كان هذا الحي من العرب أذل الناس ذلًا، وأشقاه عيشًا، وأجوعه بطونًا، وأعراه جلودًا، وأبينه ضلالًا، من عاش منهم عاش شقيًا، ومن مات منهم ردي في الناس، يؤكلون ولا يأكلون، والله ما نعلم قبيلًا من حاضر أهل الأرض يومئذ كانوا أشر منهم منزلًا، حتى جاء الله بالإسلام، فمكن به في البلاد، ووسع به في الرزق، وجعلكم به ملوكا على رقاب الناس، فبالإسلام أعطى الله ما رأيتم، فاشكروا الله على نعمه، فإن ربكم منعم يحب الشكر، وأهل الشكر في مزيد من الله تبارك وتعالى"[(3)].

---

(1) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي (2/ 53).

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (4/ 40).

(3) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري (11/ 119).

ثم ختم ذلك بالحث على الشكر، ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأنفال: 26]، "حتى تشتغلوا بالشكر والطاعة فكيف يليق بكم أن تشتغلوا بالمنازعة في الأنفال، ثم منعهم من الخيانة في الأمانة"[1].

الصفة الثالثة: أولياء الله هم الذين يؤيدهم بنصره ويكفيهم من أعدائهم.

وإن أعرضوا أهل الكفر عن الإيمان وأصروا على الكفر وعادوا إلى قتال المؤمنين وإيذائهم فَاعْلَمُوا أيها المؤمنون أَنَّ الله وليكم وناصركم عليها، ومعينكم عليهم وحافظكم لقوله الله تعالى: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الأنفال: 40]، وهذا وعد صريح بالظفر والنصر، فنعم المولى من كان في حفظه ونصره وكفايته وكلاءته[2]، ونعم الناصر على الأعداء، فلا يغلب من نصره، وكل من كان في حماية الله ﷻ كان آمنا من الآفات، مصونا عن المخلوقات، وهذا ثناء من الله ﷻ على نفسه[3].

وكأن الله ﷻ يقول إلى أولياءه أمضوا إلى الحق، فالحق محفوظ بقوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: 64]، "قال المفسرون: التقدير، الله كافيك وكافي أتباعك من المؤمنين"[4].

ثانيًا: المعاداة في سورة الأنفال واحدة:

في المقابل؛ فإن الكافر يوالى الكافر مثله لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [الأنفال: 73]، سواء كان صهيونيا يهوديا أو نصرانيا أو وثنيا أو غير ذلك؛ فإنهم جميعا توحدوا من أجل هدم قلعة الإسلام سواء كان ذلك في عهد النبي ﷺ، يوم أن نصر المشركون اليهود في حربهم ضد المؤمنين، "وقد أكد التأريخ ذلك، فكان اليهود مناصرين المشركين في حربهم ضد المؤمنين، حتى أنهم نقضوا عهودهم مع المسلمين، مما استوجب حربهم وإجلاءهم من خيبر، والتأريخ يعيد نفسه، فترى المشركين والماديين الملحدين واليهود والنصارى في كل عصر في خندق معاد للإسلام والمسلمين"[5]، ومن الصور والمراتب في الموالاة والمعاداة منها:

---

(1) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، النيسابوري (3/ 390).

(2) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن (2/ 312).

(3) انظر: حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، الهرري (10/ 422).

(4) التفسير الكبير، الرازي (15/ 503).

(5) التفسير المنير، الزحيلي (10/ 84).

1- صور الموالاة بين الكافرين:

وأما في عهدنا وأيامنا هذه؛ فالناظر المتفحص في حال أمتنا، يدرك الضعف الذي صارت إليه؛ فقد اتفق ملة أهل الكفر حتى تسلط علينا أراذل الشرق والغرب يسوموننا سوء العذاب، فتمثل قول الشاعر محمود غنيم (ت: 1392)[1]:

أنى اتجهت إلى الإسلام في بلد * تجده كالطير مقصوصًا جناحاه[2]**

أ- المشروع الصهيوني اليهودي، يتغلغل في فلسطين ولبنان وسوريا بما فيها بيت المقدس، بما يسمى "صفقة القرن"، تحت غطاء الشيطان الأكبر امريكا وحلفائها في الأمم المتحدة وغيرها.

ب- الأمريكان النصارى، يتحكمون بالعالم ويهيمنون على الشرق الأوسط، فدفعوا المليارات من أجل حماية المشروع الغربي، وهو نشر الفساد وهدم الدين، ويحتلون أفغانستان والعراق وغيرها.

ت- الشيوعية في روسيا، تحتل الشيشان المسلمة.

ث- الشيوعية في الصين، تغتصب بلاد الإويغور ويقتلون المسلمون.

ج- البوذية في بورما والهند، تذيق المسلمين سوء العذاب.

ح- فرنسا الصليبية، يتحكمون في بلاد تشاد في افريقيا الوسطي.

خ- الشيعة الفارسية الصفوية، يتحكمون بالعراق واليمن والبحرين وغيرها من بلاد المسلمين باسم الدين والمقاومة.

د- بالإضافة إلى المنافقين والطواغيت من حكام العرب وأنصارهم، يعينون ملة الكفر بنشر الرذيلة وحبس الفضيلة، فاعتقلوا العلماء المشايخ والدعاة والمصلحين من أمة محمد ﷺ، باسم محاربة الإرهاب.

---

(1) **محمود غنيم:** ولد ونشأ في قرية (كوم حمادة): (1319- 1392 هـ = 1901- 1972 م)، وتخرج بدار العلوم (1929)، وعمل في التدريس ثم كان مفتشا للتعليم الأجنبي (1946)، وهوشاعر مصري، وقد عالج الشعر من صغره وفاز بالجوائز، له (صرخة في واد)، و(في ظلال الثورة)، و(لب التأريخ)، و(مسرحيات مدرسية) احتفظت الحكومة بحق تمثيلها، وقيل في وصف أسلوبه الشعري: إنه خليفة حافظ إبراهيم، انظر: الأعلام: الزركلي (7/ 179).

(2) المجلة العربية، المجلد 30،الأعداد 342-346.

2- مراتب الناس في الموالاة والمعاداة:

المرتبة الأولى: الموالاة التامة، المهاجرون الأولون قبل غزوة بدر إلى صلح الحديبية.

أصحاب هذه المرتبة هم المذكورون في قوله تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾** [الأنفال: 72]، وهم الذين آمنوا بالله ورسوله أصحاب الهجرة الأولى قبل غزوة بدر إلى صلح الحديبية سنة ست من الهجرة، الذين خرجوا من ديارهم وأموالهم، وتركوها في مكة، وجاؤوا لنصرة الله ورسوله وإقامة دينه، فهذا الصنف هو الأفضل والأكمل.

المرتبة الثانية: الأنصار، أهل المدينة الذين آووا إخوانهم المهاجرين.

وهم المشار إليهم بقوله تعالى: **﴿وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾** [الأنفال: 72]، أي: آووا الرسول والمهاجرين إليهم، ونصروهم، فكانت المدينة عاصمة الإسلام ومنطلق الدعوة في أرجاء الأرض، وملجأ المهاجرين الذين عملوا مع الأنصار على نصرة دين الله والقتال معهم، وشارك هؤلاء أولئك في أموالهم، وآثروهم على أنفسهم، فكانوا في الفضل بعد الصنف الأول.

ثم وصف الله الصنفين بأن بعضهم أولياء بعض، ولهذا آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار، فكانوا يتوارثون بهذا الإخاء إرثا مقدما على القرابة، حتى تقوى المهاجرون بالتجارة وغيرها، فنسخ الله ﷻ هذا بقوله: **﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾** [الأنفال: 75]، وكما روى جرير بن عبد الله البجلي (ت: 54) قال: قال رسول الله ﷺ: **(المهاجرون والأنصار بعضهم أولياء بعض، والطلقاء من قريش، والعتقاء من ثقيف، بعضهم أولياء بعض إلى يوم القيامة)**[1].

المرتبة الثالثة: الموالاة المشروطة، المؤمنون الذين لم يهاجروا.

المشار إليهم في قوله تعالى: **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾** [الأنفال: 72]، أي: أن الذين صدقوا برسالة النبي ﷺ، ولم يهاجروا من مكة إلى المدينة، وظلوا مقيمين في أرض الشرك تحت سلطان المشركين، أي: في دار الحرب والشرك؛ فليست المقاطعة تامة، فلو استنصروكم فانصروهم ولا تخذلوهم.

---

(1) مسند أحمد، أحمد، أول مسند الكوفيين، من حديث جرير بن عبد الله عن النبي ﷺ (31/ 547)، رقم الحديث (19215)، وقال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح.

المرتبة الرابعة: الموالون المتأخرون، المؤمنون الذين هاجروا بعد صلح الحديبية.

وهم المؤمنون الذين هاجروا بعد صلح الحديبية، فهم المشار إليهم بقوله تعالى: **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ﴾** [الأنفال: 75]، أي: والذين تأخر إيمانهم وهجرتهم عن الهجرة الأولى، وبعد أن قويت شوكة المسلمين، وهاجروا إلى المدينة، وجاهدوا مع السابقين لهم، فأولئك منكم، أي: أنهم كالمهاجرين الأولين والأنصار، في الموالاة والتعاون والتناصر والفضل والجزاء.

فإن قيل: أي معنى في هذا التكرار؟ أي تكرار المهاجرون.

قلنا: "المهاجرون كانوا على طبقات، وكان بعضهم أهل الهجرة الأولى، وهم الذين هاجروا قبل الحديبية، وبعضهم أهل الهجرة الثانية، وهم الذين هاجروا بعد الحديبية قبل فتح مكة، وكان بعضهم ذا هجرتين، وهما الهجرة إلى الحبشة والهجرة إلى المدينة؛ فالمراد من الآية الأولى الهجرة الأولى، والمراد من الثانية الهجرة الثانية"[1].

المرتبة الخامسة: أولوا الأرحام، أصحاب القرابة التي تربط بينهم رابطة الدم.

وهم المذكورون في قوله تعالى: **﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾** [الأنفال: 75]، فتكون الأخوة في النسب والدم، والأخوة في الله أولى في حكم الله من مجرد الأخوة الدينية.

المرتبة السادسة: المعاداة التامة، للكفار وأعوانهم.

وهي المعاداة التامة للكفار أو أي شخص لا يدين بدين الإسلام؛ فالبراء منهم أصل من أصول التوحيد لقوله تعالى: **﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾** [الأنفال: 73]، وقوله تعالى: **﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾** [المائدة: 51]، "إنما هو على ظاهره بأنه كافر من جملة الكفار فقط وهذا حق لا يختلف فيه اثنان من المسلمين"[2].

---

(1) تفسير القرآن، السمعاني (2/ 283).

(2) المحلى: ابن حزم (11/ 138).

خلاصة القول:

"الموالاة على أية آصرة من الأواصر غير آصرة الإسلام باطلة في الشرع والعقل ومخرجة لصاحبها عن الإسلام، فمتى أعطى المسلم ولاءه للكافرين فقد صار منهم كما قال تعالى: **﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾** [الأنفال: 73]، ومتى أعطى المسلم ولاءه للمنافقين صار منهم كما قال تعالى: **﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾** [التوبة: 67]"[1]، "فالمقياس الذي نحتكم إليه في تحديد من يوالى ومن يعادى يقوم على أساس الإسلام، وكل ما سوى ذلك، فإنه مقياس جاهليٌ لا يمت للإسلام بصلة"[2].

التوجيهات التربوية من خلال الموالاة والمعاداة وبيان أثرها على المؤمنين:

1- ختم الله السورة بذكر الموالاة؛ ليعلم كل فريقٍ وليه الذي يستعين به[3].
2- قطع الله الولاية بين الكفار والمؤمنين، فجعل المؤمنين بعضهم أولياء بعضٍ، والكفار بعضهم أولياء بعضٍ، يتناصرون بدينهم ويتعاملون باعتقادهم[4].
3- الموالاة والمعاداة تجلي حقيقة الإسلام من الكفر والضلالات وغيرها.
4- أقوى روابط الإسلام التي تجمع المؤمنين على منهج واحد هو الدين.
5- إن المسلمين إذا لم يكونوا يدًا واحدة على أهل الكفر لم تظهر شوكتهم، فالكفار يتجمعون بطبيعة كفرهم ومعاداتهم للإسلام، بذلك يحدث فساد كبير، ويصبحون أذلةً وهم أغلبيةٌ، ولا يهابهم أحد مع كثرة عددهم.
6- أولياء الله هم المتقون، والشاكرون، وهم الذين يؤيدهم بنصره ويكفيهم من أعدائهم.
7- توحدت ملة الكفر كلها على هدم الإسلام والمسلمين.
8- نسخ التوارث بغير المصاهرة والنسب والولاء.

---

(1) الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية، محماس بن عبد الله الجلعود (1/ 164).

(2) المسلم بين الهوية الإسلامية والهوية الجاهلية، علي بن نايف الشحود (ص: 1).

(3) انظر: الجامع لأحكام القرآن (8/ 56).

(4) المرجع نفسه (8/ 57).

المطلب الثاني: الأمر بطاعة الله ورسوله والنهي عن مشاقتهما.

الله ﷻ أمر عباده المؤمنين، أن يطيعوه ورسوله ﷺ في آيات عدة من القرآن الكريم، ونجد أن سورة الأنفال قد ركزت على خمسة أوامر ترغيبًا وترهيبًا، ونبينها بالآتي:

أولًا: الأمر بالتقوى والإصلاح والطاعة:

أمر الله ﷻ الصحابة بالتقوى والإصلاح والطاعة، حتى يموت بينهم الخلاف الظاهر والباطن؛ ليصبحوا مؤمنين بالله وبدعوة نبيهم ﷺ، ولتزكية أنفسهم كما قال أبو حيان (ت: 745): ومعنى **﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾** [الأنفال: 1]، أي: "ليس فيها لأحدٍ من المهاجرين ولا من الأنصار ولا فوض إلى أحدٍ، بل ذلك مفوضٌ لله على ما يريده وللرسول حيث هو مبلغٌ عن الله الأحكام، وأمرهم بالتقوى ليزول عنهم التخاصم ويصيروا متحابين في الله وأمر بإصلاح ذات البين، وهذا يدل على أنه كانت بينهم مباينةٌ ومباعدةٌ ربما خيف أن تفضي بهم إلى فساد ما بينهم من المودة والمعافاة"(1).

وقال البقاعي (ت: 885): "ولما أمر ونهى هيج وألهب؛ فقال مبينًا كون الإيمان مستلزمًا للطاعة **﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾** [الأنفال: 1]"(2)، فدلهم القرآن الكريم على ثلاث صفات لأهل الإيمان:

1- **التقوى:** "هي ترك كل شيء تقع عليه؛ فهو في الآداب مكارم الأخلاق، وفي الترغيب أن لا يظهر ما في سره، وفي الترهيب أن لا يقف مع الجهل، ولا تصح التقوى إلا بالمقتدي بالنبي ﷺ وبالصحابة"(3).
2- **إصلاح ذات البين:** "هي برد أهل القوة عن أهل الضعف، أو بالتسليم لله ﷻ ورسوله ﷺ ليحكما في الغنيمة بما شاء"(4)؛ فكان صلاح ذات بينهم، إن ردوا الذي كانوا أعطوا ما كانوا أخذوا(5).

---

(1) البحر المحيط في التفسير (5/ 269).

(2) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي (8/ 219).

(3) تفسير التستري (ص: 71).

(4) تفسير القرآن، العز بن عبد السلام (1/ 524).

(5) انظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي (4/ 8).

3- **طاعة الله ورسوله:** "هو أمر بالطاعة المطلقة لله والرسول، وأمر بالسماع الدقيق لرسول الله ﷺ في شأن القتال وغيره في الظاهر والباطن، وبدون ذلك لا يكون نصره رباني، فالنصر الرباني مفتاحه وشرطه وسببه الطاعة الكاملة لله والرسول ﷺ، وقد كان هذا في حياة رسول الله ﷺ واضحا، وأما بعد وفاته عليه الصلاة السلام، فالطاعة لله ورسوله تكون بالتزام كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من قبل المسلمين أمراء وجند، ومن ثم طاعة الأمراء في الله، وبدون ذلك لا يقوم قتال ولا جهاد رباني"(1).

وهذا يدل على أن القرآن منهج حياة، به تحيا الأمة، كيف لا والنبي ﷺ، وهو خير خلق الله ﷻ، دلهم على الإيمان فقال تعالى: **﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾** [الأنفال: 2]؛ فإذا تليت آياته وجلت وخشعت قلوبهم وخافوا وارتعدت أوصالهم وهاجت من خشية الفراق فزاد الإيمان وأوكلوا أمرهم إلى ربهم جل وعلا في تدبير أرزاقهم، فقال تعالى: **﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ﴾** [الذاريات: 56، 57].

والذي يؤكد أن القلب محل العمل والإيمان، هم من جمعوا الصفات القلبية والعملية، لحديث النعمان بن بشيرٍ ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ، يقول **(أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ)**(2).

فبانت خيرة الصحابة ﷺ، عندما سألوا عن الأنفال، فكانت الإجابة أن يمتثلوا أمر الخالق، وهذا فيه أن الإنسان إذا رأى نزاعا بين المسلمين، أن يكون جازما برد الأمر إلى لله ورسوله، لقوله تعالى: **﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾** [النساء: 83].

فالأنفال لله والرسول، قطعا لطريق الاعتراض والسؤال، وأصلحوا ما بينكم من الأخلاق الردية والهمم الدنية وأطيعوا الله ورسوله، بالتسليم والائتمار، فيزداد إيمانكم بحسب تزايد أعمالكم(3).

---

(1) الأساس في التفسير، سعيد حوى (4/ 2146).

(2) صحيح مسلم، مسلم، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات (3/ 1219)، رقم الحديث (107).

(3) انظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، النيسابوري (3/ 379).

ثانيًا: الإعراض عن الطاعة من صفات الكافرين:

أمرهم ﷻ أن يقوموا بمقتضى الإيمان، الذي يدركون به معيته، فقال تعالى: **﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾** [الأنفال: 20]، فهذا شأن المؤمنين الذين دأبهم أن يقولوا **﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾** [البقرة: 285]، والموصوفين بقوله تعالى: **﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ (17) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾** [الزمر: 17، 18]، وألا يعرضوا عنه محذرا لهم، إن لم تسمعوا بأذانكم فلن تسمعوا بقلوبكم، لكنها لم تؤثِّر فيهم الآيات والنذر وقد أقام الله عليهم الحجة، لكنهم، كما قال محمد رشيد رضا (ت: 1354): "فقدوا فضيلة العقل الذي يميز بين الحق والباطل، ويفرق بين الخير والشر، إذ لو عقلوا لطلبوا، ولو طلبوا لسمعوا وميزوا، ولو سمعوا لنطقوا وبينوا، وتذكروا وذكروا، كما قال تعالى: **﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾** [ق: 37]"[1]، لكنهم عاندوا بعد الفهم، وكابروا بعد العقل، فكان غاية الذم، أن جعلهم من جنس البهائم، بل هم أضل، كما قال تعالى: **﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾** [الأعراف: 179]، وشبه الكافرين، فقال تعالى: **﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾** [البقرة: 171]، وتوعدهم فقال تعالى: **﴿وَيْلٌ لكل أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (7) يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾** [الجاثية: 7، 8]، لصرف جوارحهم عما خلقت له، فعلم الله ما في قلوبهم من عدم السماع، كما قال الرازي (ت: 606): "وتقرير الكلام لو حصل فيهم خير لأسمعهم الله الحجج والمواعظ سماع تعليم وتفهيم، ولو أسمعهم بعد أن علم أنه لا خير فيهم لم ينتفعوا بها، ولتولوا وهم معرضون"[2]، فختم الله على قلوبهم بالغشاوة والران، فقال تعالى: **﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾** [البقرة: 7]، وقوله تعالى: **﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾** [المطففين: 14].

وفيها إشارة تربوية: "إلى أن الإيمان لا تقوم حقيقته إلا على الطاعة لما تحمل دعوة الإيمان من أوامر ونواه"[3].

---

(1) تفسير المنار (9/ 521).

(2) التفسير الكبير (15/ 470).

(3) التفسير القرآني للقرآن، الخطيب (5/ 584).

ودلت الآية على أن قول المؤمن: "سمعت وأطعت، لا فائدة فيه ما لم يظهر أثر ذلك عليه بامتثال فعله، فإذا قصر في الأوامر فلم يأتها، واعتمد النواهي فاقتحمها فأي سمعٍ عنده وأي طاعة"[1].

ثالثًا: حياة المرء بالامتثال والاستجابة:

خاطب الله ﷻ المؤمنين بنداء بعد نداء، وهنا نقل المسألة، من سماع إلى استجابة؛ لأن مهمة السماع أن تستجيب، لقوله تعالى: **﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾** [الأنفال: 24]، فأمرهم أن يستجيبوا ويمتثلوا لأمر الله ورسوله ﷺ، إذا دعاهم لما فيه حياة سعيدة، تسعدهم في الدنيا والآخرة، وهو العلم؛ لأن العلم لا يقوم على العقل والقلم فقط، لكن الرجل المؤمن إذا علم لا بد أن يعمل بما علم، وعمله أن يستجيب لله ولرسوله بالعلم والدعوة والجهاد في سبيل الله تعالى، حتى يجمع المرء بين هذه الأساليب النافعة، كما قال إبراهيم الأبياري (ت: 1414)[2]: "لما يحييكم من علوم الديانات والشرائع، لأن العلم حياة والجهل موت"[3]، وقال ابن عاشور (ت: 1393): "والإحياء هذا مستعار لما يشبه إحياء الميت، وهو إعطاء الإنسان ما به كمال الإنسان، فيعم كل ما به ذلك الكمال من إنارة العقول بالاعتقاد الصحيح والخلق الكريم، والدلالة على الأعمال الصالحة وإصلاح الفرد والمجتمع، وما يتقوم به ذلك من الخلال الشريفة العظيمة، فالشجاعة حياة للنفس، والاستقلال حياة، والحرية حياة، واستقامة أحوال العيش حياة"[4].

ثم قال الله لأوليائه اعلموا أني أعلم ما في قلوبكم من الخير والشر، لأنه ﷻ يملك على المرء قلبه فيصرفه كيف يشاء، فيحول بينه وبين الكفر، إن أراد هدايته، وبينه وبين الإيمان، إن أراد ضلالته، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﵁: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: **(إِنَّ قُلُوبَ**

---

(1) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (7/ 388).

(2) **إبراهيم بن إسماعيل الأبياري:** (1320-1414هـ = 1902-1994م)، مؤرخ باحث من مشاهير تحقيقين المصريين، ولد بطنطا وتخرج بدار العلوم، اشتغل بدار الكتب المصرية، وعين مديرًا لإدارة إحياء التراث فمراقبًا عامًا لشؤون مجلس النواب والشيوخ، ثم كان أستاذًا للعربية بمعهد الدراسات الإسلامية بمدريد، ثم مستشارًا للمؤسسة الثقافية بوزارة الثقافة المصرية، ألف (تاريخ القرآن)، (الموسوعة القرآنية الميسرة) و(لطائف المعارف) وغيرها من الكتب، انظر: تكملة معجم المؤلفين، محمد خير بن رمضان (ص: 649)، وتتمة الأعلام، محمد خير ابن رمضان (1/ 9).

(3) الموسوعة القرآنية (9/ 555).

4) التحرير والتنوير، ابن عاشور (9/ 312).

بَنِي آدَمَ **كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ** ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(اللهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ)**[1]، وورد عن شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ، قَالَ: قُلْتُ لأُمِّ سَلَمَةَ ﵂: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ مَا كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذَا كَانَ عِنْدَكِ؟ قَالَتْ: كَانَ أَكْثَرُ دُعَائِهِ: **(يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ)** قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا لأَكْثَرِ دُعَائِكَ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ؟ قَالَ: **(يَا أُمَّ سَلَمَةَ إِنَّهُ لَيْسَ آدَمِيٌّ إِلاَّ وَقَلْبُهُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ، فَمَنْ شَاءَ أَقَامَ، وَمَنْ شَاءَ أَزَاغَ)**، فَتَلاَ مُعَاذٌ **﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾** [آل عمران: 8])[2].

وفيه حث على المبادرة بالأعمال قبل حلول المنية، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **(بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ سَبْعًا هَلْ تُنْظَرُونَ إِلاَّ إِلَى فَقْرٍ مُنْسٍ، أَوْ غِنًى مُطْغٍ، أَوْ مَرَضٍ مُفْسِدٍ، أَوْ هَرَمٍ مُفَنِّدٍ، أَوْ مَوْتٍ مُجْهِزٍ، أَوِ الدَّجَّالِ فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ، أَوِ السَّاعَةِ فَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ)**[3].

تنبيه: فيه تنبيه من الله ﷻ للإنسان، أنه كلما كان أقرب إلى الموت، كان أقرب إلى الله ﷻ، من أن ينسى ربه وهو يعلم أن منيته أقرب إلى الله من حبل الوريد، مصداقا لقوله تعالى: **﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾** [ق: 16].

فمن التوجيهات الجميلة: أن الناظر في هذه السورة، يجد، كما أن العبد يستجيب لله ولرسوله في الأوامر والنواهي؛ فإن الله ﷻ يستجيب لأوليائه إذا دعوه في السرّاء، وتكون معيته أقرب منهم عند الضراء، إذا بلغت القلوب الحناجر، فإنهم يستغيثون ربهم، فقال تعالى: **﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾** [الأنفال: 9]، فكان حقا على الله ﷻ أن يستجيب لهم تفريجا وفرحة لهم، **﴿أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾** [الأنفال: 9].

---

(1) صحيح مسلم، مسلم، كتاب القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء (4/ 2045)، رقم الحديث: (17).

(2) جامع الترمذي، الترمذي، أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب 90 (5/ 423)، رقم الحديث (3522)، وقال الألباني: صحيح.

(3) جامع الترمذي، الترمذي، أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في المبادرة بالعمل (4/ 128)، رقم الحديث (2306). وقال الترمذي حسن غريب.

وهذا يؤكد المعادلة الربانية التي اشترطها على عباده، فقال تعالى: **﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾** [محمد: 7]، وقول النبي ﷺ **(احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ)**[1]، فالجزاء من جنس العمل **﴿جَزَاءً وِفَاقًا﴾** [النبأ: 26].

وفيه أن أعمالكم تنجيكم من أعدائكم في الدنيا، ومن غضب ربكم في الآخر **﴿وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾** [الأنفال: 24]

رابعًا: التنازع على الدنيا يؤدي إلى الفشل:

إن من أسباب النصر طاعة لله ورسوله لقوله تعالى: **﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (45) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (46) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾** [الأنفال: 45، 46، 47].

قال عبد القادر بن ملا حويش[2]، في قوله تعالى: **﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾** [الأنفال: 46]، "لأنها من واجبات النصر أيضا، وتباعدوا عن معصية الله ورسوله، لأنكم في حالة أشد احتياجا إلى رحمته من غيرها، وهذان العنصران، طاعة الله وذكره، من أقوى الأسباب الداعية للنصر والثبات وخذلان العدو"[3].

طاعة الله وسوله: بالتمسك بالكتاب والسنة، قال الله تعالى لنبيه ﷺ وهو خير قدم دبت على هذه الأرض: **﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾** [الزخرف: 43].

وهو نفسه ﷺ أوصى صحابته وأمته من حديث الْعِرْبَاضَ بْنِ سَارِيَةَ ﷺ فقَالَ: **(عَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، وَسَتَرَوْنَ مِنْ بَعْدِي اخْتِلَافًا شَدِيدًا، فَعَلَيْكُمْ**

---

(1) مسند أحمد، أحمد، مسند بني هاشم، مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب (1/ 303)، رقم الحديث (2763)، وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح.

(2) **عبد القادر بن ملا حويش السيد محمود الغازي العاني:** ولد الشيخ في بلدة عانة 1880م، وتلقى علومه الابتدائية والإعدادية في المدارس الحكومية، ثم درس الفقه في المدرسة الشرعية بدير الزور، واستمر في أوقات فراغه يتلو علوم القرآن الكريم والنحو والصرف والفقه، ويعطي الدروس لطلاب كليتي الحقوق والشريعة في مجلسه حتى قبيل وفاته، حيث أقعده المرض، توفي يوم الخميس 1978/2/23، انظر: تكملة معجم المؤلفين، محمد خير بن رمضان (ص: 699).

(3) بيان المعاني، ملا حويش آل غازي عبدالقادر (5/ 296).

بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْأُمُورَ الْمُحْدَثَاتِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ)[1].

فإن الأمة إذا تركت كتاب ربها وسنة رسولها ﷺ، أصابها من الذل والهوان ما الله به عليم، وذلك مصداقا لقول النبي ﷺ قَالَ: **(تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ)**[2].

وإن من أسباب الهزيمة عدم طاعة الله ورسوله وبها يتولد النزاع بين الجيش ويحصل الضعف والقيل والقال، بذلك يذهب ريح النصر، كما قال أبو الطيب محمد صديق خان: (ت: 1307)[3] في قوله تعالى: **﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا﴾** [الأنفال: 46]، "فيه النهي عن التنازع، وهو الاختلاف في الرأي، فإن ذلك يتسبب عنه الفشل وهو الجبن في الحرب"[4]، وقال الطبراني (ت: 360)، أي: "لا تختلفوا فيما بينكم في لقاء العدو والتقدم إلى قتالهم فتجبنوا من عدوكم"[5]، وقال الألوسي (ت: 1270): **﴿فَتَفْشَلُوا﴾** "أي: فتجبنوا عن عدوكم وتضعفوا عن قتالهم"[6]، مصداقا لقوله تعالى يوم أن ألتقى الجمعان: **﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾** [الأنفال: 43].

وقال الطبراني (ت: 360) في قوله تعالى: **﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾** [الأنفال: 46]، قال قتادةُ (ت: 117): "يعني ريح النصر التي يبعثها الله مع من ينصره" وكما قيل عن ابن عباسٍ، عن النبي ﷺ، أنه قال: **(نُصِرْتُ بِالصَّبَا، وَأُهْلِكَتْ عَادٌ بِالدَّبُورِ)**[7]، وقيل: "معناه وتذهب دولتكم

---

(1) سنن ابن ماجه، أبواب السنة، باب اتباع سنة الخلفاء (1/ 28)، رقم الحديث (42)، وقال شعيب: صحيح.

(2) موطأ مالك، مالك، كتاب القدر، النهي عن القول بالقدر (5/ 1323)، رقم الحديث (3338)، وقال الألباني: حسن، انظر: مشكاة المصابيح (1/ 66).

(3) **صديق حسن خان:** (1248- 1307 هـ = 1832- 1890 م)، من رجال النهضة الإسلامية المجددين، ولد ونشأ في قنوج (بالهند) وتعلم في دهلي، وسافر إلى بهوپال طلبا للمعيشة، ففاز بثروة وافرة، قال في ترجمة نفسه: (ألقى عصا الترحال في محروسة بهوپال، فأقام بها وتوطن وتمول، واستوزر وناب، وألف وصنف، وتزوج بملكة بهوبال، ولقب بنواب عالي الجاه أمير الملك بهادر، له نيف وستون مصنفا بالعربية والفارسية والهندوسية، منها بالعربية (أبجد العلوم) و(فتح البيان في مقاصد القرآن) عشرة أجزاء في التفسير، انظر: موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، أبو سهل محمد بن عبد الرحمن المغراوي (9/ 139).

(4) فتح البيان في مقاصد القرآن (5/ 188)

(5) تفسير القرآن العظيم المنسوب للإمام الطبراني (3/ 80).

(6) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (5/ 210).

(7) صحيح مسلم، مسلم، كتاب صلاة الاستسقاء، باب في ريح الصبا والدبور (2/ 617)، رقم الحديث (17).

وقوتكم، وقال مجاهد (ت: 104): وتذهب نصرتكم، وقال السدي[1] (ت: 127): جرأتكم وحدتكم وجلدكم"[2].

وقال أبو الطيب محمد صديق خان (ت: 1307)، (والريح): "القوة والنصر كما يقال: الريح لفلان، إذا كان غالبا في الأمر، وقيل: الريح الدولة، شبهت في نفوذ أمرها بالريح في هبوبها، ومنه قول الشاعر:

إذا هبت رياحك فاغتنمها * فعقبى كل خافقة سكون[3]**

وقيل: المراد بالريح ريح الصبا، لأن بها كان ينصر النبي ﷺ"[4].

ففيه أمر بعدم التنازع بين أهل الإيمان؛ لأنهم أخوة في الدين والعقيدة لقوله تعالى: **﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾** [الحجرات: 10]، أمروا أن يعتصموا ولا يتفرقوا لأن الفرقة ضعف لقوله تعالى: **﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ...﴾** [آل عمران: 103].

وعن أبي موسى رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **(الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا)**[5]، وعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى)**[6].

فهناك صراع دائم بين الحق والباطل إلى يوم القيامة، وأما من ينادي بوحدة الأديان بين اليهود والنصارى، والتقارب بين الشيعة وأهل الإيمان من المسلمين الموحدين؛ فهذا تمييع في الدين وتلبيس في الحق، والله تعالى قال: **﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾** [البقرة: 42].

---

(1) **إسماعيل بن عبد الرحمن السدي**: تابعي، حجازي الأصل، سكن الكوفة. قال فيه ابن تغري بردي: (صاحب التفسير والمغازي والسير، وكان إماما عارفا بالوقائع وأيام الناس، توفي: (128هـ)، انظر: الأعلام، الزركلي (1/ 317).

(2) تفسير القرآن العظيم المنسوب للإمام الطبراني (3/ 80).

(3) ديوان الإمام الشافعي (ص: 117).

(4) انظر: نيل المرام من تفسير آيات الأحكام، أبو الطيب محمد صديق خان (ص: 313).

(5) صحيح البخاري، البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب نصر المظلوم (3/ 129) رقم الحديث (2446).

(6) صحيح مسلم، مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم (4/ 1999) رقم الحديث (66).

أما المنازعة بالحجة لإظهار الحق فهذا جائز، وهذا مما رغب فيه الشرع ودعا إليه فقال تعالى: **﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾** [النحل: 125]؛ ليكون جدال يكون فيه ارتقاء في الأداء والعمل، وإصلاح بين الذات والناس، ورقي بالتقوى والطاعة لله ورسوله لقوله تعالى: **﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾** [الأنفال: 1].

وفيه سبب أن يؤلف الله بين قلوب أوليائه: **﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: 63].**

خامسًا: معاداة الله ورسوله سبب للعذاب في الدنيا والآخرة:

بعد أن ذكر الله جل وعلا ما تفضل به على المؤمنين بكل أنواع الكرامات، التي جعلها الله للمؤمنين بشرى لهم ولتطمئن قلوبهم بنصر الله ﷻ، بين لهم في المقابل ما جعله الله للكافرين من الرعب والخوف، وما دلهم به على كيفية مقاتلة أعداء الله تعالى، ثم بين لهم سبب هذه الكرامات للمؤمنين والعقاب للكافرين، لأنهم ابتعدوا عن الله ورسوله، بهذا قال أبو الطيب محمد صديق خان (ت: 1307): "**﴿ذَلِكَ﴾**، إشارة إلى ما وقع عليهم من القتل والأسر ودخل في قلوبهم من الرعب **﴿بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾** [الأنفال: 13]، أي: بسبب مشاقتهم"[1].

وقال أبو زهرة[2]: "والإشارة إلى الرعب الذي ألقاه الله في قلوبهم، وإلى إمداد الملائكة للمؤمنين، وإلى تثبيت الملائكة لقلوب المؤمنين، وإلى الغلب في المعركة، وأمر الله للمؤمنين أن يضربوا رؤوسهم وأطرافهم، كل ذلك لأنهم شاقوا الله ورسوله، أي صاروا في شق، والله ورسوله في شق آخر، يحادون الله ورسوله، ويغالبونهم حاسبين أنهم الغالبون، وقوله تعالى: **﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾** [الأنفال: 13]، سماه الله عقابا لهم، للإشارة إلى أنهم ليسوا في مقام المغالبة لله، بل إنهم في مقام من يؤدبون ويعاقبون ويُردون خاسئين"[3]، فصار النبي ﷺ وصحابته في شق، وهؤلاء المعاندون في شق آخر، ينابذون أولياء الله ورسوله، كما قال ابن قتيبة (ت: 276) في قوله تعالى: **﴿شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾** [الأنفال: 13]، "نابذوه وباينوه"[4]، وهذا يعني، كما أن الله ﷻ

---

(1) فتح البيان في مقاصد القرآن (5/ 144).

(2) **محمد بن أحمد بن مصطفى المعروف بأبي زهرة:** ولد في المحلة الكبرى التابعة لمحافظة الغربية بمصر في (6 من ذي القعدة 1315هـ=29 من مارس 1898م)، ونشأ في أسرة كريمة عنيت بولدها، وقد حفظ الطفل القرآن الكريم، وأجاد تعلم مبادئ القراءة والكتابة، وكتب مؤلفات كثيرة تمثل ثروة فكرية ضخمة عالج فيها جوانب مختلفة في الفقه الإسلامي، توفي الشيخ سنة 1394هـ=1974م، انظر: الأعلام، الزركلي (6/ 25).

(3) زهرة التفاسير، أبو زهرة (6/ 3081).

(4) غريب القرآن (ص: 153)0

حاربهم بأوليائه في الدنيا، فإن لهم أيضا عذاب النار يوم القيامة؛ ليذيق الله بأس الذين كفروا وحاربوا رسول الله ﷺ، وبهذا قال الخازن (ت: 741هـ) "يعني أن الذي نزل بهم في ذلك اليوم من القتل والأسر شيء قليل، فيما أعد الله لهم من العقاب يوم القيامة، ثم قال تعالى: **﴿ذَٰلِكُمْ﴾** [الأنفال: 14]، إشارة إلى القتل والأسر الذي نزل بهم **﴿فَذُوقُوهُ﴾** [الأنفال: 14]، يعني عاجلا في الدنيا؛ لأن ذلك يسير بالإضافة إلى المؤجل الذي أعده الله لهم في الآخرة من العذاب وهو قوله: **﴿وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ﴾** [الأنفال: 14]، يعني في الآخرة[1].

التوجيهات التربوية من خلال الأمر بطاعة الله ورسوله والنهي عن مشاقتهما:

1- المؤمنون حقا لا تستعبدهم المطامع المادية، ولا يثيرون الفتن، ويحسنون الصلة بالله، ويقدمون خير الجماعة ومصلحتها على خير أنفسهم، ويؤدون ما عليهم من حقوق الله والمجتمع[2].
2- بعدما بين لهم الصفات الداخلية، أمرهم أن تظهر على الجوارح، وتنقسم إلى قسمين:

أ- **حق الله تعالى:** وهي إقامة الصلاة.

ب- **حق العباد:** وهو أنفاق مما تحبون حبا جما.

3- يزيد الإيمان بالطاعات وينقص بالمعاصي.
4- أن قول المؤمن: سمعت وأطعت، لا فائدة فيه ما لم يظهر أثر ذلك عليه بامتثال أمر الله ﷻ[3].
5- حياة المرء بالعلم من إنارة العقول بالاعتقاد الصحيح والخلق الكريم، والدلالة على الأعمال الصالحة وإصلاح الفرد والمجتمع[4].
6- لا تختلفوا فيما بينكم في لقاء العدو، والتقدم إلى قتاله فتجبنوا أمامه فتهزمون.
7- المنازعة بالحجة لإظهار الحق جائز، بل أمر به الشارع.

---

(1) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل (2/ 299)، وتفسير القرآن العزيز، ابن أبي زمنين (2/ 169).

(2) انظر: التفسير التربوي للقرن الكريم، أنور الباز (ص: 531).

(3) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (7/ 388).

(4) انظر: الموسوعة القرآنية، إبراهيم بن إسماعيل الأبياري (9/ 555).

المطلب الثالث: استشعار معية الله وأثرها على المؤمنين.

أولًا: المسلمون والغنائم:

اختلف المسلمون في مصير الغنائم؛ فجعلها الله ﷻ له ولرسوله ﷺ، وأمرهم بالطاعة، مبينا صفات المؤمنين، قال البقاعي (ت: 885): "لما حققوا إيمانهم بأفعال القلوب والجوارح والأموال، فاستوفوا بذلك جميع شعب الدين، فعظم ﷻ شأنهم بقوله: **﴿أُولَئِكَ﴾**، أي: العالو الهمم **﴿هُمُ﴾**، أي: خاصة **﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾**، وأكد مضمونها بقوله: **﴿حَقًّا﴾**، ولما كانت صفاتهم الخمس المذكورة المشتملة على الأخلاق والأعمال لها تأثيرات في تصفية القلوب وتنويرها بالمعارف الإلهية، فكلما كان المؤثر أقوى كانت التأثيرات أعلى، فلما كانت هي درجات كان جزاؤها كذلك، **﴿لَهُمْ دَرَجَاتٌ﴾**، ولما كثرها، عظمها بقوله: **﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾** أي: بتسليمهم لأمره، ولما كان قدر الله عظيمًا، وكان الإنسان عن بلوغ ما يجب عليه من ذلك ضعيفًا حقيرًا، أشار ﷻ إلى أنه لا يسعه إلا العفو ولو بذل فوق الجهد فقال: **﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾**، أي: لذنوبهم إن رجعوا عن المنازعة في الأنفال وغيرها، ايضا: **﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾**، أي: لا ضيق فيه ولا كدر، فهو يغنيهم عن هذه الأنفال، ويملأ أيديهم من الأموال من غنائم فارس والروم وغير ذلك، هذا في الدنيا، وأما في الآخرة فما لا يحيط به الوصف"[1]، قال أبو حيان (ت: 745): "لما تقدمت ثلاث صفات قلبية وهي الوجل وزيادة الإيمان والتوكل وبدنية ومالية، ترتب عليها ثلاثة أشياء، فقوبلت الأعمال القلبية بالدرجات والبدنية بالغفران"[2].

ثانيًا: معية الله مع المجاهدين:

لما كان الجهاد أمرًا قد حتمه الله فلا بد من وقوعه: **﴿فِي الْحَقِّ﴾**، أي: "الذي هو إيثار الجهاد **﴿بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ﴾**، أي: وضح وضوحًا عظيمًا سهلًا من غير كلفة نظر بقرائن الأحوال، بفوات العير وتيسير أمر النفير وبإعلام الرسول ﷺ لهم تارة صريحًا وتارة تلويحًا"[3]، فعن أنس ابن مالك ﷺ، أن رسول الله ﷺ، ترك قتلى بدر ثلاثا، ثم أتاهم فقام عليهم فناداهم، فقال: **(يا أبا جهل بن هشام يا أمية بن خلف يا عتبة بن ربيعة يا شيبة بن ربيعة أليس قد وجدتم ما وعد**

---

(1) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (8/ 222).

(2) البحر المحيط في التفسير (5/ 272).

(3) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي (8/ 223).

ربكم حقا؟ فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقا)[1]، وقد ركز القرآن على تدمير معنويات الخصوم، وتحدث عن هزيمتهم عسكريًا بصيغة الجزم المستقبلي بقوله تعالى: **﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾** [القمر: 45]، قال الطبري (ت: 310)[2] والقرطبي (ت: 671)[3]: "كان ذلك يوم بدر"، فالحديث عن الهزيمة المسبقة للخصم بالشكل الجازم الذي استخدمه القرآن له وقع السحر عليه الخصوم قبل الدخول في المعركة، بل وقبل التفكير في خوضها، إذ تنهار معنوياته إلى درجة أنه يدرك الهلاك، وكفى بهذا الشعور في تحطيم المعنويات[4].

وتسليم المؤمنين لله ولرسول ﷺ، وإن كانوا كارهين لذلك، نصرة له ولديننا الحنيف، وذلك لما كان ﷻ قد حكم باللقاء والنصرة تأييدًا لوليه وإعلاء لكلمته مع شدة كراهتهم لذلك، شبه سوقه لهم إلى مراده **﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ﴾**، أي: يسوقهم سائق لا قدرة لهم على ممانعته **﴿إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾**، وكانوا في غاية الهيبة للقائهم والرعب من قتالهم، وكل هذا تذكير لهم بأنه لم ينصرهم إلا الله، بل كانوا في يد قدرته كالآلة في يد أحدهم، لذلك ليس لهم أن ينازعوا في الأنفال، ولما لانوا بهذا الخطاب، وأقبلوا على الملك التواب، أقبل عليهم فقال: **﴿وَإِذْ﴾**، أي: واذكروا إذ **﴿يَعِدُكُمُ اللَّهُ﴾**، أي: الجامع لصفات الكمال **﴿إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ﴾**، العير أو النفير **﴿أَنَّهَا لَكُمْ﴾**، أي: فتكرهون لقاء ذات الشوكة **﴿وَتَوَدُّونَ﴾**، أي: والحال أنكم تحبون محبة جمة **﴿غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ﴾**، أي: السلاح والقتال والكفاح الذي به تعرف الرجال من ذوات الحجال **﴿تَكُونُ لَكُمْ﴾**، أي: العير لكونها لم يكن فيها إلا ناس قليل، يقال: إنهم أربعون رجلًا، ثم تبين لكم أن ما فعله الله خير لكم، فسلموا له الأمر في السر والجهر[5].

ولما سلموا أمرهم لله ورسوله ﷺ ذكرهم الله **﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾** [الأنفال: 9]، أنهم استغاثوا ربهم لكن في الحقيقة الذي استغاث هو رسول الله ﷺ فقط، وكذلك تبين النصر للنبي ﷺ في قوله تعالى: **﴿بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ﴾** [الأنفال: 6]، ايضا ذكرهم أنهم هم من رأوا النصر وهذا لعلو مرتبتهم عند الله ﷻ[6].

---

(1) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه (4/ 2203)، رقم الحديث (77).

(2) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (11/ 81).

(3) الجامع لأحكام القرآن (17/ 145).

(4) انظر: فقه الحرب النفسية في ضوء سورة الأنفال، د. أحمد قطران (ص: 188).

(5) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي (8/ 221- 224).

(6) انظر: تأويلات أهل السنة، الماتريدي (5/ 159).

ثم طمأن قلوبهم وأعلمهم أن النصر من عند الله ﷻ، وذلك لما كان النعاس آية الموت، ذكر بعده آية الحياة فقال: **﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ﴾**، غيثا مغيثا هنيئا مريعا نافعا غير ضار **﴿مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾**، لماذا **﴿وَلِيَرْبِطَ﴾**، أي: بالصبر واليقين **﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ﴾**، أي: بالربط بالغيث **﴿الْأَقْدَامَ﴾**، أي: لعدم الخوف، فإن الخائف لا تثبت قدمه في المكان الذي يقف به، بل تصير رجله تنتقل من غير اختيار أو بتلبيد الرمل، وبهذا قال تعالى: **﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 216]**، فكانت من الآيات قبل المعركة النعاس الذي أصابهم، والماء الذي طهر أبدانهم من وساوس الشيطان حتى تثبت أقدامهم عند مواجهة أعداء الله ﷻ؛ فكانت النتيجة أن الله ألقى في قلوبهم الطمأنينة والبشرى بالإمداد، وقد ناسب أن يذكر لهم أنه أتبع القول الفعل فألقى في قلوبهم، بعزته وحكمته، الطمأنينة والأمن والسكينة بدليل النعاس الذي غشيهم في موضع هو أبعد الأشياء عنه وكذا المطر وأثره، ثم بين لهم احكام القتال، من التحريف والتحيز إلى جماعة المسلمين وحرمة التولي من الزحف، لأن الذي يرمي ويقتل هو الله وإنما أنت سبب في القتل[1].

ثالثًا: مصير الكافرين أمام المؤمنين:

في المقابل، ألقى الله في قلوب الكافرين الرعب، ثم حذر الله المؤمنين إن عادوا إلى الكفر، أعادهم إلى الذل والهوان، كما هو حاصل في بلاد المسلمين اليوم، يخافون أن يتخطفهم اليهود والنصارى وأعداء الله ﷻ في مشارق الأرض ومغاربها.

يوم أن امتثلوا أمر الله ﷻ، فكان حقا على الله أن يدافع عن المؤمنين لقوله تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾** [الحج: 38]، ذلك يوم أن طلب المشركون من الله ﷻ أن ينصر أعز الفئتين، فعن السدي (ت: 127) قال: "كان المشركون حين خرجوا إلى النبي ﷺ من مكة، أخذوا بأستار الكعبة واستنصروا الله وقالوا: "اللهم انصر أعز الجندين، وأكرم الفئتين، وخير القبيلتين فقال الله تعالى: **﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ﴾** [الأنفال: 19]، يقول: نصرت ما قلتم، وهو محمد ﷺ"[2]، ثم أكد إن تعودوا إلى العناد والقتال نعد **﴿وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ﴾** [الأنفال: 19]، وقوله تعالى: **﴿وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ (38) وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾** [الأنفال: 38، 39]، أي: نعد إلى هزيمتكم كما فعلنا بكم يوم بدر، ثم يأسهم من الانتصار في

---

(1) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي(8/ 237).

(2) تفسير السدي الكبير (ص: 279).

المستقبل كله ﴿وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: 19]، أي: لا تنفعكم جماعتكم على كثرتها كما لم تغن عنكم يوم بدر[1].

فالذي يبحث عن الفضيلة يحب أن يكون الناس مثله، وفي المقابل من يبحث عن الرذيلة والكفر يحب أن يكونوا مثله، وهذه طبيعة البشر، لهذا أمر الله عباده أن يكونوا من المتقين حتى يفرق الله بين الحق والباطل ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: 29]، لكن الكافرين لا يحبون المتقين وإن كانوا لا يؤذونهم؛ فيضيقون عليهم بشتى سبل التضيق، من الحبس والقتل والنفي والتعذيب، وغيرها من الأساليب الشيطانية حتى يسقطوهم في اعمال الكفر، لكن الله تعهد في كتابه المحفوظ من فوق سبع سموات أن يحفظ أولياءه من أعدائهم، فكان القول الفصل، للثابتين على الجمر ﴿وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: 30]، لأن الله حافظ دعوة نبيه ﷺ.

رابعًا: أهمية العبادة في العباد:

إذا كان الله لم يعذب الكافرين كرامة لنبيه ﷺ لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: 33]، فكيف بمن هو على صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أوليك رفيقا ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: 33].

بين ﷻ بطلان صلاة المشركين ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال: 35]، في المقابل أثني وحث على صلاة المؤمنين ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ [الأنفال: 3]، بل ويعطي ثوابها، حسنات في جنات ونهر في مقد صدق عند مليك مقتدر.

بين ﷻ سبيل من يصد عن سبيله بماله وأين مأواه ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ [الأنفال: 36]، وفي المقابل، بين أولئك الذين ينفقون في سبيل الله، كيف يدخرها لهم ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: 60]، لهم درجات عند ربهم جزاء ما أنفقوا ﴿لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: 4].

---

(1) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (9/ 299).

التوجيهات التربوية من خلال استشعار معية الله وأثرها على المؤمنين:

1- الحديث عن الهزيمة المسبقة للخصم، تهزم معنوياته إلى درجة أنه يدرك الهلاك، وكفى بهذا الشعور في تحطيم المعنويات[1].

2- يثبت الله الذين ءامنوا به معنويا ومشاهدة، وذلك لما استصغروا أنفسهم من قلة عددهم، وعدم حبهم للخروج، أراهم الله ﷻ مشاهدة، أن هؤلاء قليلون وإن كانوا كثيرين.

3- العبادة ليست عبارة عن حركات بالقدر الذي يريده الله من عباده الإخلاص بقلوبهم.

4- لا يستفيد الكفار من بذلهم أموالهم في الإنفاق الذي يقصد به الصد عن سبيل الله، أي منع الناس من دعوة الإسلام، إلا الحسرة والخيبة في الدنيا، والعذاب الشديد في الآخرة، وهو يوجب الزجر العظيم عن ذلك الإنفاق[2].

---

(1) انظر: فقه الحرب النفسية في ضوء سورة الأنفال، د. أحمد قطران (ص: 188).

(2) انظر: التفسير المنير، الزحيلي (9/ 319).

المبحث الثاني: التربية الإيمانية

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الذكر وأثره في زيادة ونقص الإيمان

المطلب الثاني: التعبئة الإيمانية قبل التعبئة الجهادية

المطلب الثالث: التربية على أركان الإيمان

المبحث الثاني: التربية الإيمانية.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الذكر وأثره في زيادة ونقص الإيمان.

أولًا: الذكر يثبت القلوب عند لقاء العدو.

تتوالى التوجيهات الإلهية لعباده المؤمنين ليكونوا مجتمع الصفوة والنصر[1] بقوله تعالى: **﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾** [الأنفال: 45]، خاطب الله المتوجهين السائرين إليه، وأمرهم بالثبات ودوام السير، وبالصبر ولزوم الذكر عند ملاقاة القواطع والمشاغل، وكل ما يصدهم عن طريق الخلاص، وذلك بالاشتغال عنه وعدم الإصغاء إليه، فمن صبر ظفر، وما دام على السير في الهدى والتقى، ولزم السمع والطاعة لله ولرسوله؛ فمن غير وبدل فقد طعن وتنكر، وهو على غير طريق المخلصين في أعمالهم وأحوالهم[2].

المراد من هذا الذكر الدعاء بالنصر والظفر؛ لأن ذلك لا يحصل إلا بمعونة الله تعالى، ثم قال الله تعالى: **﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾** [الأنفال: 45]، وهذا هو أعظم مقامات العبودية، فإن غلب الخصم فاز بالثواب والغنيمة، وإن صار مغلوبا فاز بالشهادة والدرجات العالية[3]، وقال ابن عباس ﷺ (ت: 68): "كي تسعدوا أو تبقوا في الجنة فإنما هما خصلتان: إما الغنيمة وإما الشهادة"[4].

ثانيًا: الذكر سبب للخشوع وزيادة الإيمان.

"من أبرز صفات المؤمنين الصادقين، التجاوب العقلي والروحي والعملي مع آيات الذكر الحكيم: **﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾** [الأنفال: 2]"[5]، قال أبو العباس أحمد البرنسي، المعروف بـ زروق (ت:

(1) السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني، أحمد أحمد غلوش (ص: 298).

(2) انظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ابن عجيبة (3/ 48).

(3) انظر: التفسير الكبير، الرازي (15/ 489).

(4) الوسيط في تفسير القرآن المجيد، الواحدي (10/ 182).

(5) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر (1/ 8).

899)[1]: "فجعل الذكر فرع التلاوة، والهداية مسببة عنها، وجعل فيها الذكر مفيدا للتأثير الحالي، والتلاوة مفيدة زيادة الإيمان، وهو أقوى"[2].

1- وجل قلب المؤمن دلالة على الإيمان.

حصر الله المؤمنين الذين إذا ذكروا الله، وجلت قلوبهم بقوله تعالى: **﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾** [الأنفال: 2]، أو اقشعرت أجسادهم لقوله تعالى: **﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾** [الزمر: 23]، أو اطمأنت قلوبهم لقوله تعالى: **﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾** [الرعد: 28]، أو انشرحت صدروهم، لقوله تعالى: **﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (97) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾** [الحجر: 97، 98]، وقوله تعالى: **﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾** [الشرح: 1].

2- الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعاصي.

إذا تليت على المؤمنين آيات من الذكر الحكيم، تذكروا أن لهم ربًا يغفر الذنب ويقبل التوب، فيزدادوا إيمانا مع إيمانهم كما قال ﷻ في المؤمنين إيمانا حقا: **﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾** [الأنفال: 2]، وبذلك قال ابن القيم (ت: 751): "وبالجملة فلا شيء أنفع للقلب من قراءة القرآن بالتدبر والتفكر؛ فإنه جامع لجميع منازل السائرين وأحوال العاملين ومقامات العارفين، وهو الذي يورث المحبة والشوق والخوف والرجاء والإنابة والتوكل والرضا والتفويض والشكر والصبر وسائر الأحوال، التي بها حياة القلب وكماله"[3]، فمن أهم أسباب زيادة الإيمان: "العلم؛ فالاستزادة منه سبب في زيادة اليقين والمعرفة"[4]، "فكلما علم العبد

---

(1) **أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي أبو العباس، زروق:** فقيه محدث صوفي، ولد بالمغرب (846- 899هـ = 1442- 1493م)، من أهل فاس، مات أبواه قبل تمام أسبوعه، فنشأ يتيما وحفظ القرآن، تفقه في بلده وقرأ بمصر والمدينة، وغلب عليه التصوف فتجرد وساح، وتوفي في تكرين من أعمال طرابلس الغرب، من كتبه (شرح مختصر خليل)، في فقه المالكية، و(النصيحة الكافية لمن خصه الله بالعافية)، و(القواعد)، في التصوف، وغيرها، انظر: الأعلام، الزركلي (1/ 91)، وسلم الوصول إلى طبقات الفحول، القسطنطيني (1/ 226)، والضوء اللامع لأهل القرن التاسع، السخاوي (1/ 222).

(2) عدة المريد الصادق (ص: 83).

(3) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم (1/ 187).

(4) التربية السلوكية في ضوء القرآن الكريم، أ. د. مصطفى رجب (ص: 137).

شيئًا عن الله وصفاته ازداد إيمانه"[1] كما قال الله تعالى: **﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾** [الذاريات: 55] وقال تعالى: **﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى (9) سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى﴾** [الأعلى: 9، 10]"[2].

أ- أدلة زيادة الإيمان ونقصانه.

ذكر البخاري (ت: 256)، في صحيحه (كتاب الإيمان)، باب قول النبي ﷺ: **(بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ)**، وهو قولٌ وفعلٌ، ويزيد وينقص، قال الله تعالى: **﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾** [الفتح: 4]، **﴿وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾** [الكهف: 13]، **﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾** [مريم: 76]، **﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾** [محمد: 17]، وقوله: **﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾** [المدثر: 31]، وقوله: **﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾** [التوبة: 124]، وَقَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: **﴿فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾** [آل عمران: 173]، وقوله تعالى: **﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾** [الأحزاب: 22]، فالحب في الله والبغض فيه من الإيمان، وكتب عمر ابن عبد العزيز (ت: 101)، إلى عدي بن عديٍ[3] (ت: 120): (إن للإيمان فرائض، وشرائع، وحدودًا، وسننًا، فمن استكملها استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان، فإن أعش فسأبينها لكم حتى تعملوا بها، وإن أمت فما أنا على صحبتكم بحريصٍ)، وقال إبراهيم عليه السلام: **﴿وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾** [البقرة: 260]، وقال معاذ بن جبلٍ رضي الله عنه (ت: 18): (اجْلِسْ بِنَا نُؤْمِنْ سَاعَةً)، وقال ابن مسعودٍ رضي الله عنه: (اليَقِينُ الإِيمَانُ كُلُّهُ)[4]، وقال الترمذي (ت: 279): باب ما جاء في استكمال الإيمان وزيادته ونقصانه، وساق فيه حديث عائشة رضي الله عنها (ت: 57)، قالت: قال رسول الله ﷺ: **(إِنَّ مِنْ أَكْمَلِ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا وَأَلْطَفُهُمْ بِأَهْلِهِ)**[5]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ)**[6]، وعَنْ حَنْظَلَةَ الْأُسَيِّدِيِّ رضي الله عنه قَالَ: وَكَانَ مِنْ كُتَّابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه، فَقَالَ: كَيْفَ

---

(1) العقيدة في الله، عمر الأشقر (ص: 217).

(2) زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه، عبد الرزاق البدر (ص: 229).

(3) عديّ بن عدي بن عميرة بن فروة، من بني الأرقم، من كندة: سيد أهل الجزيرة في رمانه، كان ناسكا فقيها. ولاه سليمان بن عبد الملك قضاء الجزيرة وأرمينية وأذربيجان، وأقره عمر بن عبد العزيز، توفى (121هـ)، انظر: الأعلام، الزركلي (4/ 221)

(4) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: بني الإسلام على خمس (1/ 10)، بدون.

(5) جامع الترمذي، الترمذي، أبواب الإيمان عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في استكمال الإيمان وزيادته ونقصانه (4/ 305)، رقم الحديث (2612)، وقال حديث حسن.

(6) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان (1/ 11)، رقم الحديث (9).

أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ قَالَ: قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ مَا تَقُولُ قَالَ: قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، فَنَسِينَا كَثِيرًا، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَوَاللهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ، حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(وَمَا ذَاكَ)**، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ نَكُونُ عِنْدَكَ، تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، نَسِينَا كَثِيرًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذِّكْرِ، لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ)**[1]، وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُكَيْمٍ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ ﷺ، يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: "اللَّهُمَّ زِدْنَا إِيمَانًا، وَيَقِينًا، وَفِقْهًا"[2]، وبهذا قال العلماء: "كل شيء يقبل الزيادة فإنه يقبل النقصان"[3].

وعلى هذا إجماع الأئمة المعتد بإجماعهم: "أن الإيمان قولٌ وعملٌ ويزيد وينقص، وإذا كان ينقص بالفترة عن الذكر فلأن ينقص بفعل المعاصي من باب أولى[4]".

ب- صور علاج زيادة الإيمان:

- **الإكثار من حلق الذكر**

لزوم حلق الذكر التي رغب عنها كثير منا، والتي حث عليها تبارك وتعالى والنبي ﷺ مِنْ حديثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ)**[5]، وبهذا قال ابن

(1) صحيح مسلم، مسلم، كتاب التوبة، باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة والمراقبة وجواز ترك ذلك في بعض الأوقات والاشتغال بالدنيا (4/ 2106)، رقم الحديث (12).

(2) السنة، أبو بكر بن الخلال، جامع الإيمان والتسليم والتمسك بما روي عن النبي ﷺ في ذلك وقال الله ﷻ في كتابه مما عليهم فيه من الحجة (4/ 39)، رقم الحديث (1120)، والشريعة، الآجري، باب ذكر ما دل على زيادة الإيمان ونقصانه (2/ 585)، رقم الحديث (218)، والإبانة الكبرى، ابن بطة، باب زيادة الإيمان ونقصانه، وما دل على الفاضل فيه والمفضول (2/ 846)، رقم الحديث (1132).

(3) اعتقاد أهل السنة، ابن جبرين (ص: 8).

(4) معارج القبول بشرح سلم الوصول، حافظ الحكمي (3/ 1007).

(5) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر (4/ 2074)، رقم الحديث (38).

رجب (ت: 795): "وفي مجالس الذكر تنزل الرحمة، وتغشى السكينة، وتحف الملائكة، ويذكر الله أهلها فيمن عنده، وهم قوم لا يشقى بهم جليسهم، فربما رحم معهم من جلس إليهم وإن كان مذنبا، وربما بكى فيهم باك من خشية الله؛ فوهب أهل المجلس كلهم له، وهي رياض الجنة[1] لحديث أنس بن مالك ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: **(إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا: وما رياض الجنة، قال: حلق الذكر)**[2].

- **الاستغفار سبب للنجاة من ضيق الدنيا وعذاب الآخرة:**

قال الله تعالى: **﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾** [الأنفال: 33]، الله ﷻ رحيم بعباده وإن كانوا في كفر عظيم؛ فجعل لهم من فضله أمان الأنبياء والرسل والاستغفار، ليحفظ بهما البلاد والعباد كما قال ابن عباس ﷺ (ت: 68): (كان فيهم أمانان: نبيُّ الله والاستغفار، قال: فذهب النبي ﷺ وبقى الاستغفار)[3]؛ فإن ماتوا وافضوا إلى بارئهم، بقى لهم الاستغفار، يوقف الهلاك، ويرسل الرزق من السماء، ويخرج الكنز من الأرض، ويمددكم بأموال وبنين، ويجعل لكم جنات وأنهارا.

واعلم أن نقصان الإيمان خطر عظيم على الفرد والأسرة والمجتمع، وبها يرفع المرء أو يهان، وبهذا قال حافظ الحكمي (ت: 1377)[4]: "وبحسب ما ينقص من الإيمان ينقص من

---

(1) لطائف المعارف، ابن رجب (ص: 14).

(2) جامع الترمذي، الترمذي، أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب (5/ 413)، رقم الحديث (3510)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه من حديث ثابت عن أنس.

(3) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، القول في تفسير السورة التي يذكر فيها الأنفال (13/ 511) رقم الحديث (16000)، وهذا الخبر روى مثله مرفوعًا عند الترمذي في سننه، في تفسير هذه السورة، من حديث أبي بردة بن أبي موسى، عن أبيه قال، قال رسول الله ﷺ: أنزل الله علي أمانين لأمتي: "وما كان ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون"، فإذا مضيت تركت فيهم الاستغفار إلى يوم القيامة، ثم قال الترمذي: "هذا حديث غريب، وإسماعيل بن إبراهيم يضعف في الحديث"، والمستدرك على الصحيحين، الحاكم، كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر، حديث رافع بن خديجٍ (1/ 726)، رقم الحديث (1988)، من حديث أبي هريرة ﷺ، وقال الحاكم: هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط مسلمٍ، ولم يخرجاه، وقد اتفقا على أن تفسير الصحابي حديثٌ مسندٌ، وله شاهدٌ عن أبي موسى الأشعري ﷺ.

(4) **حافظ بن أحمد بن علي الحكمي:** فقيه أديب، من علماء (جيزان) بين الحجاز واليمن، ولد في قرية (السلام)، (1342- 1377هـ = 1923- 1958م)، ونشأ بدويا يرعى الغنم ثم قرأ القرآن، وألف كتبا طبع أكثرها، واستمر إلى أن توفي بمكة عن عمر آنذاك خمسًا وثلاثين سنةٍ، انظر: ومعجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين، فريق من الباحثين مذكورة أسماؤهم في خانة المؤلف (ص: 1838).

الأمن والاهتداء، وباجتناب الشرك الأكبر والأصغر، يحصل مطلق الأمن والاهتداء، وباجتناب المعاصي يحصل تمامهما"[1]، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **(إِنَّ الشَّيْطَانَ قَالَ: وَعِزَّتِكَ يَا رَبِّ لَا أَبْرَحُ أُغْوِي عِبَادَكَ مَا دَامَتْ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ، فَقَالَ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا أَزَالُ أَغْفِرُ لَهُمْ مَا اسْتَغْفَرُونِي)**[2].

ثالثًا: جزاء الإعراض عن الذكر.

لم يقتصر أمر الكفار الذين لم يؤمنوا بربهم على الإعراض والانصراف عما يأتيهم من الذكر والموعظة بل عاندوا بالاستهزاء كما صور قولهم تبارك وتعالى: **﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾** [الأنفال: 31].

رابعًا: الصلة بين صفات المؤمنين الخمس والسؤال عن الأنفال:

قال تعالى: **﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (2) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾** [الأنفال: 2، 3]، "وصف الله المؤمنين حقا بخمسة مقامات من مقامات الإيمان: وهي الوجل عند الذكر، وزيادة الإيمان عند سماع القرآن، والتوكل على الله وحده، وإقامة الصلاة، والإنفاق لوجه الله تعالى"[3]، "ولما كانت صفاتهم الخمس المذكورة المشتملة على الأخلاق والأعمال لها تأثيرات في تصفية القلوب وتنويرها بالمعارف الإلهية، وكلما كان المؤثر أقوى كانت التأثيرات أعلى، فلما كانت هي درجات كان جزاؤها كذلك"[4]، ثم إنهم يقيمون صلاتهم بوضوئها وركوعها وسجودها وبالمحافظة على مواقيتها وينفقون ما وجب عليهم في أموالهم من الصدقات المفروضة والنفقات الواجبة والمستحبة وغيرها من الصفات، فإنهم بهذه الصفات الكبيرة هم أهل الإيمان والصدق حقًا، وقد تجاوز الله عن ذنوبهم وستر عيوبهم، ووعدهم على صدق الإيمان نعيم الآخرة وسرور الجنة ونعيمها ولذاتها[5]، لأنهم حققوا إيمانهم، بأن ضموا إليه مكارم أعمال القلوب من الخشية والإخلاص والتوكل، ومحاسن أفعال الجوارح التي هي المعيار عليها من

---

(1) معارج القبول بشرح سلم الوصول، حافظ الحكمي (2/ 405).

(2) المستدرك على الصحيحين، الحاكم، كتاب التوبة والإنابة (4/ 290)، رقم الحديث (7672)، وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ومسند أحمد، أحمد، مسند أبي سعيد الخدري ﷺ (17/ 337)، رقم الحديث (11237)، وقال شعيب الأرنؤوط: حديث حسن.

(3) التوضيح الرشيد في شرح التوحيد، أبو عبد الله خلدون بن محمود الحقوي (ص: 295).

(4) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي (3/ 185).

(5) انظر: التفسير المأمون على منهج التنزيل والصحيح المسنون، مأمون حموش (3/ 327).

الصلاة والصدقة[1]، فهذه الصفات هي التي تؤدي إلى تربية الحياة الوجدانية والفكرية والإرادية، فهذا قوام النفس ومظاهر سلوكها المختلفة، لحمل المؤمنين على الإذعان بقسمة الأنفال لأنها تربية حقيقية وحكيمة تطأطئ الرؤوس إذعانا لجلالها، واعترفا بلطف تأنيها، فلم يزجر الأصحاب بالعنف ولم يدعوا كرها ولم ينهوا قسرا، ولكنهم دعوا إلى الإيمان وإلى عهودهم.

كل هذه الصفات ذكرت لأصحاب رسول الله ﷺ، ليرجع بعضهم عما حدثته نفسه من رغبته في الدنيا، ولتظل تربية هذه الآيات تفعل في نفوس المؤمنين حتى يقوم الناس لرب العالمين[2].

التوجيهات التربوية من خلال أثر الذكر في زيادة الإيمان:

1- ذكر الله ﷻ تهليلًا وتكبيرًا وتسبيحًا ودعاء وضراعة، سبب للفوز بالنصر في الدنيا، والجنة في الآخرة.
2- الإيمان يوجب لصاحبه الإقدام على الأمور الهائلة التي لا يقدم عليها الجيوش العظام.
3- ينبغي للعبد أن يتعاهد إيمانه وينميه؛ لأن الإيمان يزيد وينقص، فيزيد بفعل الطاعة وينقص بضدها.
4- ليس كل خلاف فيه نزاع؛ فخلاف الصحابة ﷺ، خلاف تنوع، فيه خير، كان سبب في بيان حكم الأنفال.
5- حرص الصحابة على السؤال عما يهم من أمور الدين، وخاصة الأنفال.
6- صلاح الجماعة وقوة الأمة وعزتها مرهون بأمور ثلاثة: تقوى الله في السر والعلن، وإصلاح ذات البين، وطاعة الله والرسول.
7- أمان أمة محمد ﷺ من العذاب: اتباع النبي محمد ﷺ، وكثرة الاستغفار.
8- من أبرز صفات المؤمنين الصادقين، التجاوب العقلي والروحي والعملي مع آيات الذكر الحكيم.

(1) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي (3/ 50).

(2) انظر: من هدي سورة الأنفال، المصري (ص: 167).

المطلب الثاني: التعبئة الإيمانية قبل التعبئة الجهادية.

التربية الإيمانية العالية: هي الطريق الوحيد للقدرة على الجهاد وتحمل تبعاته، واستسهال آثاره، واحتسابه، فلا بد من التعبئة الإيمانية، حتى تثق الأمة بربها وتتأهل لاستحقاق النصر، لأن الجهاد لابد له من إعداد، وأول خطوة على طريق الإعداد هي الإيمان، لقوله تعالى: **﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (2) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3) أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾** [الأنفال: 2- 4]، وقال: **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾** [الأنفال: 74].

الله ﷻ أمر عباده المؤمنين بالعبادة، من صلاة وصيام وزكاة وحج وجهاد النفس والعدو، وحثنا على العلم والدعوة والعمل للدين، لأنها مسؤولية الجميع لقوله تعالى: **﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾** [آل عمران: 133]، **﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾** [العنكبوت: 69]، **﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾** [البقرة: 148]، **﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾** [المطففين: 26]، ومن حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **(بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا)**(1)، فأمرهم الله ورسوله ﷺ بفعل الخيرات وترك المنكرات، حتى إذا حلت فتنة من الفتن العضال كانت لها فضائل الأعمال تصدها صدا، فتطيش الفتنة ويبقى العمل الصالح على الله تعالى، وكذلك إذا واجه المؤمن ملة الكفر، بأسلحته العسكرية من دبابات وطائرات وانفجارات تدوي به من هنا وهناك، فمن الذي يثبته في هذا الموقف العصيب، الذي قد تبلغ فيه القلوب الحناجر من الخوف، إنه الإيمان، الذي يدلك على حب الآخرة على الدنيا.

وسيرة المصطفى ﷺ وقصص السلف والخلف، أكثر من أن تذكر في هذا المقام، بمحبتهم للقاء الله ﷻ، فقد قَالَتْ عَائِشَةُ ﵂: فَكَانَتْ آخِرُ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قَوْلَهُ: **(اللهُمَّ الرَّفِيقَ الْأَعْلَى)**(2)، وقَالَ بِلَالٌ ﵁ حِينَ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ: **(غَدًا نَلْقَى الأَحِبَّةَ، مُحَمَّدًا**

---

(1) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الإيمان، باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن (1/ 110) رقم الحديث (186).

(2) صحيح البخاري، البخاري، كتاب المغازي، باب آخر ما تكلم به النبي ﷺ (6/ 15) رقم الحديث (4463).

وَجِزْبَهُ، قَالَ: تَقُولُ امْرَأَتُهُ: وَاوَيْلَاهُ قَالَ: يَقُولُ: وَافَرْحَاهُ)[1]، وهؤلاء الاستشهاديون، عندما يقدمون أنفسهم رخيصة في سبيل الله، ما فعلوا ذلك إلا أن الإيمان تحرك بقلوبهم، فاشتاقوا إلى ربهم ليس حبا بالموت؛ بل حبًا **﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (54) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾** [القمر: 54، 55]، وهذا مصداق قول رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ، أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ، كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ)** فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ أَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ؟ فَكُلُّنَا نَكْرَهُ الْمَوْتَ، فَقَالَ: **(لَيْسَ كَذَلِكِ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا بُشِّرَ بِرَحْمَةِ اللهِ وَرِضْوَانِهِ وَجَنَّتِهِ، أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ، فَأَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا بُشِّرَ بِعَذَابِ اللهِ وَسَخَطِهِ، كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ، وَكَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ)**[2]، فالصحابة انتصروا؛ لأن الواحد منهم كان يدخل المعركة، وهو يسعى إلى الشهادة ايمانا بالله؛ فالدنيا وإن طالت فهي قصيرة، إنما الآخرة هي الباقية، ولهذا كان الصحابة ﷺ إذا سمع الواحد منهم بالجنة، تحرك قلبه فطار فرحا بها، حتى أن أحدهم ما صبر على نفسه أن يأكل تمرات، بل استعجل لملاقاة ربه، فمن حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، قَالَ:... قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ)**، قَالَ: يَقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الْأَنْصَارِيُّ ﷺ (ت: 2): يَا رَسُولَ اللهِ، جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ قَالَ: **نَعَمْ**، قَالَ: بَخٍ بَخٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ)**، قَالَ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، إِلَّا رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا، قَالَ: **(فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا)**، فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ، قَالَ: فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ)[3].

إن التعبئة الحقيقة للجهاد: هي أن نرد الأمة من جديد إلى الله ﷻ، هذا الطريق الذي ندين لله به، أن تُربى الأمة على القرآن والسنة، وذلك مصداقا لقول النبي ﷺ قَالَ: **(تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ)**[4]، حتى لو دعونا الناس إلى الله تعالى ألف سنة؛ لأنه لا طريق إلا هذا الطريق، فلا برلمانات ولا انتخابات ولا مؤتمرات ولا مسيرات ولا غيرها، إنما هذه كلها ناتجة عن تعبير الغضب الذي بداخل كل فرد منا، ثم إذا عدت إلى بيتك كأن لم يكن، ثم نصيح من جديد على نكبة من نكبات المسلمين، من قتل أو

---

(1) المحتضرين، ابن أبي الدنيا (5/ 398) رقم الحديث (292).

(2) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الرقاق، بابٌ: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه (8/ 106) رقم الحديث (6507).

(3) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد (3/ 1510) رقم الحديث (145).

(4) موطأ مالك، مالك، كتاب القدر، النهي عن القول بالقدر (5/ 1323)، رقم الحديث (3338)، وقال الألباني: حسن، انظر: مشكاة المصابيح (1/ 66).

دمار أو احتلال وهكذا، فطريق التغيير: هو طريق النبي محمد ﷺ؛ فقد بدأ بمجموعة وأفراد قلائل، كان يجتمع بهم في دار الأرقم بن أبي الأرقم (ت: 53)[1]، فرباهم على القرآن والسنة، وعلى الإيمان واليقين؛ حتى أخرج من هؤلاء الرجال، من أقام على أكتافهم الإسلام دولة من فتات متناثر، فإذا هي بناء شامخ لا يطاوله بناء، أذلت هذه الدولة المسلمة الأكاسرة، وأهانت القياصرة، وغيرت مجرى التأريخ في فترة لا تساوي في حساب الزمن شيئًا على الإطلاق، فبهؤلاء وعلى أكتافهم أقام النبي ﷺ صرح الإسلام، فعلينا أن نربي أنفسنا وأولادنا وأزواجنا على طريق الفتح الرباني بإذن الله تعالى؛ بتصحيح العقيدة والإيمان، وإن كنا دائمًا ممن يدندن على الواقع وفقه الواقع وفهم الواقع، فإن الواقع يصدق ما نقوله الآن، فلا طريق إلا هذا الطريق، وأما النتائج فهي على الله ﷻ، قال الله تعالى: **﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾** [التوبة:105]، فليس لنا دخل بالنتيجة، فالنتيجة ليست لنا، وإنما وظيفتنا أن نعمل فقط[2].

فقد جاء النبي ﷺ إلى أناس، نصفهم بالعصر الجاهلي في يومنا هذا، ليخرجهم من الظلمات إلى النور، ومن الجهل إلى العلم، لما كان فيهم من ظلم وجهل، من قطع الأرحام ووأد البنات ويأكل القوي حق الضعيف، وقد مثل جعفر بن أبي طالب ﷺ حالهم في الجاهلية وفي الإسلام أمام النجاشي ملك الحبشة فَقَالَ: (أَيُّهَا الْمَلِكُ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ، وَصِدْقَهُ، وَأَمَانَتَهُ، وَعَفَافَهُ، فَدَعَانَا إِلَى اللهِ لِنُوَحِّدَهُ، وَنَعْبُدَهُ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ، وَالدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالَ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَأَمَرَنَا بِالصَّلاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصِّيَامِ، قَالَ: فَعَدَّدَ عَلَيْهِ أُمُورَ الْإِسْلامِ، فَصَدَّقْنَاهُ وَآمَنَّا بِهِ وَاتَّبَعْنَاهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ، فَعَبَدْنَا اللهَ وَحْدَهُ، فَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَحَرَّمْنَا مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا، وَأَحْلَلْنَا مَا أَحَلَّ لَنَا، فَعَدَا عَلَيْنَا قَوْمُنَا، فَعَذَّبُونَا وَفَتَنُونَا عَنْ دِينِنَا لِيَرُدُّونَا إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ مِنْ عِبَادَةِ اللهِ،

---

(1) **الأَرْقَمُ بنُ أَبِي الأَرْقَمِ بنِ أَسدِ بنِ عَبْدِ اللهِ المَخْزُوْمِيُّ**، صاحب النبي ﷺ، من السابقين الأولين، كان الأرقم أحد من شهد بدرًا، وقد استخفى النبي ﷺ في داره، وهي عند الصفا، وكان من عقلاء قريشٍ، عاش إلى دولة معاوية، وقد أعطى النبي ﷺ الأرقم يوم بدرٍ سيفًا، واستعمله على الصدقة، وقيل: الأرقم عاش بضعًا وثمانين سنةً، وتوفي: بالمدينة، وصلى عليه: سعد بن أبي وقاصٍ ﷺ بوصيته إليه، وقال عثمان بن الأرقم: توفي أبي سنة ثلاثٍ وخمسين، وله ثلاثٌ وثمانون سنةً، انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (2/ 479).

(2) مستفاد من محاضرة محمد حسان (ص: 159).

وَأَنْ نَسْتَحِلَّ مَا كُنَّا نَسْتَحِلُّ مِنَ الْخَبَائِثِ، فَلَمَّا قَهَرُونَا وَظَلَمُونَا، وَشَقُّوا عَلَيْنَا، وَحَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ دِينِنَا، خَرَجْنَا إِلَى بَلَدِكَ، وَاخْتَرْنَاكَ عَلَى مَنْ سِوَاكَ، وَرَغِبْنَا فِي جِوَارِكَ، وَرَجَوْنَا أَنْ لَا نُظْلَمَ عِنْدَكَ)[1].

وهذا المغيرة بن شعبة ﷺ يصف حالهم قبل الإسلام وبعده، فعَنْ جُبَيْرِ بْنِ حَيَّةَ ﷺ قَالَ: (فَنَدَبَنَا عُمَرُ ﷺ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْنَا النُّعْمَانَ بْنَ مُقَرِّنٍ ﷺ، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِأَرْضِ العَدُوِّ، وَخَرَجَ عَلَيْنَا عَامِلُ كِسْرَى فِي أَرْبَعِينَ أَلْفًا، فَقَامَ تَرْجُمَانٌ، فَقَالَ: لِيُكَلِّمْنِي رَجُلٌ مِنْكُمْ، فَقَالَ المُغِيرَةُ: سَلْ عَمَّا شِئْتَ؟ قَالَ: مَا أَنْتُمْ؟ قَالَ: نَحْنُ أُنَاسٌ مِنَ العَرَبِ، كُنَّا فِي شَقَاءٍ شَدِيدٍ وَبَلاَءٍ شَدِيدٍ، نَمَصُّ الجِلْدَ وَالنَّوَى مِنَ الجُوعِ، وَنَلْبَسُ الوَبَرَ وَالشَّعَرَ، وَنَعْبُدُ الشَّجَرَ وَالحَجَرَ، فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الأَرَضِينَ، تَعَالَى ذِكْرُهُ وَجَلَّتْ عَظَمَتُهُ، إِلَيْنَا نَبِيًّا مِنْ أَنْفُسِنَا نَعْرِفُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ، فَأَمَرَنَا نَبِيُّنَا رَسُولُ رَبِّنَا ﷺ **(أَنْ نُقَاتِلَكُمْ حَتَّى تَعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ، أَوْ تُؤَدُّوا الجِزْيَةَ، وَأَخْبَرَنَا نَبِيُّنَا ﷺ عَنْ رِسَالَةِ رَبِّنَا، أَنَّهُ مَنْ قُتِلَ مِنَّا صَارَ إِلَى الجَنَّةِ فِي نَعِيمٍ لَمْ يَرَ مِثْلَهَا قَطُّ، وَمَنْ بَقِيَ مِنَّا مَلَكَ رِقَابَكُمْ)**[2].

الإيمان يبعدك عن شهوة المناصب، بالتسلط والمكر والخديعة، بل يأمرك بتقديم صاحب الكفاءات على من هو دونه، ليتناسب مع الرجل المناسب في لمكان المناسب، "فحقيقة الإيمان وأثره في تربية النفوس تظهر آثارها في استعداد هذه القيادات الكبرى لأن تبذل أرواحها ودماءها في سبيل الله ورسوله ﷺ، ولا يكون لها الجزاء في هذه الأرض كسبًا ولا منصبًا ولا قيادة ولا زعامة، إنه أثر الإيمان بالله وبحقيقة هذا الدين عندما يتغلغل في النفوس[3].

وقد ربا نبيا ﷺ صحابته على ذلك ففي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ **(طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَشْعَثَ رَأْسُهُ، مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ، كَانَ فِي الحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ، إِنِ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ**

---

(1) مسند أحمد، أحمد، مسند أهل البيت رضوان الله عليهم أجمعين، حديث جعفر بن أبي طالبٍ ﷺ وهو حديث الهجرة (1/ 201) رقم الحديث (1740)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

(2) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الجزية، باب الجزية والموادعة مع أهل الحرب (4/ 97) رقم الحديث (3159).

(3) انظر: التربية القيادية، منير الغضبان (103/2)، وانظر: الهجرة النبوية المباركة، د. عبد الرحمن البر (ص: 61).

يُشَفَّعْ)[1]، رباهم على العمل، على أن ينال الرجل شرف أن يكون خادما عاملا لدين الله تعالى، همه الوحيد، أن يكون في صفوف المجاهدين، لا يهمه أن كان في المقدمة أو المؤخرة، المهم عنده أن يعمل لدين الله ﷻ لينال شرف الشهادة في سبيل الله أو النصر على أعداء الله تعالى، ليعيش في أمن وأمان وإسلام وسلام، وعز وتمكين، وقدرة على اتخاذ القرار، بعز يعز الله تعالى الإسلام وأهله، وبذل يذل به المشركين وأهلة.

فالسبيل إلى تحرير الأقصى والأرض المباركة: هو بالتعبئة الإيمانية الجهادية، والتصدي للظلمة المعاونين مع الأعداء الذين يسجنون العلماء، ويظلمون شعوبهم باسم الوطنية، وأن تكون الشعوب تابعة للعلماء الربانيين، حتى يستطيعوا أن يحررونهم من ظلم الحكام وأعوانهم، كما كانت الشعوب في يوم من الأيام وراء العلماء، أمثال العز بن عبد السلام وسبط ابن الجوزي وغيرهم؛ فلقد كان للعلماء والشعوب معا، الدور الكبير في حشد بعضهم تحت الصف الإسلامي، والإصرار على الاحتفاظ ببيت المقدس والأرض المقدسة[2].

التوجيهات التربوية من خلال التعبئة الإيمانية قبل التعبئة الجهادية:

1- التربية الإيمانية العالية: هي الطريق الوحيد للقدرة على الجهاد.
2- الإيمان يبعدك عن الشهوات، والمكر والخديعة، والأنسب للإنسان.
3- إن التعبئة الحقيقية للجهاد: هي أن نرد الأمة من جديد إلى الله تعالى، وأن نربى الأمة على القرآن والسنة.
4- تربية أنفسنا وأولادنا وأزواجنا على طريق الفتح الرباني؛ بتصحيح العقيدة والإيمان.
5- السبيل إلى تحرير الأقصى والأرض المباركة: هو بالتعبئة الإيمانية الجهادية.
6- بيان تفاوت المؤمنين في كمالاتهم، وعلو درجاتهم عند ربهم.
7- إن المسلمين إذا لم يكونوا يدًا واحدة على أهل الكفر، لم تظهر شوكتهم، وحدث بذلك فساد كبير[3].

---

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله (4/ 34) رقم الحديث (2887).

(2) انظر: الطريق إلى القدس: دراسة تاريخية في رصيد التجربة الإسلامية على أرض فلسطين، د. محسن محمد صالح (ص: 121).

(3) انظر: المختصر في تفسير القرآن الكريم، جماعة من علماء التفسير (1/ 186).

المطلب الثالث: التربية على أركان الإيمان:

التربية القرآنية اهتمت بإثبات أركان الإيمان الذي في حديث عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ قَالَ: (بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا)**، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: **(أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ)**، قَالَ: صَدَقْتَ، ....، **ثُمَّ قَالَ لِي: يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ، قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ)**[1]، وهذا بيان وتفصيل ذلك في خلال سورة الأنفال.

أولًا: التربية على الإيمان بالله تعالى:

ربى القرآن الكريم الأمة الإسلامية منذ نشأتها على تربية النفوس، لما لها من أثر فريد في تاريخها، لهذا كانت الاستفادة من هذه الأحداث، ذات أهمية كبيرة من خلال القرآن، وخاصة الأحداث التي تمر معنا في سورة الأنفال.

الإيمان عندما يثبت بكل معانيه ومتعلقاته في قلب المؤمن، يكون له زاد على شعوره بالعزة والكرامة على أساس العقيدة، ويكون وسيلة أساسية لاستعلائه بإيمانه على الأعداء ومن حوله، وبهذا قال د. صلاح الخالدي[2]: "الإنسان بالإيمان كل شيء، وبدون الإيمان ليس بشيء، وإذا وجد الإيمان وجد كل شيء، وإذا فقد الإيمان فقد كل شيء، ولا ينفعه في هذه الدنيا أي شيء"[3].

---

(1) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر وعلامة الساعة (1/ 37) رقم الحديث (1).

(2) **صلاح الخالدي:** ولد في مدينة جنين في (18/محرم/1367هـ)، وبدأ طلب علم الشرعي بحصوله على بعثة للأزهر سنة 1965م، من أبرز المشايخ: موسى السيد، أحد علماء فلسطين، ومحمد الغزالي، وسيد سابق، وعبدالحليم محمود، وقد تأثر الأستاذ تأثرا كبيرا فلم يكن بين الشيخ صلاح وبين سيد قطب صلة شخصية، إنما تتلمذ الشيخ على كتبه، بقراءتها كلها، انظر : https://iqra.ahlamontada.com/t1851-topic.

(3) في ظلال الإيمان، د. صلاح عبدالفتاح الخالدي (ص: 7).

فالآيات التي تحدثت عن التربية الإيمانية:

الحادثة الأولى: هي الحادثة التي كانت سببًا في نزول آيات الأنفال بقوله تعالى: **﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾** [الأنفال: 1]، بالوقوف والتأمل لهذه الحادثة، نجد التربية القرآنية لم تدع هذه الحادثة أن تمر دون أن ترسم المنهج الرباني الإيماني في نفوس المؤمنين، وهو التبرؤ من الحول والقوة، وجعل الحاكمية لله تعالى **﴿قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾** [الأنفال: 1]، وقوله تعالى: **﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾** [الأنفال: 41].

الحادثة الثانية: عندما أخرجهم النبي محمد ﷺ من ديارهم بقوله تعالى: **﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾** [الأنفال: 5]؛ فاستشار صحابته على القتال، لكن بعضه رفض، لأنه ما خرج للقتال، وإنما خرج للقافلة، لكن النبي ﷺ حل هذه القضية بالحوار مع المهاجرين، ونظر إلى الأنصار، فما كان منهم إلا أنهم نصروه على وفق ما بايعوا عليه من الإيمان بالله، والتسليم لامتثال أمر الله تعالى ورسوله ﷺ.

الحادثة الثالثة: تتمثل في قوله تعالى: **﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾** [الأنفال: 47]، "فنهى الله عباده المؤمنين أن يكونوا مثلهم، وأمرهم بإخلاص النية والحسبة في نصر دينه ومؤازرة نبيه ﷺ"[1]، لحديث أَبِي مُوسَى رضي الله عنه، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ الرَّجُلُ: يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلذِّكْرِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانُهُ، فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: **(مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ العُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)**[2].

فتربية النبي ﷺ للصحابة، أن يخرجهم من المدينة لأجل الحق ونصرته، لَا للبطر والاستعلاء والمفاخرة، ولقد كان المشركون قد خرجوا لذلك، ووقف "أبو الحكم" الذي سمي في التأريخ الإسلامي "أبا جهل" وقال: "والله لَا نرجع عن قتال محمد، حتى نرد بدرا فنشرب فيها الخمور، وتعزف علينا القيان[3]، فإن بدرا موسم من مواسم العرب، وسوق من أسواقهم حتى

---

(1) تفسير المنار، محمد رشيد رضا (10/ 25).

(2) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا (4/ 20) رقم الحديث (2810).

(3) والجمع قينة: وهي الأمة المغنيةً كانت أو غير مغنيةٍ، انظر: غريب الحديث، أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي (5/ 150)، ومنتخب من صحاح الجوهري، الجوهري (ص: 4345).

تسمع العرب بمخرجنا، فتهابنا آخر الأبد"[1]، وقد انساقت قريش وراء هذا الناعب[2]، فكانت المعركة ولم يشربوا الخمر، بل ذاقوا كأس المنون[3]، وكان الحِمَام[4] بدل المُدَام[5]، وناحت عليهم النواحي بدل غناء القيان[6].

الحادثة الرابعة: تابعت آيات القرآن الكريم أسلوب التربية الإيمانية بكثرة النداءات، بالخطاب العقلي للمؤمنين على اختلاف الأوامر والنواهي، منها قوله تعالى: **﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾** [الأنفال: 24]، يبين لهم، إذا علمتم ما فرضنا عليكم من الطاعة، وما دعاكم الرسول ﷺ بالتبليغ عن الله ﷻ لما يحييكم، وأي حياة أفضل من حياة الفضيلة والقلوب والعقل والعلم وسداد الرأي؛ فأجيبوا الدعوة بعناية وهمة، وعزيمة وقوة، فالحياة هنا، حياة العلم بالله تعالى وسننه في خلقه، وأحكام شرعه، والحكمة والفضيلة والأعمال الصالحة التي تكمل بها الفطرة الإنسانية في الدنيا، وتستعد للحياة الأبدية في الآخرة[7].

ثانيًا: التربية على الإيمان بالملائكة:

1- أهمية الملائكة في تحقيق النصر:

أهمية الإيمان بالملائكة وعظيم تأثيره في نفوس الناس، مستخدما العديد من الوسائل، ومن ذلك ما حدث في غزوة بدر قال الله تعالى: **﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾** [الأنفال: 9]، فأخبر ﷻ عن دعاء النبي ﷺ، وشدة طلبه الغوث والالتجاء إلى الله تعالى، واستجابته ﷻ لدعاء النبي ﷺ، كما ذكر من حَديثِ عُمَرَ ابْنِ الْخَطَّابِ ؓ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: **(اللهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي**

(1) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام (1/ 618)، وانظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري (13/ 579).

(2) نعب الغراب ينعب نعيبا ونعبانا، وهو صوته، انظر: العين، الفراهيدي (2/ 160).

(3) الموت، انظر: المذكر والمؤنث، سعيد بن إبراهيم التستري (ص: 8).

(4) الموت، انظر: لسان العرب، ابن منظور (12/ 151).

(5) الخمر، انظر: كتاب الألفاظ، ابن السكيت (ص: 269).

(6) زهرة التفاسير، أبو زهرة (6/ 3152).

(7) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا (9/ 525).

الْأَرْضِ)، فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ، مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ ﷺ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ، فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ تعالى: **﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾** [الأنفال: 9] فَأَمَدَّهُ اللهُ بِالْمَلَائِكَةِ...)[1]، وهذا إيمان من الرسول ﷺ بأن النصر من عند الله، وليس من عند البشر، فقد كتب الله ﷻ لأمة محمد ﷺ، بأنها لا تنصر لا بعداد ولا عدة؛ أنما تنصر بإيمانها بربها، أن وعد الله حق لعباده المؤمنين لو بعد حين.

2- دور الملائكة في نصرة المؤمنين:

قال الله تعالى: **﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾** [الأنفال: 12]، وقال ابْن عَبَّاس، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ يَوْمَ بَدْرٍ: **(هَذَا جِبْرِيلُ، آخِذٌ بِرَأْسِ فَرَسِهِ، عَلَيْهِ أَدَاةُ الحَرْبِ)**[2]، وحَديث ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: "بَيْنَمَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ يَشْتَدُّ فِي أَثَرِ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمَامَهُ، إِذْ سَمِعَ ضَرْبَةً بِالسَّوْطِ فَوْقَهُ وَصَوْتَ الْفَارِسِ يَقُولُ: أَقْدِمْ حَيْزُومُ، فَنَظَرَ إِلَى الْمُشْرِكِ أَمَامَهُ فَخَرَّ مُسْتَلْقِيًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ خُطِمَ أَنْفُهُ، وَشُقَّ وَجْهُهُ، كَضَرْبَةِ السَّوْطِ فَاخْضَرَّ ذَلِكَ أَجْمَعُ، فَجَاءَ الْأَنْصَارِيُّ، فَحَدَّثَ بِذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: **(صَدَقْتَ، ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ)**"[3]، فهذا يؤكد أن الملائكة كانت تقاتل مع النبي محمد ﷺ نصرة لأفضل أهل الأرض في ذلك الزمان، لحديث مُعَاذِ بْنِ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ الزُّرَقِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، وَكَانَ أَبُوهُ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ قَالَ: جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: **(مَا تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيكُمْ، قَالَ: مِنْ أَفْضَلِ المُسْلِمِينَ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا، قَالَ: وَكَذَلِكَ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ المَلاَئِكَةِ)**[4]

---

(1) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدرٍ، وإباحة الغنائم (3/ 1383) رقم الحديث (58).

(2) صحيح البخاري، البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة أحدٍ (5/ 94) رقم الحديث (4041).

(3) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب ربط الأسير وحبسه، وجواز المن عليه (3/ 1384) رقم الحديث (58).

(4) صحيح البخاري، البخاري، كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدرًا (5/ 80) رقم الحديث (3992).

ما هي الحكمة من نزول الملائكة في معركة بدر:

قال الشيخ تقي الدين السبكي (ت: 756)[1]: "وقع ذلك لإرادة أن يكون الفعل للنبي ﷺ وأصحابه، وتكون الملائكة مددا على عادة مدد الجيوش، رعاية لصورة الأسباب، وسنتها التي أجراها الله تعالى في عباده، والله ﷻ هو فاعل الجميع والله أعلم"[2]، وقيل: ما جعل الله الإمداد، إلا بشرى بالنصر، فيزول ما بها من الوجل لقلتكم، ولا يتوقف على سبب، إن الله عزيزٌ لا يغلب، حكيمٌ في تدبير الأسباب، فإمداد الملائكة، وكثرة العدد، والتأهب، وسائط، لا تأثير لها، فلا تحسبوا النصر منها، ولا تيأسوا منه بفقدها، فحكم الأزل جل أن يضاف إلى العلل[3]، وهكذا تم غرس الإيمان بالملائكة من خلال الأحداث بصورة عملية، حيث جاءت الأخبار بنزول الملائكة، ثم مشاهدة آثارهم، ليتيقن الإيمان بالملائكة.

3- عذاب الملائكة للمشركين:

قال تعالى: **﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (50) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (51) كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ (52) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (53) كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ﴾** [الأنفال:50- 54]، أي: لو عاينت يا محمد حال الكفار حين تتوفاهم الملائكة، لرأيت أمرا عظيما هائلا فظيعا لا يكاد يوصف، فهم يضربون وجوههم وظهورهم بمقامع من حديد، وينزعون أرواحهم من أجسادهم بشدة وعنف، قائلين لهم: ذوقوا عذاب النار في الآخرة، بسبب ما قدمتم من أعمال سيئة، وارتكبتم من منكرات كالكفر والظلم في حياتكم الدنيا، ونسب ارتكاب المعاصي إلى الأيدي مع أنها تقع بغيرها كالأرجل وسائر الحواس لأن أكثر الأعمال

---

(1) **تقي الدين أبو الحسن القاضي زيد الدين السبكي المصري الشافعي المحدث:** ولد سنة ثلاث وثمانين وست مائة، وكان تام العقل متين الديانة مرضي الأخلاق طويل الباع في المناظرة قوي المواد جزل الرأي مليح التصنيف، توفي قاضي القضاة: سنة ست وخمسين وسبع مائة بالقاهرة، سامحه الله وعفا عنه في ليلة يسفر صباحها عن يوم الثلاثاء ثالث جمادى الآخرة من السنة بالقاهرة، انظر: معجم الشيوخ الكبير، الذهبي (2/ 34).

(2) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر (7/ 313).

(3) انظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ابن عجيبة (2/ 310).

تقع بها[1]، فجازاكم الله بها هذا الجزاء عدلا لا ظلما، لأن الله لا يظلم أحدا من خلقه، ثم عقد الحق تبارك وتعالى مقارنة، وأعطى مثلا لعذاب المشركين، فقال: **﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ﴾** [الأنفال: 52]، أي: أنه ﷻ فعل بهؤلاء المشركين، كما فعل بالأمم المكذبة قبلهم، فجوزي هؤلاء بالقتل والسبي، كما جوزي أولئك بالإغراق، فأهلكهم الله بسبب ذنوبهم، إن الله قوي لا يغلبه غالب، ولا يفوته هارب، ثم أخبر الله ﷻ عن تمام عدله وقسطه في حكمه، بأنه ﷻ لا يغير نعمة أنعمها على أحد إلا بسبب ذنب ارتكبه، فاستحقوا تبديل الأوضاع، كتبديل أهل مكة إطعامهم من جوع، وأمنهم من خوف، وفي هذا دلالة واضحة على أن استحقاق النعم منوط بصلاح العقائد، وحسن الأعمال، ورفعة الأخلاق، وأن زوال النعم يكون بسبب الكفر والفساد وسوء الأخلاق، ثم أكد ﷻ الكلام السابق وفصله تفصيلا، فقال مرة أخرى: كدأب آل فرعون لترسيخ وجه الشبه، وبيان المقصود بالكلام الأول من الأخذ وهو الإغراق، وبيان ما نزل بهم من العقوبة حال الموت، ثم ما ينزل بهم في القبر في الآخرة، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُلْقِيهِمْ **(هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمْ رَبُّكُمْ حَقًّا؟)** قَالَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تُنَادِي نَاسًا أَمْوَاتًا؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا قُلْتُ مِنْهُمْ)**[2]، وتوضيح أن سبب العذاب: الكفر بآيات الله، والتكذيب بآيات ربهم، بإنكار وجوه التربية والإحسان والنعمة، مع كثرتها وتواليها عليهم.

ثم ختم الله تعالى الكلام بقوله: **﴿وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ﴾** [الأنفال: 54]، أي: أن كلا من مشركي قريش وآل فرعون، كانوا ظالمي أنفسهم بالكفر والمعصية، وظالمي سائر الناس بسبب الإيذاء، وأن الله إنما أهلكهم بسبب ظلمهم وذنوبهم، وسلبهم تلك النعم التي أسداها إليهم، **﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾** [آل عمران: 117]، وكان عذاب مشركي قريش مقصورا على القتل وسلب النعمة منهم، بسبب كفرهم ومعاصيهم، وأما عذاب من قبلهم، فكان عذاب استئصال كإغراق آل فرعون، وإرسال الريح على عاد، والصيحة المجاوزة للحد في الشدة وهي (الطاغية) على ثمود[3]، وهكذا كان إيقاظ الحس بضرب المثل، لغرس عقيدة الإيمان بوجود ملائكة للرحمة وأخرى للعذاب بالقبر واليوم الآخر.

---

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (4/ 76).

(2) صحيح البخاري، البخاري، كتاب المغازي، بابٌ (5/ 86) رقم الحديث (4026).

(3) انظر: التفسير المنير، الزحيلي (10/ 37).

ثالثًا: التربية على الإيمان بالكتب السماوية:

الإيمان بالكتب السماوية، يشعر المؤمن بعناية الله تعالى بالبشر، وأنه لم يتركهم يتخبطون دون منهج يسيرون إليه، بل وضع لهم منهجا يهديهم إلى سواء السبيل، آيات من الذكر الحكيم: **﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾** [الأنفال: 2]، حرصت التربية القرآنية على تربية الناس على الإيمان بجميع الكتب السماوية، وذكر المولى تعالى قصة فرعون وقومه وما آلوا إليه من العذاب الشديد؛ نتيجة كفرهم وتكذيبهم بآيات الله تعالى: **﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾** [الأنفال: 52]، وقوله: **﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ﴾** [الأنفال: 54]، قال ابن كثير (ت: 774): "فعل هؤلاء من المشركين المكذبين بما أرسلت به يا محمد كما فعل الأمم المكذبة قبلهم، ففعلنا بهم ما هو دأبنا، أي: عادتنا وسنتنا في أمثالهم من المكذبين من آل فرعون، ومن قبلهم من الأمم المكذبة بالرسل، الكافرين بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم، أي: بسبب ذنوبهم أهلكهم وأخذهم أخذ عزيزٍ مقتدرٍ"[1]، لكن الكافرين بآيات الله ﷻ، زادوا في تكذيبهم للكتب السماوية، فسخروا منها وعدوها خرافات مخترعة من البشر فقال تعالى: **﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾** [الأنفال: 31]، أي: واذا تتلى على هؤلاء الذين كفروا آياتِ كتاب الله الواضحةَ لمن شرح الله صدره لفهمه، قالوا جهلا منهم، وعنادًا للحق، وهم يعلمون أنهم كاذبون في قيلهم: لو نشاء لقلنا مثل هذا الذي تُلِي علينا، ما هذا القرآن الذي يتلى إلا أساطير الأولين، وإنما عنى المشركون أنْ هذا القرآن الذي تتلوه علينا، يا محمد، ما هو إلا ما سطَّره الأولون وكتبوه من أخبار الأمم، كأنهم أضافوه إلى أنه أخذ عن بني آدم، وأنه لم يوحِه الله إليه[2].

فقد كانت تربية النبي محمد ﷺ صحابته على الإيمان بالكتب السماوية ظاهرة عندما استشارهم للخروج، فقال المقداد بن عمرو ﷺ (ت: 33): "لاَ نَقُولُ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى ﷺ: **﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا﴾** [المائدة: 24]، وَلَكِنَّا نُقَاتِلُ عَنْ يَمِينِكَ، وَعَنْ شِمَالِكَ، وَبَيْنَ يَدَيْكَ وَخَلْفَكَ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشْرَقَ وَجْهُهُ وَسَرَّهُ"[3].

---

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (4/ 68).

(2) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري (13/ 502).

(3) صحيح البخاري، البخاري، كتاب المغازي، باب **﴿إذ تستغيثون ربكم﴾** (5/ 73) رقم الحديث (3952).

رابعًا: التربية على الإيمان بالرسل:

الإيمان بالرسل عليهم السلام، ومعرفة ما آل إليه مصير الأقوام المكذبة، يجعل المؤمن حريصا وحذرا من أن يقع فيما وقع فيه السابقون من مخالفة وعصيان لرسلهم؛ فالعبرة والعظة بالسابقين، ليعمل على تربية الناس على الإيمان بالرسل، بخلاف النضر بن الحارث[1] والكفار عندما قال الله تعالى على لسانهم وحالهم: **﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾** [الأنفال: 32]، لكن الله رحيم بخلقه، فقد كتب على نفسه ألا يعذبهم ما دام النبي ﷺ فيهم، وبينهم من يستغفر ربه وينيب؛ لقوله تعالى: **﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾** [الأنفال: 33]، وبذلك فإن التربية القرآنية، بينت فضل الرسول ﷺ والاستغفار؛ فيؤخذ من هذا تربية المرء نفسه على التوبة والاستغفار، حين وقوع السب والشتم والاستهزاء لأنبياء الله ورسوله، وخاصة ما يحصل في بلادنا من سب الله ورسوله ودينه وغيرها من الألفاظ الكفرية التي تخرج المرء من دينه.

أمر الله عباده المؤمنين بالله ربا أن يطيعوه ويطيعوا رسوله ﷺ في آيات عدة: **﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾** [الأنفال: 20] وقوله: **﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾** [الأنفال: 46]، ونادهم بصفة الإيمان ليستجيبوا لله ورسوله ﷺ **﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾** [الأنفال: 24] فكان ذلك أثرا بالغا في تربية نفوس أهل الإيمان على الإيمان فهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه (ت: 13) يدهشهم وهو يفديه بنفسه وماله، فمن حديث عُمَرَ بن الخطاب رضي الله عنه (ت: 23) يقول: (أمرنا رسولُ الله ﷺ يومًا أن نَتَصَدَّقَ، فوافق ذلك مالًا عندي، فقلت: اليومَ أَسْبِقُ أبا بكر إنْ سبقتُه يومًا فجئتُ بنصف مالي، فقال رسولُ الله ﷺ: **(ما أبقيتَ لأهلك؟)** قلت: مثله، قال: وأتى أبو بكر بكُلِّ ما عنده، فقال له رسولُ الله ﷺ: **(ما أبقيتَ لأهلك؟)** قال: أبقيتُ لهم اللهَ ورسولَه، فقلت: لا أسابِقُكَ إلى شيءٍ أبدًا)[2]، وخبيب بن عدي رضي الله عنه (ت: 3) عندما وضعوا فيه السلاح وهو

---

(1) **النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة،** بفتح الكاف، ابن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى القريشي العبدرى، أسر يوم بدر، وقتل كافرًا، قتله على بن أبى طالب بأمر رسول الله ﷺ، وأجمع أهل المغازي والسير على أنه قتل يوم بدر كافرًا، وإنما قتل لأنه كان شديد الأذى للإسلام والمسلمين، انظر: تهذيب الأسماء واللغات، النووي (2/ 126).

(2) سنن أبي داود، أبو داود، كتاب الزكاة، باب الرخصة في ذلك (3/ 108) رقم الحديث (1678)، وقال شعيب الأرنؤوط: حديث حسن.

مصلوب، نادوه وناشدوه أتحب أن محمدا مكانك، قال لا والله العظيم ما أحب أن يفديني بشوكة في قدمه[1]، وما كان ذلك ألا عن حب نابع من هؤلاء الذين حملوا النبي ﷺ وفكره وهمه حتى تحقق النصر من الله على يد نبينا ﷺ **﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾** [الأنفال: 17]، بخلاف أولئك الذي خالفوا فخانوا نبينا ﷺ **﴿وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾** [الأنفال: 71]، ونصبوا له العداء بالمنابذة والمشاقة لله ورسوله ﷺ: **﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾** [الأنفال: 13]، وعاهدوا على الهدى، ثم نقضوا عهدهم وقابلوه بالتكذيب فقال الله تعالى: **﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (55) الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾** [الأنفال: 55، 56]، إلا أن الأمر أكبر من هذا بكثير، لأن شهادة أن لا إله إلا الله، مترابطة مع وأن محمد رسول ﷺ، وهذا كان واقعا يشهده الملأ من قريش، ويشعرون بخطره على مشاريعهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية؛ لكن بحمد الله وفضله بعد أن حقَّ الله الحق، وأبطل الله الباطل؛ فكان حكم الشهادتين قائم بمفهوم الإسلام الشامل.

خامسًا: التربية على الإيمان باليوم الآخر:

تعمل التربية الإيمانية دائما على تربية الناس على الإيمان باليوم الآخر مستخدمة عدة وسائل؛ إذ يوالى القرآن الكريم أهمية بالغة للإيمان باليوم الآخر، حتى أنه يلحقه في كثير من المواضع بالإيمان بالله مباشرة إثباتا ونفيا ومبشرا ونذيرا.

1- الإيمان بالجنة والنار يوم القيامة:

يثبت الله تعالى لخلقه أن يوم الآخر، لا محال موجود، وسوف تعرضون عليه وترونه بأم أعينكم لقوله تعالى: **﴿وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾** [الأنفال: 24]، أي: إليه مصيركم ومرجعكم في القيامة، فيوفيكم جزاء أعمالكم، المحسن منكم بإحسانه والمسيء بإساءته[2]، وقوله تعالى: **﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾** [الأنفال: 67]، أي: الدار الآخرة، ومن أعظم أسباب الخلود في جناتها إعلاء كلمة الله، وإذلال كلمة الكفر، وأكبر أسباب ذلك قتل الرؤساء قادة الكفار وساداتهم[3].

---

(1) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر (7/ 384).

(2) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري (11/ 113).

(3) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، الشنقيطي (5/ 181).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: 60]، أي: لا يضيع لكم عند الله أجره في الآخرة وعاجل خلفه في الدنيا[1].

2- الإيمان بعذاب النار يوم القيامة:

حذر المولى ﷻ من عصيانه بعذاب جهنم، يصيب به من كفر وكذب وجحد باليوم الآخر، ولمن خالف وفارق طاعة الله ورسوله ﷺ، وبمن أذنب وعصى ولم يتب، في آيات عدة من القرآن الحكيم: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: 13]، وقوله: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: 25]، قال الطبري (ت: 310): "ومن يخالف أمر الله وأمر رسوله، وفارق طاعتهما، له أشد العقاب في الدنيا، وفي الآخرة الخلود في نار جهنم"[2]، وقال الله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ﴾ [الأنفال: 14]، أي: "واعلموا أن للكافرين عذابا مؤجّلا، فللعاصين عقوبتان محصّل بنقد ومؤخّر بوعد"[3]، وقوله تعالى: ﴿فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الأنفال: 16]، أي: رجع بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ، فبئس ما صار إليه من عذاب النار[4]، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: 36]، وقوله: ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأنفال: 37]، أي: "إنما يحشرون إليها ليميز بين الكافر والمؤمن بأن يجعل الكفار في جهنم"[5]، وقوله تعالى: ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [الأنفال: 50]، أي: عذاب جهنم لكفرهم، وعذاب الحريق لإحراقهم المؤمنين[6]، وقوله تعالى: ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: 52]، فعاقبهم الله بتكذيبهم لرسلهم ومعصيتهم لربهم، كما عاقب أشكالهم والأمم الذين قبلهم، فالله لا يغلبه غالب ولا يرد قضاءه راد، ينفذ أمره ويمضي قضاؤه في خلقه، شديد في عقابه لمن كفر بآياته وجحد حججه[7]، وقال الشنقيطي (ت:1393): "أهلكهم وعاقبهم العقاب الشديد بسبب ذنوبهم التي يستحق صاحبها النكال القوة

---

(1) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري (11/ 251).

(2) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري (11/ 73).

(3) لطائف الإشارات، القشيري (1/ 608).

(4) انظر: تفسير القرآن الكريم، المقدم (ص: 68).

(5) الوسيط في تفسير القرآن المجيد، الواحدي (2/ 459).

(6) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، السمين الحلبي (1/ 396).

(7) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري (11/ 233).

الشديد، لأجل ذنبهم، وقال بعض العلماء: سمي عقابًا؛ لأنه يأتي عقب الذنب من أجله"[1]، وقصد في الآية الثانية، تفصيل عقابهم بإغراق آل فرعون وأخذ من عداهم بغير ذلك فقال **﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾** [الأنفال: 54]، ليخالف قوله تعالى في الآية قبل: **﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾** [الأنفال: 52]، لاستثقال لفظ التكرار فيما تقارب، ولما قصد من التفصيل، ضم الفريقين من المهلكين بذنوبهم والمغرقين في قوله: **﴿وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ﴾** [الأنفال: 54، 55][2].

3- الإيمان بالجنة يوم القيامة:

التركيز الدائم على ما أعده الله للمؤمنين في اليوم الآخر من ثواب؛ لكي يقوموا بالعمل الصالح وأمر الجهاد والاستشهاد في سبيل الله، وهذا له أثر بالغ في نفوس المؤمنين الذين باعوا أنفسهم لله ﷻ، وبايعوا الرسول ﷺ على أن لهم الجنة، فهانت الدنيا وزخارفها وشهواتها، وهان فراقها على أن يلقوا ربهم بذنب مغفور، ورحمات يوم القيامة، ودرجات في الجنان لقوله تعالى: **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾** [الأنفال: 74]، فيصف المؤمنين أيمانا حقا بالذين يؤمنون بالله واليوم الآخر: **﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾** [الأنفال: 4] مبشرا لهم بما سينالونه من نعيم الجنة، وإنما هي منازل ومقامات ودرجات ليتسابق المؤمنون عليها "ثواب حسن في الجنة"[3]؛ بتركهم للذنوب، وعملهم الأعمال الصالحة[4]، وقال تعالى: **﴿وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾** [الأنفال: 29]، يمحو الله عنكم ما سلف من ذنوبكم بينكم وبينه، ويغطيها، فيسترها عليكم، فلا يؤاخذكم بها، والله الذي يفعل ذلك بكم، له الفضل العظيم عليكم وعلى غيركم من خلقه بفعله ذلك وفعل أمثاله، وإن فعله جزاء منه لعبده على طاعته إياه؛ لأنه الموفق عبده لطاعته التي اكتسبها حتى استحق من ربه الجزاء الذي وعده عليها[5].

والإيمان باليوم الآخر يعين الإنسان على الصبر وتحمل الأذى لقوله تعالى: **﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾** [الأنفال: 28]، فيريد فوز الآخرة، فلا

---

(1) انظر: العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، الشنقيطي (5/ 120).

(2) جامع لطائف التفسير، عبد الرحمن بن محمد القماش (11/ 346).

(3) بحر العلوم، السمرقندي (2/ 35).

(4) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم (5/ 1742).

(5) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري (11/ 127).

تَدَعُوا حظَّكم منه للحيطة على أموالكم وأبنائكم فإن المذخور للآخرة أعظم أجرا[1]، ولحديث أَنَس ﷺ، يَقُولُ: أُصِيبَ حَارِثَةُ يَوْمَ بَدْرٍ وَهُوَ غُلاَمٌ، فَجَاءَتْ أُمُّهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ عَرَفْتَ مَنْزِلَةَ حَارِثَةَ مِنِّي، فَإِنْ يَكُنْ فِي الجَنَّةِ أَصْبِرْ وَأَحْتَسِبْ، وَإِنْ تَكُ الأُخْرَى تَرَى مَا أَصْنَعُ، فَقَالَ: **(وَيْحَكِ، أَوَهَبِلْتِ، أَوَ جَنَّةٌ وَاحِدَةٌ هِيَ، إِنَّهَا جِنَانٌ كَثِيرَةٌ، وَإِنَّهُ فِي جَنَّةِ الفِرْدَوْسِ)**[2]، وهذا يرسخ قول الرسول ﷺ إلى أعماق القلوب، لترسيخ عقيدة الإيمان بالله واليوم الآخر وما أعده الله ﷻ للمؤمنين بأسلوب التشويق.

سادسا: التربية على الإيمان بالقدر خيره وشره:

حرصت التربية القرآنية على تثبيت الإيمان بالقضاء والقدر في حياة البشر فهو من ناحية يتصل بالإيمان بذات الله ﷻ بأنه المدبر لكل أمر المتصرف فيه بلا شريك قال تعالى: **﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾** [الأنفال: 7]، "فوعد الله المؤمنين إحدى الطائفتين، إما أن يظفروا بالعير، أو بالنفير، أي: الجيش، فأحبوا العير لِقِلَّةِ ذاتِ يدِ المسلمين"[3]، والله يريد أن يجمع بينكم وبين الطائفة التي لها الشوكة والقتال ليظفركم بهم **﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾** [الأنفال: 8]، ويظهر دينه ويرفع كلمة الإسلام ويجعله غالبًا على الأديان، وهو أعلم بعواقب الأمور، وهو الذي يدبركم بحسن تدبيره، وإن كان العباد يحبون خلاف ذلك فيما يظهر لهم[4]، "ووصفها الله بالسبق لأنها أزلية، باعتبار تعلق العلم بوقوعها، وبأنها ترجع إلى سنة كلية تقررت من قبل، ومعنى لقضي بينهم أنه قضاء استئصال المبطل واستبقاء المحق، كما قضى الله بين الرسل والمكذبين، ولكن إرادة الله اقتضت خلاف ذلك بالنسبة إلى فهم الأمة كتابها[5].

ومن ناحية أخرى يتصل بسلوك المؤمن في واقع الحياة إزاء الأحداث والتسليم بحكم الله ﷻ وقضائه، وهذا أمر ذو أهمية بالغة، وقد أشار القرآن في قوله تعالى: **﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ(5) يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾** [الأنفال: 5-6]، المؤمنون لم يخطر ببالهم في ذلك الخروج

---

(1) الجواهر الحسان في تفسير القرآن، الثعالبي (3/ 126).

(2) صحيح البخاري، البخاري، كتاب المغازي، باب فضل من شهد بدرًا (5/ 77) رقم الحديث (3982).

(3) الدرر المنتقاة من الكلمات الملقاة، أمين بن عبد الله الشقاوي (6/ 289).

(4) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (2/ 352).

(5) التحرير والتنوير، ابن عاشور (12/ 171).

أنه يكون بينهم وبين عدوهم قتال يحبه الله تعالى بقضائه وقدره، فليس لهم في ذلك إلا الانقياد والإذعان، فالذين عاتبهم الله انقادوا للجهاد أشد الانقياد، وثبتهم الله وقيض لهم من الأسباب ما تطمئن به قلوبهم[1]، فكان ذلك خيرا لهم، آمرًا لهم: أطيعوني، فإني أعلم بعاقبة هذا منكم[2]، "والمعركة كلها من أولها إلى آخرها تمت بتدبير الله دون أن يكون للمسلمين إقدام عليها ولا استعداد لها"[3]، "ولذلك بعدما تبين لهم صدقه في الوعد بما وعدهم مرة بعد أخرى فصدقهم في وعده[4]".

وقال تعالى: **﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾** [الأنفال: 60]، فالأمر باتخاذ الأسباب الشرعية تؤدي إلى رضوانه وجنته، بالجد والاجتهاد في الأعمال، وإن الأخذ بالأسباب هو من قدر الله تعالى، وليس مناقضًا للقدر ولا منافيًا له، وقد وفقَّ الرسول ﷺ لمعنى القدر، وأنه لا يُوجبُ ترك العمل، بل يوجب الجد والاجتهاد، فقد سأل الصحابة الرسول ﷺ عن فائدة العمل إذا كانت الأعمال مقدرة مقضية جفَّ بها القلم، وفرغ منها رب العالمين، فمن حديث عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلاَ نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا، وَنَدَعُ العَمَلَ؟ قَالَ: **(اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ)**، ثُمَّ قَرَأَ: **﴿فَأَما مَن أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَما مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾** [الليل:5- 10][5]، إن الذي يفقه عن الله مراده في القدر يعلم أن القدر السابق لا يمنع العمل، ولا يوجب الاتكال، بل يدفع إلى الجد والاجتهاد والحرص على تحصيل ما ينفعه في الدنيا والآخرة[6]، وقد قال الغزالي (ت: 505) وابن الجوزي (ت: 597) وغيرهما: الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسباب نقص في

---

(1) الدرر المنتقاة من الكلمات الملقاة، أمين بن عبد الله الشقاوي (6/ 289).

(2) الأحكام الشرعية الكبرى، عبد الحق بن عبد الرحمن الأزدي، المعروف بابن الخراط (4/ 109).

(3) ركائز الإيمان، محمد قطب (ص: 351).

(4) تفسير القرآن، السمعاني (2/ 249).

(5) صحيح البخاري، البخاري، كتاب تفسير القرآن، بابُ **﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾** [الليل: 10] (6/ 171) رقم الحديث (4949).

(6) انظر: الموسوعة العقدية، مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف (5/ 318).

العقل، والإعراض عن الأسباب بالكلية، قدح في الشرع، وإنما التوكل والرجاء معنى يتألف من موجب التوحيد والعقل والشرع[1].

وقال تعالى: **﴿لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾** [الأنفال: 42]، "ذلك القضاء من الله كان نصره أولياءه من المؤمنين بالله ورسوله، وهلاك أعدائه وأعدائهم ببدر بالقتل والأسر"[2]، وقال النووي (ت: 676): "وقد تظاهرت الأدلة القطعيات من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأهل الحل والعقد من السلف والخلف على إثبات قدر الله ﷻ"[3].

وقال تعالى: **﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾** [الأنفال: 68]، أي: لولا حكمٌ من الله سبق في إباحة الغنائم لمسكم فيما استبحتم قبل الإثخان عذابٌ عظيم، وقيل: لولا كتابٌ من الله سبق في أهل بدر أن يغفر الله لهم ما تقدم من ذنوبهم وما تأخر، وقيل: لولا حكم الله في اللوح المحفوظ وفي القرآن أنه لا يعذب قومًا حتى يبين لهم ما يتقون لأصابتكم عقوبةٌ عظيمة[4].

التوجيهات التربوية من خلال التربية على أركان الإيمان:

1- الإيمان بالقضاء والقدر من أسنى المقاصد، والإيمان به قطب رحى التوحيد ونظامه، ومبدأ الدين المبين وختامه[5].
2- فالإيمان بالله، استوجب الإيمان برسله، وأنهم بعثوا لهداية البشرية وتبليغ دين الله الذي ارتضاه لعباده بالكتب السماوية،
3- الإخلاص سبب لقبول العمل، ومحل ذلك النية في جميع الأقوال والأعمال، ليحصل لهم الفوز بدار القرار.
4- التربية القرآنية اهتمت بإثبات أركان الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر خيره وشره.
5- اجتمع في المعذبين: الكفر بوجود الله ووحدانيته، وإنكار النعم التي أنعم الله بها عليهم.

(1) بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، ابن تيمية (ص: 262).
(2) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري (11/ 206).
(3) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي (1/ 155).
(4) تفسير القرآن العظيم المنسوب للإمام الطبراني (3/ 101).
(5) انظر: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ابن قيم الجوزية (ص: 2).

6- أن كلا من مشركي قريش وآل فرعون، كانوا ظالمي أنفسهم بالكفر والمعصية، وظالمي سائر الناس بسبب الإيذاء.

7- التركيز الدائم على ما أعده الله للمؤمنين في اليوم الآخر من ثواب؛ لكي يقوموا بالعمل الصالح.

8- الإيمان باليوم الآخر يعين الإنسان على الصبر وتحمل الأذى في سبيل الله تعالى.

9- حرصت التربية القرآنية على تثبيت الإيمان بالقضاء والقدر في حياة البشر.

10- تابعت آيات القرآن الكريم أسلوب التربية الإيمانية بكثرة النداءات، بالخطاب العقلي للمؤمنين على اختلاف الأوامر والنواهي.

11- تقرير عقيدة أن الملائكة عباد لله يسخرهم في فعل ما يشاء، وقد سخرهم للقتال مع المؤمنين فقاتلوا ونصروا وثبتوا، وذلك بأمر الله تعالى لهم بذلك[1].

12- الخير والمصلحة فيما أمر الله به، وليس فيما يرى الإنسان، فقد يرى ما هو ضار نافعا، وما هو نافع ضارا.

---

(1) انظر: أيسر التفاسير، الجزائري (2/ 291).

المبحث الثالث: الأساليب الواردة في التوجيهات التربوية العقدية والإيمانية

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أسلوب الترغيب والترهيب

المطلب الثاني: أسلوب النداء

المبحث الثالث: الأساليب الواردة في التوجيهات التربوية العقدية والإيمانية:

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أسلوب الترغيب والترهيب.

وفيه ثلاثة فروع كما يأتي:

أولًا: معنى الترغيب لغة واصطلاحا:

1- **الترغيب لغة:** من رغب يرغب رغبة إذا حرص على الشيء، وطمع فيه، والرغبة: السؤال والطمع[1]، ويقال رغبت في الشئ، إذا أردته[2].
2- **الترغيب اصطلاحا:** "كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه"[3].

ثانيًا: معنى الترهيب لغة واصطلاحا:

1- **الترهيب لغة:** من خافهُ رهبةً ورهبًا ورهبًا ورهبانًا[4]، ورهب فلانًا: أي: أرهبه وخوفه وأفزعه، ورهب عدوه لقوله تعالى: **﴿تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: 60]**[5].
2- **الترهيب اصطلاحا:** "كل ما يخيف ويحذر المدعوَّ من عدم الاستجابة أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله"[6].
3- **أما الترغيب والترهيب فمعناه:** الترغيب وعد يصحبه تحبيب وإغراء؛ بمصلحة أو متعة آجلة، مؤكدة، خيرة خالصة من الشوائب، مقابل القيام بعمل صالح، أو الامتناع عن لذة ضارة، أو عمل سيئ ابتغاء مرضاة الله، وذلك رحمة من الله لعباده، يقابله وعيد وتهديد، تترتب على اقتراف إثم، أو ذنب مما نهى الله عنه، أو على التهاون في أداء فريضة مما أمر الله به، أو هو تهديد من الله يقصد به تخويف عباده، وإظهار صفة من صفات الجبروت والعظمة الإلهية، ليكونوا دائما على حذر من ارتكاب الهفوات والمعاصي[7].

---

(1) لسان العرب، ابن منظور (1/ 422).

(2) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري (1/ 137).

(3) أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان (ص: 437).

(4) المغرب في ترتيب المعرب، برهان الدين الخوارزمي المطرزى (ص: 202).

(5) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عمر (2/ 949).

(6) انظر: أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان (ص: 437).

(7) انظر: أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، عبد الرحمن النحلاوي (ص: 230)

ثالثًا: الفوائد من أسلوب الترغيب والترهيب:

1- التخويف أساس لتحقيق التبشير، ولذلك قلما ذكر الترغيب في القرآن إلا ذكر معه الترهيب؛ فهما حقيقتان متلازمتان، إلا أن ضابط ذلك وجماعهما هو التحبيب، أي: لا يجوز أن يُفَرّط المرء في أحدهما، أو يُفْرِط بما يؤدي إلى تنفير النفس عن المقصود، بل يجب أن يكون التخويف على قدر ما يحبب العباد في رب العباد؛ فههنا ميزان من الحكمة قلَّ من يحسنه من الناس، ولذلك قال ابن القيم (ت: 751) "ويندرج الخوف والرجاء في الحب"[1]، وعَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، بَعَثَ مُعَاذًا وَأَبَا مُوسَى ﷺ إِلَى اليَمَنِ قَالَ: **(يَسِّرَا وَلاَ تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلاَ تُنَفِّرَا، وَتَطَاوَعَا وَلاَ تَخْتَلِفَا)**[2].

2- النصوص الشرعية الواردة في الترغيب والترهيب لها أثر عظيم في تزكية النفس وتربيتها، وحثها على فعل الصالحات والحذر من الموبقات[3]، ومن ميزات هذا الأسلوب، أنه ينشئ داخل حس الإنسان رقابة ذاتية تشعره بالمسئولية المطلقة أمام الله؛ ليكون حارسا أمينا لنظام الحياة الذي ارتضاه لعباده وطالب كل فرد بتطبيقه فلا يحيد عنه قيد أنملة، من هذه الآيات قوله تعالى: **﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾** [الأنفال: 1]؛ فالتقوى ترك كل شيء تقع عليه؛ فهو في الآداب مكارم الأخلاق، وفي الترغيب أن لا يظهر ما في سره، وفي الترهيب أن لا يقف مع الجهل، وهي الرابطة أو الحلقة التي ينبغي أن يحيط بها العبد عند الهم[4]، ولا تصح التقوى إلاَّ بالمقتدي بالنبي ﷺ والصحابة[5].

3- الاستدراج بمغفرة الذنوب والسيئات وعرض الجنة ونعيمها لقوله تعالى: **﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾** [الأنفال: 4].

4- التخويف من ارتكاب الآثام والنار وجحيمها لقوله تعالى: **﴿ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ﴾** [الأنفال: 14]، أسلوب ناجح لإصلاح النفوس، ولهدايتها ولتهذيبها ولكسر

---

(1) انظر: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: 151).

(2) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب، وعقوبة من عصى إمامه (4/ 65) رقم الحديث (3038).

(3) انظر: مكفرات الخطايا، أحمد بن عبد الرحمن الصويان (164/ 8).

(4) انظر: التربية الذاتية من الكتاب والسنة، د. هاشم علي الأهدل (2/ 215).

(5) انظر: تفسير التستري (ص: 71).

كبريائها أحيانًا، ولحبسها أحيانًا، فمن الناس من ينفعه الترغيب، ومن الناس من ينفعه الترهيب، ومن الناس من ينتفع بالاثنين معًا، وكل ذلك ورد في كلام تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تقدم أحدهما مرة، وتأخر أحدهما مرة، واقْترَنَا مرة أخرى،[1].

5- العناية وحث المسلمين على إعداد المجاهدين بالتعليم، والكتب والمال، ووسائل النقل المناسبة، والسلاح، وغير ذلك من لوازم إعداد وتجهيز المجاهدين في سبيل الله ﷻ لقوله الله تعالى: **﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾** [الأنفال: 60][2].

6- التحدث عن مصير المعاندين والمحاربين لله ولرسوله ﷺ بقوله تعالى: **﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾** [الأنفال: 38]، يذكر ذلك المصير على وجه الحسم والجزم، ولكن قبل الحديث عن المصير المحتوم يفتح لهم بابا واسعا للانتظام في صف عباد الله دون محاسبتهم عما اقترفوا بحق المسلمين عندما كانوا كفارا ويعتبر هذا الأمر أعظم عاملٍ في إطماع النفوس في المجيء إلى الإسلام والدخول فيه، إذ يجد العدو نفسه أمام عفو مطلق لا يتحمل معه أي تبعة لأي شيء مضى قبل إسلامه، ولو لم يكن الأمر كذلك لما أسلم من أسلم ممن حارب الإسلام كخالد بن الوليد، وعمرو بن العاص ، ولو يعلم أنه إذا جاء إلى النبي ﷺ مسلما سيعاقبه ولو بعقوبة بسيطة، ما أتى ولكنه علم أن الإسلام يجب ما قبله، وهذا الأمر له أثره الكبير في تشجيع من كان في صف المشركين أن يأتي مسلما[3].

7- من أكبر فوائد هذا الأسلوب على المسلم أنه إذا التبست عليك الطرق، واشتبهت عليك الأمور، وصرت في حيرة من أمرك، وضاق بها صدرك، فارجع إلى القرآن الذي لا حيرة فيه، وقف على دلائله من الترغيب والترهيب، والوعد والوعيد، وإلى ما ندب الله إليه المؤمنين من الطاعة وترك المعصية، فإنك تخرج من حيرتك، وترجع عن جهالتك، وتأنس بعد وحشتك، وتقوى بعد ضعفك.

---

(1) انظر: دروس للشيخ علي القرني (23/ 2).

(2) انظر: فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري، سعيد بن علي بن وهب القحطاني (1/ 307).

(3) انظر: فقه الحرب النفسية في ضوء سورة الأنفال، د. أحمد قطران (ص: 193).

المطلب الثاني: أسلوب النداء.

وفيه مطلبان:

أولًا: النداء لغة واصطلاحا:

1- **النداء لغة:** فيه ثلاث لغات، أشهرها كسر النون مع المد، ثم مع القصر، ثم ضمها مع المد، واشتقاقه من ندى الصوت وهو بعده، يقال: فلان أندى صوتًا من فلان، إذا كان أبعد صوتًا منه[1].

2- **النداء اصطلاحا:** هو دعوة المخاطب بحرف نائب مناب فعل كأدعو ونحوه، وأدواته ثمان: يا والهمزة وأي وآي وآ وأيا وهيا ووا[2].

ثانيًا: اختلاف الأوامر والنواهي في النداءات:

تقدم أن سورة الأنفال نزلت تحلّ مشكلات المؤمنين في غزوة بدر من الغنائم والأسرى وغير ذلك، وتذكرهم بنعم الله عليهم، وتعرِض لما يجب أن يكون عليه المؤمنون من شجاعة وثبات حتى يظفروا بالنصر والفلاح، ويحصلوا على العزة التي جعلها الله لعباده المؤمنين، في سبيل هذا ناداهم الله ست مرات بأسلوب التربية الإيمانية، وبالخطاب العقلي للمؤمنين على اختلاف الأوامر والنواهي، وإليك هذه النداءات:

1- **النداء الأول: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ﴾** [الأنفال: 15]، النداء للذين آمنوا، فيه تحريض على الصبر واللقاء والثبات، فكان نداء أهل الإيمان بعنوان الإيمان تحريضا على الثبات والمجاهدة، وكان ذكر لقاء الكافرين تحريضا أشد؛ لأنهم الذين آذوهم وأخرجوهم من ديارهم وظاهروا على إخراجهم[3].

2- **النداء الثاني: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾** [الأنفال: 20]، أي: اطيعوا الله ورسوله في الإجابة إلى الجهاد، وقد علمتم أن النصر كان بتأييد الله وطاعة رسوله، ولا تكونوا كالمنافقين لا يذعنون للحق[4].

---

(1) انظر: شرح الأشمونى لألفية ابن مالك (3/ 15).

(2) انظر: علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع، المراغي (ص: 81).

(3) انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة (6/ 3084).

(4) انظر: تيسير التفسير، القطان (2/ 101).

3- **النداء الثالث:** ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ**﴾ [الأنفال: 24]، يدعوهم لما يحييهم ويخاطبهم وهم أحياء؛ ولكنه يدعوهم إلى حياة أخرى دائمة باقية، أما من لم يستجب لهذا النداء ويسعى لهذه الحياة؛ فلن يأخذ إلا هذه الحياة القصيرة الفانية التي لا بقاء لها(1).

4- **النداء الرابع:** ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [الأنفال: 27]، أي: لا تخونوا الله بترك فرائضه، والرسول بترك سنته(2).

5- **النداء الخامس:** ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا**﴾ [الأنفال: 29]، يا أيها الذين صدَّقوا بالحق وأذعنوا له، إن تخضعوا لأوامر الله في السر والعلن، يجعل الله ﷻ في أنفسكم قدرة تفرقون بها بين الحق والباطل، ويهبكم نصرا ليفصل بينكم وبين أعدائكم، ويستر سيئاتكم فتذهب ويغفرها لكم، وهو ﷻ صاحب الفضل الكبير دائمًا(3).

6- **النداء السادس:** ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [الأنفال: 45]، أي: يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، إذا لقيتم جماعة من أهل الكفر قد استعدوا لقتالكم، فاثبتوا ولا تنهزموا عنهم، واذكروا الله كثيرًا داعين مبتهلين لإنزال النصر عليكم والظَّفَر بعدوكم؛ لكي تفوزوا(4).

---

(1) انظر: تفسير الشعراوي (15/ 9053).

(2) انظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد، الواحدي (10/ 108).

(3) انظر: المنتخب في تفسير القرآن الكريم، لجنة من علماء الأزهر (ص: 247).

(4) انظر: التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير (1/ 182).

الفصل الثاني

توجيهات تربوية تعبدية دعوية اخلاقية

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: توجيهات تربوية تعبدية

المبحث الثاني: توجيهات تربوية دعوية

المبحث الثالث: توجيهات تربوية أخلاقية

المبحث الرابع: الأساليب الواردة في التوجيهات التربوية المنثورة في هذا الفصل

المبحث الأول: توجيهات تربوية تعبدية

وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: أهمية الصلاة في زمن البلاء والابتلاء

المطلب الثاني: التربية على الإنفاق في سبيل الله

المطلب الثالث: الأمر بالتوبة والاستغفار

المطلب الرابع: الأمر بالتوكل على الله والأخذ بالأسباب

المطلب الخامس: الأمر بالتقوى وبيان ثمراتها

المطلب السادس: الأمر بالصبر في مواجهة النوازل

المطلب السابع: دعوة العباد للدعاء

الفصل الثاني

توجيهات تربوية تعبدية دعوية اخلاقية

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: توجيهات تربوية تعبدية.

وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: أهمية الصلاة في زمن البلاء والابتلاء.

أنواع الصلاة:

1- صلاة المؤمنين وصفاتهم:

فقد عظم الإسلام الصلاة ورفع من ذكرها في وقت قد منعنا من الصلاة في مساجدنا العظام؛ بسبب مرض "فيروس كورونا"[1]، وقد اشتاقت قلوبنا إلى بيوت الرحمن؛ للطمأنينة ببيته، والأنس بمحبيه، واللقاء بعباده، والتدبر بآياته والإمام يقرأ قرآنه، والاستماع للخطب والدروس والمواعظ، وللتأمين لدعاء الإمام في النوازل، فبه ينشر العلم، وينظم الوقت، ويرفع البلاء، وتزداد الحسنات بالذهاب والإياب.

فإقامة الصلاة من صفات وأفعال أهل الإيمان لقوله تعالى: **﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾** [الأنفال: 3]، ينبه ﷺ بذلك على أعمالهم بعد ما ذكر اعتقادهم وهذه الأعمال

---

(1) مرض فيروس كورونا 2019 (اختصارًا كوفيد-19)، ويعرف أيضًا باسم المرض التنفسي الحاد المرتبط بفيروس كورونا المستجد 2019، وهو مرضٌ تنفسي حيواني المنشأ، يسببه فيروس كورونا 2 المرتبط بالمتلازمة التنفسية الحادة الشديدة (سارس كوف 2)، وهذا الفيروس قريبٌ جدًا من فيروس سارس، اكتشف الفيروس المستجد لأول مرة في مدينة ووهان الصينية عام 2019، وانتشر حول العالم منذ ذلك الوقت مسببًا جائحة فيروس كورونا 2019-2020 العالمية، تتضمن الأعراض الشائعة للمرض الحمى والسعال وضيق النفس، أما الآلام العضلية وإنتاج القشع وألم الحلق فليست أعراضًا شائعة، في حين تسلك معظم الإصابات مسارًا حميدًا قليل الأعراض، يتطور عدد منها إلى أشكال أكثر خطورة مثل ذات الرئة الشديدة والاختلال العضوي المتعدد، تقدر نسبة عدد الوفيات إلى عدد الإصابات المشخصة بنحو 3.4% لكنها تختلف تبعًا للعمر ووجود أمراض أخرى، تنتقل العدوى عادة من شخص إلى آخر بالقطيرات التنفسية الناتجة عن السعال أو العطاس، تتراوح المدة الزمنية الفاصلة بين التعرض للفيروس وبداية الأعراض من يومين إلى 14 يومًا، بمعدل وسطي هو خمسة أيام، ويمكن تشخيص الإصابة أيضًا من خلال جمع الأعراض وعوامل الخطر مع التصوير المقطعي المحوسب للصدر الذي يبدي علامات ذات الرئة، انظر : https://ar.wikipedia.org/wiki/.

تشمل أنواع الخير كلها، وهو إقامة الصلاة وهو حق الله تعالى، وبهذا قال قتادة (ت: 117): (إقامة الصلاة المحافظة على مواقيتها ووضوئها وركوعها وسجودها)، وقال مقاتل بن حيان (ت: 150): (إقامتها المحافظة على مواقيتها وإسباغ الطهور فيها وتمام ركوعها وسجودها وتلاوة القرآن فيها والتشهد والصلاة على النبي ﷺ والأذكار في مواقيتها المحددة لها شرعا)[1]، وأيضا تكون "من فرائض ونوافل، بأعمالها الظاهرة والباطنة، كحضور القلب فيها، الذي هو روح الصلاة ولبها"[2]؛ لأن الشأن في صلاة المؤمنين أن تكون إحساسا عميقا بالوقوف بين يدي الله، وانقطاعًا تامًا لمناجاته، وتمثلًا حيًا لجلاله وكبريائه، واستغراقًا كاملًا في دعائه[3]، وقد خص إقامة الصلاة والصدقة لكونهما أصل الخير وأساسه.

2- صلاة المشركين وأعوانهم:

بين الله ﷻ كيف كانت صلاة أهل الجاهلية من كفار قريش ومن كان معهم عند البيت من مكاء وتصدية في قوله تعالى: **﴿وَمَا كَانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾** [الأنفال:35]، قال ابن عباس رضي الله عنهما (ت: 68): (كانت صلاة المشركين عند البيت **﴿مُكَاءً﴾** يعني: التصفير، **﴿وَتَصْدِيَةً﴾** يعني: التصفيق)[4]، "فما كانت صلاة المشركين وطوافهم في البيت الحرام إلا من قبيل اللهو واللعب، فكانوا يطوفون رجالًا ونساءً عراةً يصفرون بأفواههم ويصفّقون"[5]، والمقصود أن مثل هذه الأفعال لا تكون عبادة، بل من شعائر الجاهلية[6]، فهكذا كانت صلاتهم، وهذا أقرب إلى اللعب منه إلى الخشوع، فإن هذا لا يليق بمكان البيت ولا بشموخ البيت، أن يطوفوا حوله يزعمون أنهم يصلون، وفوق ذلك كانوا يطوفون عراة، وبه قَالَ عروة بن الزبير (ت: 94): **(كَانَتِ الْعَرَبُ تَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرَاةً...)**[7]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما (ت: 68)، قال: **(كانت قريش يطوفون بالبيت وهم عراة يصفرون**

---

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (4/ 10).

(2) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي (ص: 315).

(3) التفسير الوسيط، الطنطاوي (6/ 31).

(4) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري (11/ 162).

(5) تيسير التفسير، القطان (2/ 105).

(6) فصل الخطاب في شرح مسائل الجاهلية التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية، أبو المعالي محمود شكري الألوسي (2/ 276).

(7) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الحج، بابٌ في الوقوف وقوله تعالى: **﴿ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس﴾** [البقرة: 199] (2/ 894) رقم الحديث: (152).

ويصفقون)[1] ويقولون في ذلك: "لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها"[2]، فانظر إلى هذا الورع البارد والفكر الشاذ، ثياب خلعوها وقلوبهم مفعمة بالشرك، ومفعمة بالكفران، ومع ذلك لا يطوفون بها، وما خطر لهم أن يخلعوا الشرك من القلب، إنما اكتفوا بخلع الثياب، وهكذا تجد من هؤلاء في مصر والسودان وغيرها من البلاد تأخذ من الالتزام الشكل دون الجوهر؛ بقرأت القرآن، والصلاة بمكبرات الصوت، وطرق بدعهم المختلفة من الأفكار الضالة المضلة للمسلمين، يحتفلون ويغنون ويصفقون ويتمايلون، ولربما يسمعون الموسيقى بحجة الدين والطاعة لله ومحبة لرسول الله ﷺ، هذا هو حقيقة المكاء والتصدية، هؤلاء وأمثالهم أبعد الناس عن الاتباع، ولا جوهر في الحقيقة، فكيف لا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام الذي يصلون لله فيه ويعبدونه، ولم يكونوا لله أولياء، بل أولياؤه الذين يصدونهم عن المسجد الحرام وهم لا يصلون في المسجد الحرام[3] كما قال تعالى: **﴿وَما لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَما كانُوا أَوْلِياءَهُ، إِنْ أَوْلِياؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾** [الأنفال: 34]، فمن اتخذ الغناء والتصفيق عبادة وقربة فقد ضاهى المشركين في ذلك، وشابههم فيما ليس من فعل المؤمنين من المهاجرين والأنصار، فإن كان يفعله في بيوت الله فقد زاد في مشابهته أكبر وأكبر، واشتغل به عن الصلاة وذكر الله ودعائه، فقد عظمت مشابهته لهم[4]، فكل هذا تخريب للمسجد الحرام، لأن منع الناس من إقامة شعائر العبادة فيه، سعى في تخريبه، وأيُّ خراب أعظم مما فعلوا، أخرجوا عنه رسول الله ﷺ وأصحابه، واستحوذوا عليه بأصنامهم وأندادهم وشركهم[5]، كما قال تعالى: **﴿ما كانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَساجِدَ اللَّهِ شاهِدِينَ عَلى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ، أُولئِكَ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خالِدُونَ إِنَّما يَعْمُرُ مَساجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسى أُولئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾** [التوبة: 17- 18].

---

(1) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري (11/ 164).

(2) معاني القرآن، النحاس (3/ 25).

(3) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري (11/ 160).

(4) مفهوم الصبر عند ابن تيمية، أبو حمزة الشامي (2/ 318).

(5) انظر: محاسن التأويل، القاسمي (1/ 378).

التوجيهات التربوية من خلال أهمية الصلاة في زمن البلاء والابتلاء:

1- بيان صلاة الأتقياء وأنصارهم من المؤمنين لقوله تعالى: **﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾** [الأنفال: 3]، وصلاة المشركين وأعوانهم من الكفار ومن يضل المسلمين لقوله تعالى: **﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾** [الأنفال: 35].

2- الصد عن المسجد الحرام جريمة عظيمة يستحق فاعلوها عذاب الدنيا قبل عذاب الآخرة.

3- عمارة المسجد الحرام وولايته، شرف لا يستحقه إلَّا أولياء الله المتقون[1].

4- دين الله ﷻ لا يؤخذ بالمظاهر والشكليات؛ بالقدر الذي يؤخذ بجوهر الحقيقة الإيمانية، فلا يخلع ثياب الكفر بالظاهر، وقلوبهم مفعمة بالشرك والكفران.

المطلب الثاني: التربية على الإنفاق في سبيل الله.

أولًا: الإنفاق في وجوه الخير:

قال الله تعالى: **﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (2) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾** [الأنفال: 2، 3]، الإنفاق مما رزقهم الله يشمل: حقوقَ للعباد من واجبٍ: كالزكوات، والكفارات، والنفقة على الزوجات والأقارب، وما ملكت أيمانهم[2] ومستحبٍ: كالصدقة في جميع طرق الخير للأقربين والمعوزين من انتشال المحتاجين من وهدة الفقر وألم الحرمان[3]، ومعاونة الضعفاء ومصالح الأمة من وجوه البر ومرافقها العامة[4]، وجهاد العدو لإقامة دولة الإسلام، فالخلق كلهم عيال الله؛ فأحبهم إلى الله أنفعهم لخلقه، قال قتادة (ت: 117): "فأنفقوا مما أعطاكم الله فإنما هذه الأموال عواريٌ[5] وودائع[6] عندك يا ابن آدم أوشكت أن تفارقها"[7].

---

(1) انظر: المختصر في تفسير القرآن الكريم، جماعة من علماء التفسير (1/ 181).

(2) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي (ص: 315).

(3) انظر: التفسير الوسيط، الزحيلي (1/ 774).

(4) انظر: تيسير التفسير، القطان (2/ 97).

(5) الشئ المعار: انظر: معجم لغة الفقهاء، محمد قلعه جي وحامد قنيبي (ص: 300).

(6) العهد، انظر: طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية، النسفي (ص: 98).

(7) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (4/ 10).

وكم من الناس تراه في الصلاة، وهو بعيد عن عبادة الزكاة والإنفاق في وجوه الخير، بل ترى بعضهم يرابي في البنوك والمعاملات المالية بحجج واهية، مخافة الفقر، وما علم هذا وغيره أن من أصول الإسلام، منها قائمة على حق الله تعالى وهو الصلاة، وحق العباد وهو الإنفاق في سبيل الله.

ثانيًا: قوة الجهاد بالإنفاق:

اعلم أن الإيمان لا يكتمل في قلب المرء حتى ينفق مما يحب من الأموال والمحبوبات لقوله تعالى: **﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾** [آل عمران: 92]، ومن كرم الله على خلقة، فإن هذه النفقات لا تضيع سدى، بل هي تزداد لك بركة في الدنيا لقوله تعالى: **﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ﴾** [الحديد: 18]، وقال تعالى: **﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (5) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (6) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾** [الليل: 5– 7]، وتبقى لك في الآخرة لقوله تعالى: **﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾** [الأنفال: 60]، وقوله: **﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾** [سبأ: 39]، قال ابن عباس ﷺ (ت: 68): أي: لا يضيع في الآخرة أجره، ويعجل الله عوضه في الدنيا وأنتم لا تنقصون من الثواب[1]، وقال ابن كثير (ت:774): أي: "مهما أنفقتم من شيء فيما أمركم به وأباحه، فهو يخلفه عليكم في الدنيا بالبدل، وفي الآخرة بالجزاء والثواب"[2].

ولما أمر الله بإعداد القوة المستطاعة كائنة ما كانت، وكان إعدادها يحتاج إلى مادّة رغب المؤمنين في الإنفاق في سبيل الله لينفقوا ويعينوا على إعداد القوة[3]، فأولى مشاريع الإسلام الجهاد في سبيل الله، كما قال ابن كثير (ت:774) في قوله تعالى: **﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾** [الأنفال: 60]، أي: "مهما أنفقتم في الجهاد، فإنه يوفى إليكم على التمام والكمال"[4]، وقيل: "السلاح والخيل، يوف إليكم ثوابه"[5]، وقيل: "في الجهاد وإن كان يسيرًا حقيرًا، وقيل: هو أمر عام في كل وجوه الخيرات والطاعات ويدخل فيه نفقة الغزو، دخولًا أوليًا"[6].

---

(1) انظر: التفسير الكبير، الرازي (15/ 500).

(2) تفسير القرآن العظيم (6/ 462).

(3) انظر: العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، الشنقيطي (5/ 159).

(4) تفسير القرآن العظيم (4/ 73).

(5) بحر العلوم، السمرقندي (2/ 29).

(6) فتح البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان (5/ 204).

فالحرب تحتاج إلى نفقات، وإعداد العدة تحتاج إلى نفقات، وفي أيامنا تحتاج العدة إلى الإنفاق من الدولة والجماعات، حتى لا تضطر بعض جماعاتنا الإسلامية وأمة الإسلام من الذهاب إلى الكافرين وأصحاب الأفكار الضالة من الدول المجاورة، من أجل دعم المجاهدين لأجندة خارجية تخرجنا عن الدستور القرآني، والمصيبة تعم عندما تخلت الدولة العربية الإسلامية عن القضية الأولى لأمة الإسلام، وهي تحرير بيت الله المقدس من دنس اليهود.

ولو أنهم أنفقوا على المسلمين لأخرجوا المسلمين من الظلام إلى العلم والبحوث العلمية ومن الذل إلى العز ومن الضعف إلى القوة ومن الاستيراد إلى التصدير ومن الاستهلاك إلى التصنيع ومن عبودية العباد إلى عبودية رب العباد ومن الاحتلال إلى التحرير.

ولنا في أصحاب رسول الله ﷺ مثل يقتدى به، فمنهم من كان يخرج من ماله كله للجهاد في سبيل الله، كأبي بكر ﷺ، ومنهم من كان يخرج نصف ماله كعمر بن الخطاب ﷺ، ومنهم من كان يجهز جيشا بأسره كذي النورين عثمان بن عفان ﷺ، وأنى لنا بأمثال هؤلاء من أمراء المسلمين وملوكهم، وعندهم المال الوفير من أكناز الأرض، وصدق الله تعالى عندما قال: **﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾** [البقرة: 195]، أي: ومن لا ينفق ألقى بنفسه وبقومه في التهلكة، قال سعيد بن جبيرٍ (ت: 95): أي: "ترك النفقة في سبيل الله"[1] وعن ابن عباس ﷺ (ت: 68): أي: "ليس التهلكة أن يقتل الرجل في سبيل الله، ولكن الإمساك عن النفقة في سبيل الله"[2]، فهؤلاء الحكام عندما أمسكوا الأموال ولم ينفقوها في سبيل الله، وأنفقوها على الكفار من أجل أن يحموا لهم عروشهم وشهواتهم وملذاتهم الدنية، فقد أوقعوا أنفسهم وأمة الإسلام بالتهلكة، وأصاب الأمة ما أصابهم من التنكيل بالعلماء والحكماء والمصلحين والمجاهدين، بل صار مكانهم في سجون الظلمة، والمظلومين في ظلام دامس، لا يرون الشمس ولا النور تحت سياسة التجهيل والاستعباد للحريات، ليبيض ويفرخ الجهل والضعف ولا حول لنا ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

ولأهمية الإنفاق للجهاد في سبيل الله تعالى، قال عمر الأشقر: "إن كثيرًا من استعمالات سبيل الله تصدق على الجهاد، مما يجعل هذا المعنى أقرب من غيره فقد ورد لفظ: "**في سبيل الله**" خمسين مرة منها؛ ثمانية وثلاثين منها مع القتال والجهاد، وثمانية مواضع مع الإنفاق؛ سبعة منها في الإنفاق مع القتال، والثامن هو آية الصدقة، والأربعة المتبقية تمام الخمسين

---

(1) تفسير مجاهد (ص: 224).

(2) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري (3/ 314).

وردت مع الهجرة التي يراد بها التوجه لديار الإسلام إعزازا للدين، فيتبين من ذلك أن أغلب المواضع التي ورد فيه اللفظ أريد به الجهاد"[1].

ثالثًا: الأنفاق في سبيل الله تعالى يؤلف القلوب:

جمع الله بين قلوب المؤمنين فصارت على قلب رجل واحد، نيتها إعلاء كلمة الله، ونصر دينه، ونصر نبيه، ومحبة كل للآخر بعد أن كانت قلوبهم غير مجتمعة ولا متألفة، بل هذا يريد قتل هذا، وهذا يريد قتل هذا، بقلوب شتى لا تتألف فصور الله ﷻ وأعظم المنة على المسلمين في جمع الكلمة وتأليف القلوب[2]: ﴿**وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ [الأنفال: 63]، فجمع الله بين قلوب المؤمنين من الأوس والخزرج، بعد التفرق والتشتت، على دينه الحق، فصيَّرهم به جميعًا بعد أن كانوا أشتاتًا، وإخوانًا بعد أن كانوا أعداء، ومحبةً بعد البغضة ومودةً بعد النفرة وألفةً بعد الفرقة، كما قال تعالى ممتنًا على الأنصار: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا**﴾ [آل عمران: 103]، أي: لو أنفقت يا محمد، ما في الأرض جميعا من ذَهبَ ووِرْقٍ وعَرَضٍ، ما جمعت أنت بين قلوبهم بحيلك، ولكن الله جمعها على الهدى؛ فأتلفت واجتمعت، تقوية من الله لك وتأييدًا منه ومعونة على عدوك، منها:

1- تأييد الله تعالى لرسول الله ﷺ على ثلاث:

أ- يؤيده بنصره.

ب- يؤيده بالمؤمنين.

ت- يؤلف بين قلوب المؤمنين.

والتأليف بين القلوب جاء؛ لأن رسول الله ﷺ أُرسل لقوم لهم عصبية وحمية، وهم قبائل متفرقة تقوم الحروب بينهم لأتفه الأسباب؛ لأن عناصر التنافر موجودة بينهم أكثر من عناصر الائتلاف[3].

---

(1) انظر: مشمولات مصرف في سبيل الله بنظرة معاصرة حسب الاعتبارات المختلفة، (ص: 232).

(2) انظر: العزلة، الخطابي (ص: 5).

(3) انظر: تفسير الشعراوي (8/ 4785).

2- من أعظم الأسباب الدنيوية للتألف:

"المال": فإنه يؤلف القلوب ويزيل العداوة، لكن الله العظيم بقدرته وجلاله ألف بين قلوبهم؛ لأنه ﷻ وحده هو الذي يملك القلوب ويصرفها كيف يشاء؛ إذ كل إنسان قلبه بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء، كما في قوله تعالى: ﴿**واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه**﴾ [الأنفال: الآية 24]، الذي بيده القلوب يصرفها كيف يشاء، ويقلبها كيف يشاء هو وحده الذي يقدر على تأليف قلوبهم، وجمع كلمتهم، ولم شعثهم، وإزالة ما كان بينهم[1].

3- ألف الله بين قلوبهم من وجهين:

أ- **الوجه الأول:** بقوله تعالى: ﴿**وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ**﴾ [الأنفال:63]، أظهر في التأليف من قوله: ﴿**أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ**﴾؛ لأنه إذا تآلفت الظواهر كان ذلك دليلًا على تآلف البواطن، لكن لو تآلفت البواطن فقد يختلف التآلف في الظواهر، فلهذا قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿**لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ**﴾ [لأنفال:63]، "وهذا وعد من الله ﷻ، والله ﷻ قادر على تقليب القلوب، وتغيير الأحوال، وتسهيل أسباب المودة"[2].

ب- **الوجه الثاني:** أن المدار على تأليف القلوب وهو أمر باطن لا يقدر عليه إلا الله، أما تأليف الظواهر فقد يأتي شخص من الناس ولاسيما من له كلمة في مجتمعه؛ فيؤلف بين اثنين تأليفًا صوريًا ويقول: أنا ألفت بين هذين الرجلين، وجمعت بينهما، وأصلحت بينهما، لكن قلوبهما متعادية، ومثل هذا التآلف لا يدوم طويلًا فلهذا قال: ﴿**مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ**﴾ [الأنفال:63][3].

لم تكن المسألة في تأليف القلوب مسألة احتياج إلى مال؛ لأن المال لا يمكن أن يعطي الحب الحقيقي، ولذلك فهناك بين الناس ارتباط مصالح وارتباط قلوب، وارتباط المصالح ينتهي بمجرد أن تهتز أو تنتهي هذه المصالح، لكن ارتباط القلوب يتحدى كل الأزمات، وأنت لا تستطيع أن تجعل إنسانًا يحبك حقيقة مهما أعطيته من مال؛ لأن الحب الحقيقي لا يُشترى ولا يباع، إنما يشترى النفاق والتظاهر وغير ذلك من المشاعر السطحية، والعرب الذين ألف الله بين قلوبهم لم يكن يهمهم المال بقدر ما تهمهم الحمية والعصبية، فغالبيتهم يملكون الثروات، ولكن

(1) انظر: العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، الشنقيطي (5/ 166).

(2) التفسير المنير، الزحيلي (28/ 133).

(3) انظر: لقاء الباب المفتوح، ابن عثيمين (12/ 18).

الفرقة فيما بينهم نابعة من الحمية والعصبية التي تجعل في القلوب غلًا وحسدًا وحقدًا، ومع ذلك فالمال سبب في تأليف القلوب لمن حرم منه، وكما يقال عندنا في المثل الغزي "الفلوس بتغير النفوس"؛ فإنك إن أعطيته وأشبعته أحبك، بخلاف الأنصار فإنهم أصحاب ثروات.

الله تبارك وتعالى لم يكتف بالتأليف بين الأنصار بعضهم بعضا، بل ألف بين المهاجرين والأنصار، ففرح الأنصار بقدومهم، وأكرموهم بأحسن الكرامة، ووسعوا لهم الديار، وآثروهم على الأهل والأولاد، وأحبوهم حبًا شديدًا، وصاروا إخوةً في الله تعالى، وتآلفت القلوب بتوفيقٍ من المحبوب[1]، والذي فعل ذلك وسببه لك حتى صاروا لك أعوانًا وأنصارًا ويدًا واحدة على من بغاك، بالتعاضد على إقامة دينه وإظهار شعائره، إذ بدون ائتلاف القلوب لا يتم ذلك، لقوله تعالى: ﴿**وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ**﴾ [سورة الأنفال: 73]، ومن حديث أَنَس بْنِ مَالِكٍ ﷺ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا)**[2]، وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَاصِمٍ، قَالَ: لَمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ، قَسَمَ فِي النَّاسِ فِي المُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ، وَلَمْ يُعْطِ الأَنْصَارَ شَيْئًا، فَكَأَنَّهُمْ وَجَدُوا إِذْ لَمْ يُصِبْهُمْ مَا أَصَابَ النَّاسَ، فَخَطَبَهُمْ فَقَالَ: **(يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ، أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمُ اللَّهُ بِي، وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُمُ اللَّهُ بِي، وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللَّهُ بِي)**[3].

رابعًا: لا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف:

أن تكون متَّصفًا بخلق الألفة أمرٌ يقتضي منك من سَعَة الصدر ما تحب به الناس، ومن حسن الخلق ما يجعل الناس يحبُّونك، فتكون بذلك سببًا من أسباب اجتماع الكلمة، ووحدة الصف، وترابط القلوب، وعندئذٍ تكون بحق أليفًا ومألوفًا، وربط رسول الله ﷺ خلق "الألفة" بالإيمان، فقال من حديث جَابِرٍ ﷺ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(الْمُؤْمِنُ يَأْلَفُ وَيُؤْلَفُ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْلَفُ، وَلَا يُؤْلَفُ، وَخَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ)**[4]، قال الشيخ أحمد بن يحيى النجمي[5]: "لما

---

(1) انظر: الشريعة، الآجري (4/ 1632).

(2) صحيح البخاري، كتاب المظالم، بابٌ: أعن أخاك ظالمًا أو مظلومًا (3/ 128) رقم الحديث (2443).

(3) المرجع السابق (5/ 157) رقم الحديث (2443).

(4) صحيح الجامع الصغير وزيادته، الألباني، حرف الميم، فصل في المحلى بـ[ال] من هذا الحرف (2/ 1131) رقم الحديث (6662)، وقال الألباني حديث حسن.

(5) **أحمد بن يحيى بن محمد بن شبير النجمي:** (1346- 1928 – 1429- 2008)، هو العلامة المحدث المسند الفقيه، ولد بقرية النجامية، ونشأ في حجر أبوين صالحين، حتى إنهما لا يتركانه يلعب بين الأولاد ولما بلغ سن التمييز أدخلاه كتاتيب القرية فتعلم القراءة والكتابة وقرأ القرآن في الكتاتيب، انظر: المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين، أسامة بن الزهراء (ص: 29).

جاء الإسلام أمر بالوحدة والالتئام، ومنع التفرق والانقسام، لأنَّ التفرق والانقسام يؤدي إلى التصدع"[1]، فالاجتماع على الحب في الله، وائتلاف القلوب على الطاعة، وخلوصها من نوازع الجاهلية، لنعمة كبيرة تستحق لفت الأنظار إليها؛ للمحافظة عليها، وعدم التفريط فيها، لقوله تعالى: **﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ﴾** [آل عمران: 103]، ويشير القرطبي (ت: 671) إلى لفتةٍ طيبة حول مطلع الآية: **﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾** [آل عمران: 103]، فيقول: "وليس فيه دليل على تحريم الاختلاف في الفروع، فإن ذلك ليس اختلافًا؛ إذ الاختلاف ما يتعذر معه الائتلاف والجمع، ومازالت الصحابة يختلفون في أحكام الحوادث وهم مع ذلك متآلفون"[2]، فلا يظن أحدنا أن الإصرار على إثبات قول راجح أولى من الحرص على دوام الألفة، ويُؤكِّد رسول الله ﷺ هذا المعنى بقوله من حديث جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(اقْرَءُوا القُرْآنَ مَا ائْتَلَفَتْ قُلُوبُكُمْ، فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فَقُومُوا عَنْهُ)**[3]، سواء كان الاختلاف في فهم معناه أو طريقة أدائه، فالقيام من مجلس الخلاف هو اللائق بالمؤمنين.

ويرى صاحب الظلال صورةً من الإعجاز في التأليف بين القلوب "ولقد وقعت المعجزة التي لا يقدر عليها إلا الله، والتي لا تصنعها إلا هذه العقيدة، فاستحالت هذه القلوب النافرة وهذه الطباع الشموس إلى هذه الكتلة المتراصة المتآخية، الذَّلول بعضها لبعض، المحب بعضها لبعض، المتآلف بعضها مع بعض، بهذا المستوى الذي لم يعرفه التأريخ"[4]، وصاحب الألفة بما يناله من رضا الله وحب ملائكته، **(ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي الأَرْضِ)**[5]، وقد قيل في شرحه: "المراد بالقبول الحب في قلوب أهل الدين والخير له، والرضا به، واستطابة ذكره في حال غيبته، كما أجرى الله عادته بذلك في حق الصالحين من سلف هذه الأمة ومشاهير الأئمة"[6]، وخيار الناس في نظر الشرع هم الذين يألفون ويؤلفون، وخاصة حين يكونون في منصب أو مسؤولية؛ إذ قد يَنْزَلقون إلى صور من الغلظة والجفوة حين يكونون مطلوبين لا طالبين، ونستوضح هذا الفهم من حديث عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، عَنْ رَسُولِ ﷺ قَالَ: **(خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ**

---

(1) المورد العذب الزلال فيما انتقد على بعض المناهج الدعوية من العقائد والأعمال (ص: 65).

(2) الجامع لأحكام القرآن (4/ 159).

(3) صحيح البخاري، البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب اقرءوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم (6/ 198) رقم الحديث (5060).

(4) في ظلال القرآن، سيد قطب (3/ 1548).

(5) صحيح البخاري، البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة (4/ 111) رقم الحديث (3209).

(6) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي (22/ 12).

وَيُحِبُّونَكُمْ، وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ، وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ)، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ بِالسَّيْفِ؟ فَقَالَ: **(لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْ وُلَاتِكُمْ شَيْئًا تَكْرَهُونَهُ، فَاكْرَهُوا عَمَلَهُ، وَلَا تَنْزِعُوا يَدًا مِنْ طَاعَةٍ)**[1]، وعَنْ عَائِشَةَ ﵂، قَالَتْ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: **(الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ)**[2]، وبِهَذَا فإن الإحسان إلى غير المسلمين من **﴿الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾** إنما شرع لتحبيبهم في الإسلام وجذبهم إليه، واستنقاذهم من دائرة الشرك[3].

فالآن بعض الجماعات والدول الإسلامية منذ سنين تحاول أن تقيم- لا أقول دولة حرة- بل حيًا في بلد، ومع ذلك لم يستطيعوا، بينما الرسول ﷺ خلال عشر سنين أقام دولة كانت تخاف منها معسكرات فارس والروم، بماذا أقامها؟ أقامها بالإخوة وتأليف القلوب، وغيرها من الصفات القلبية والعملية.

ومن الأمثلة على ذلك: من حديث إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: لَمَّا قَدِمُوا المَدِينَةَ آخَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ﵁، وَسَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ، قَالَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ ﵁: (إِنِّي أَكْثَرُ الأَنْصَارِ مَالًا، فَأَقْسِمُ مَالِي نِصْفَيْنِ، وَلِي امْرَأَتَانِ فَانْظُرْ أَعْجَبَهُمَا إِلَيْكَ فَسَمِّهَا لِي أُطَلِّقْهَا، فَإِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا فَتَزَوَّجْهَا، قَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، أَيْنَ سُوقُكُمْ؟ فَدَلُّوهُ عَلَى سُوقِ بَنِي قَيْنُقَاعَ)[4]، ما الذي حدث للعرب؟ كان العربي يغار إذا نظر أحدهم إلى زوجته، بينما سعد بن الربيع يقول الآن: أتنازل لك عن أجمل نسائي؟! ما الذي حدث؟! الله ﷻ غيَّر قلوب هؤلاء، وكل فساد على الأرض بسبب تحول القلوب، فبعد الإسلام أصبح الصحابة رقيقي القلوب، فكانوا كثيري البكاء، وكان الواحد منهم إذا سمع شيئًا من الوعيد، أو آيات من القرآن يسيل دمعه مباشرة، والعين كلما كانت كثيرة البكاء دل ذلك على زكاء النفس؛ فغزو القلوب هو الملك الحقيقي، فإنك إذا استطعت إن تكسب قلب إنسان فتكون كأنك ملكته، فهؤلاء ما ضحوا إلا بعد ما خالطت بشاشة الإيمان قلوبهم وملك رسول الله ﷺ قلوبهم، وبهذا قال ابن خلدون (ت: 808): "وجمع القلوب وتأليفها إنما يكون بمعونة الله في إقامة دينه، وسره أن القلوب إذا تداعت

---

(1) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الإمارة، باب خيار الأئمة وشرارهم (3/ 1481) رقم الحديث (65).

(2) صحيح البخاري، البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، بابٌ: الأرواح جنودٌ مجندةٌ (4/ 134) رقم الحديث (3336).

(3) انظر: هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقا، محمود محمد الخزندار (ص: 193).

(4) صحيح البخاري، البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب إخاء النبي ﷺ بين المهاجرين، والأنصار (5/ 31) رقم الحديث (3780).

إلى أهواء الباطل، والميل إلى الدنيا حصل التنافس وفشا الخلاف، وإذا انصرفت إلى الحق، ورفضت الدنيا والباطل، وأقبلت على الله اتحدت وجهتها، فذهب التنافس، وقل الخلاف، وحسن التعاون والتعاطف، واتسع نطاق الكلمة"[1].

وفي المقابل هل نجحت الوطنية في تأليف القلوب؟.

إن الشعارات الزائفة التي تنادي باسم الوطنية، وهي أقل وأذل من أن تؤلف بين القلوب، حينما تبتعد عن هدي خالقها، وتعرض عن دينه القويم، وما يجري في البلاد الإسلامية وغيرها من بطش أصحاب الوطن الواحد بعضهم ببعض عند قيام الفتن، لهو أقوى شاهد على فشل الالتفاف حول الوطنية، وأنها دعوى عنصرية لا تلين لها القلوب ولا تدمع لها العيون[2]؛ لأن مفتاح القلوب لإدخال الحب والألفة والتعاون والتناصر بين الناس لحب الوطن، يكمن في الانتماء إلى هذا الدين، وفهمه فهما مستقيما والعمل به قولًا وفعلًا[3]، ولا يمكن أن تتم المصالحة الحقيقية بين الجماعات الإسلامية والأحزاب والفئات في العصر الحديث؛ إلا إذا تألفت قلوبهم بالحب والمحبة والألفة والمودة، وإلا كانت المصالح الدنيوية هي التي تجمعهم.

التوجيهات التربوية من خلال التربية على الإنفاق في سبيل الله:

1- الإيمان لا يكتمل في قلب المرء حتى ينفق مما يحب من الأموال والمحبوبات لقوله تعالى: **﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾** [آل عمران: 92].

2- النفقات سبب من أسباب تألف القلوب.

3- الذي بيده القلوب يصرفها كيف يشاء، ويقلبها كيف يشاء هو الله وحده الذي يقدر على تأليف قلوبهم، وجمع كلمتهم، ولم شعثهم، وإزالة ما كان بينهم.

4- جاء الإسلام ليأمر بالوحدة والالتئام، ومنع التفرق والانقسام، لأن التفرق والانقسام يؤديان إلى التصدع.

5- تتم المصالحة الحقيقية بين الجماعات الإسلامية والأحزاب والفئات في العصر الحديث؛ بتألفت القلوب بالحب والمحبة والألفة والمودة، وإلا كانت المصالح الدنيوية هي التي

---

(1) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر (1/ 197)، ودراسات في تميز الأمة الإسلامية وموقف المستشرقين منه، إسحاق بن السعدي (1/ 440).

(2) انظر: موسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة، مجموعة من الباحثين بإشراف السقاف (1/ 337).

(3) انظر: الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية، محماس بن عبد الله الجلعود (1/ 248).

تجمعهم وسرعان ما تفشل لقوله تعالى: ﴿**وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ [الأنفال: 63].

6- في الآيات إنذار للكافرين بأنهم لا يحصلون من إنفاقهم أموالهم في الباطل على طائل، وسوف تصيبهم الحسرة وشدة الندامة.

7- على العبد أن يكثر من الدعاء: يا مُقلِّب القلوب ثبت قلبي على دينك، يا مُصرِّف القلوب اصرف قلبي إلى طاعتك.

8- إن الله تعالى أملك لقلوب العباد منهم، وهو المتصرف في جميع الأشياء، سواء أكانت من أفعال القلوب والعقول أم من أفعال الأعضاء[1].

9- فألف الله بالإيمان بينهم، حتى قاتل الرجل أباه وأخاه بسبب الدين.

10- نفقة الجهاد خير نفقة وهي مضمونة التضعيف.

المطلب الثالث: الأمر بالتوبة والاستغفار.

أولًا: الاستغفار أمان الله في الأرض:

قال الله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**﴾ [الأنفال: 33]، "ذكر المفسرون في معنى هذا الاستغفار ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الاستغفار المعروف، وقد ذكرناه عن ابن عباس[2]، والثاني: أنه بمعنى الصلاة، والثالث: أنه بمعنى الإسلام[3]، "والاستغفار تارةً يذكر وحده، وتارةً يقرن بالتوبة، فإن ذكر وحده دخل معه التوبة، كما إذا ذكرت التوبة وحدها شملت الاستغفار، فالتوبة تتضمن الاستغفار، والاستغفار يتضمن التوبة، وكل واحدٍ منهما يدخل في مسمى الآخر عند الإطلاق، وأما عند اقتران إحدى اللفظتين بالأخرى، فالاستغفار: طلب وقاية شر ما مضى، والتوبة: الرجوع وطلب وقاية شر ما يخافه في المستقبل من سيئات أعماله"[4]، وقيل الاستغفار: هو طلب المغفرة، وهو نوع من أنواع الدعاء، ولكنه أخص منه، فهو خاص بطلب مغفرة الذنوب التي هي سبب لدخول النار[5]، مع العلم أن الخطاب هنا للنبي ﷺ، أي: ما كان الله تعالى ليعذبهم يا محمد وأنت باق فيهم لمهمة قيام الحجة عليهم؛ لأن الله تعالى لا يعذب أحدًا إلا إذا بلغته الحجة، فما دام النبي ﷺ قائم بحجة الله في

---

(1) انظر: التفسير المنير، الزحيلي (9/ 294).

(2) انظر: (ص: 65)

(3) انظر: زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج الجوزي (2/ 207).

(4) شرح العقيدة الطحاوية، أبو العز الحنفي (ص: 309).

(5) انظر: مباحث في العقيدة، الطيار (21/ 77).

خلقه، فمن العدل أن الله تعالى لا يعذب أحدًا لم تبلغه الحجة[1]، ثم يخبر تعالى أنهم أهلٌ لأن يعذبهم، ولكن لم يوقع ذلك بهم لبركة مقام الرسول ﷺ بين أظهرهم، ولهذا لما خرج من بين أظهرهم أوقع الله بهم بأسه يوم بدر فقتل صناديدهم، وأسر سراتهم، وأرشدهم تعالى إلى الاستغفار من الذنوب التي هم متلبسون بها من الشرك والفساد، قال قتادة (ت: 117) والسدي (ت: 127): لم يكن القوم يستغفرون ولو كانوا يستغفرون ما عذبوا[2]، فالاستغفار أمان الله في الأرض كما قال ابن عباس رضي الله عنه (ت: 68): "كان فيهم أمانان: نبي الله والاستغفار قال: فذهب ﷺ وبقي الاستغفار"[3].

ثانيًا: التوبة سبب المغفرة:

قال الله تعالى: **﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾** [الأنفال: 38]، اعلم أنه ﷻ لما بين صلاتهم في عباداتهم البدنية، وعباداتهم المالية، أرشدهم إلى طريق الصواب بالترغيب في التوبة من جميع المعاصي والآثام والعداوة للإسلام، فعلق الغفران على الانتهاء عن الكفر والانتهاء لا يكون إلا بالتوبة[4]، فينبغي على المربي أن يرغب الناس في الإسلام ويرغبهم في التوبة إلى الله تعالى[5]؛ لأن من رحمة الله ﷻ على خلقه، أنه جعل باب التوبة مفتوحًا للكافر والعاصي ترغيبا لهم، وترهيبا لهم، "لأنه إذا قطع بقبول توبة الكافر كان ذلك فتحا لباب الإيمان، وسوقًا إليه، وإذا لم يقطع بتوبة المؤمن، كان ذلك سدًا لباب العصيان ومنعا منه"[6]؛ لأن الله تعالى قال لنبيه محمدٍ ﷺ: **﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا﴾**، أي: عما هم فيه من الكفر والمشاقة وعداوة الرسول والمحاربة والعناد ويدخلوا في الإسلام ويلتزموا بالشريعة والطاعة والإنابة **﴿يُغْفَرُ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾**، من كفرهم وذنوبهم وحربهم وخطاياهم، وكما جَاءَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ **(مَنْ أَحْسَنَ فِي الْإِسْلَامِ**

---

(1) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي، حسن أبو الأشبال (36/ 21).

(2) انظر: مختصر تفسير ابن كثير، الصابوني (2/ 102).

(3) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: الطبري (11/ 151).

(4) انظر: حقيقة السحر وحكمه في الكتاب والسنة، د عواد بن عبد الله المعتق (ص: 184).

(5) انظر: فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري، سعيد بن علي بن وهب القحطاني (1/ 269).

(6) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر (10/ 1492).

لَمْ يُؤَاخَذْ بِمَا عَمِلَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَمَنْ أَسَاءَ فِي الْإِسْلَامِ أُخِذَ بِالْأَوَّلِ وَالْآخِرِ)[1] وَفِي الصَّحِيحِ أَيْضًا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **(الْإِسْلَامُ يَجُبُّ مَا قَبْلَهُ وَالتَّوْبَةُ تَجُبُّ مَا كَانَ قَبْلَهَا)**[2]، وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بن مَسْعُودٍ ﷺ قال: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ! أَنُؤَاخَذُ بِمَا عَمِلْنَا فِي الجَاهِلِيَّةِ؟ قال: **(مَنْ أَحْسَنَ فِي الإِسْلامِ لَمْ يُؤَاخَذْ بِمَا عَمِلَ فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَمَنْ أَسَاءَ فِي الإِسْلامِ أخِذَ بِالأَوَّلِ وَالآخِرِ)**[3]، وقوله تعالى: **﴿وَإِنْ يَعُودُوا﴾**، أي: يستمروا على ما هم فيه **﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾**، أي: فقد مضت سنتنا في الأولين أنهم إذا كذبوا واستمروا على عنادهم أنا نعاجلهم بالعذاب والعقوبة، التي مضت في أسلافهم وكان إصرارهم على الكفر مع علمهم بأن الهلاك الذي تنتهي به حياتهم قادم، فإذا انفتح عليهم العذاب، فاتتهم المغفرة، واتصل عليهم عذاب الدنيا بعذاب الآخرة[4]، وقال الله تعالى: **﴿اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾** [فاطر: 43]، ثم ينصر الله أولياءه في الدنيا في معركة بدر بالقتال، كما قال الله تعالى **﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾** [الأنفال: 39]، ثم يكون العذاب في الآخرة، وهكذا تكون السنن الكونية الإلهية السائرة في الأولين والآخرين، وإلى يوم القيامة.

ثالثًا: الهجرة إلى الله ورسوله ﷺ تُجِّبُ ما قبلها:

قال الله تعالى: **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾** [الأنفال: 74]، فالهجرة في سبيل الله ضربان:

1- **هجرة إلى الله ورسوله بالقلب:**

أ- **هجرة إلى الله:** بالطلب والمحبة والعبودية، والتوكل والإنابة والتسليم، والتفويض والافتقار، والخوف والرجاء.

---

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب إثم من أشرك بالله، وعقوبته في الدنيا والآخرة (9/ 14) رقم الحديث (6921).

(2) مسند أحمد، أحمد، مسند الشاميين، بقية حديث عمرو بن العاص عن النبي ﷺ، (29/ 349) رقم الحديث (17813)، وقال الألباني: حديث حسن، انظر: إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (5/ 122).

(3) صحيح البخاري، البخاري، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب إثم من أشرك بالله، وعقوبته في الدنيا والآخرة (9/ 14) رقم الحديث (6921).

(4) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير (4/ 48).

ب- **هجرة إلى رسول الله ﷺ:** في حركاته وسكناته الظاهرة والباطنة بحيث تكون جميع حركات العبد وسكناته موافقة لشرعه الذي هو تفصيل محبة الله ومرضاته، واتخاذ رسوله ﷺ وحده دليله، وإمامه، وقدوته، وقائده، وسائقه.

فوحد الله بعبادته ومحبته وخوفه ورجائه، وأفرد رسوله بمتابعته والاقتداء به، والتخلق بأخلاقه، والتأدب بآدابه، فهذه الهجرة بالقلوب.

2- **هجرة إلى الله ورسوله بالبدن:** فالله ﷻ غرس شجرة محبته ومعرفته وتوحيده في قلوب من اختارهم لعبوديته، واختصهم بنعمه، وفضلهم على سائر خلقه، ولا تزال هذه الشجرة تخرج ثمرها كل وقت بإذن ربها من طيب القول، وصالح العمل[1].

ولما ذكر ﷻ حكم المؤمنين في الدنيا، عطف بذكر مالهم في الآخرة، فأخبر عنهم بحقيقة الإيمان، "وهم المصدقون فعلًا، قولًا وعملًا"[2]، وأنه ﷻ سيجازيهم بالمغفرة والصفح عن الذنوب إن كانت، والمغفرة لهم على قليل الذنوب؛ لأنه لا يوجد أحد بلا كبوة في شيء من الأشياء، ولا أحد معصوم مثل الرسل، فهم وحدهم الذين عصمهم الله من الوقوع في المعاصي، ولذلك فالحق ﷻ يغفر لهم النزوات الصغيرة[3]، وبالرزق الكريم، وهو الحسن الكثير الطيب الشريف دائمٌ مستمرٌ أبدًا لا ينقطع ولا ينقضي ولا يسأم ولا يمل لحسنه وتنوعه، من ثواب حسن في الجنة، لأن هناك رزق لا عمل لك فيه مطلقًا وهو رزق في قمة الكرم، وهناك رزقًا لك فيه عملًا ضئيل وهو رزق كريم لأنه أكبر من العمل، ثم ذكر أن الأتباع لهم في الدنيا على ما كانوا عليه من الإيمان والعمل الصالح، فهو معهم في الآخرة[4]، كما قال تعالى: **﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ ﵁ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾** [التوبة: 100]، وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﵁ قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ تَقُولُ فِي رَجُلٍ أَحَبَّ قَوْمًا وَلَمْ يَلْحَقْ بِهِمْ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ)**[5].

---

(1) انظر: موسوعة فقه القلوب، محمد بن إبراهيم التويجري (3/ 2473).

(2) ما قاله الثقلان في أولياء الرحمن، عبد الله بن جوران الخضير (ص: 24).

(3) انظر: تفسير الشعراوي (8/ 4827).

(4) انظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير (4/ 87).

(5) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الأدب، باب علامة حب الله ﷺ (8/ 39) رقم الحديث(6169).

رابعًا: نور الفرقان يفرق بين والهدى والضلال.

قال الله تعالى: **﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾** [الأنفال: 29]، اعلم أنه ﷺ لما حذر عن الفتنة بالأموال والأولاد، رغب في التقوى التي توجب ترك الميل والهوى في محبة الأموال والأولاد[1]، وقد اختلف أهل التأويل في العبارة عن تأويل قوله: **﴿يجعل لكم فرقانا﴾** [الأنفال: 29] فقال بعضهم: مخرجا، وقال بعضهم: نجاة، وقال بعضهم: فصلا[2]، وقال الزمخشري (ت: 538): "نصرًا لأنه يفرق بين الحق والباطل وبين الكفر بإذلال حزبه والإسلام بإعزاز أهله ومنه"[3]، وكل ذلك متقارب المعنى وإن اختلفت العبارات عنها، فإن من اتقى الله بفعل أوامره وترك زواجره وفق لمعرفة الحق من الباطل، فكان ذلك سبب نصره بإعزاز المؤمنين وإذلال الكافرين، ويجعل لهم من ثبات القلوب، وثقوب البصائر، وحسن الهداية، ما يفرقون به بينهما عند الالتباس، ونجاته من كل ما يخافونه، ومخرجه من أمور الدنيا والشبهات، وسعادته يوم القيامة، وتكفير ذنوبه وهو محوها، وغفرها سترها عن الناس وسببا لنيل ثواب الله الجزيل[4]، فالتقوى هي الشجرة، والفرقان هو الثمرة.

الفرقان: هو نور، وصاحب هذا النور ينجو إذا هلك الناس، وينتصر إن انهزم الناس، ويميز بين الحق والباطل، والهدى الضلال، والمعروف والمنكر، والخير والشر، والنافع والضار، والصالح والفاسد،، فهذا النور يحصل لصاحبه قوة الفرقان التي يميز بها بين المشتبهات والملتبسات، حتى يصبح قل ما يخطئ في نظرية يراها أو يقولها[5]، وبهذا قال ابن القيم (ت: 751): "ومن الفرقان: النور الذي يفرق به العبد بين الحق والباطل، وكلما كان قلبه أقرب إلى الله كان فرقانه أتم"[6]، وهذا يعلمنا الالتجاء الدائم إلى الله ﷻ، والانطراح بين يديه، والتوسل إليه ليعلمه ويفهمه[7]، وكما قال ابن القيم (ت: 751): وكان شيخنا ابن تيمية (ت: 728) "كثير

---

(1) انظر: التفسير الكبير، الرازي (15/ 476).

(2) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري (13/ 488).

(3) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (2/ 214).

(4) انظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير (4/ 38).

(5) انظر: نداءات الرحمن لأهل الإيمان، أبو بكر الجزائري (ص: 132).

(6) انظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية (4/ 199).

(7) انظر: أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان (ص: 419).

الدعاء، وكان يخرج إلى الصحراء ويضع خده على التراب، إذا أشكلت عليه المسائل يقول "يا معلم إبراهيم علمني" يكررها مرارًا ويكثر الاستعانة بذلك"[1].

التوجيهات التربوية من خلال الأمر بالتوبة والاستغفار:

1- الاستغفار أمان لأمة محمد ﷺ لقوله تعالى: **﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾** [الأنفال: 33].
2- ينبغي على المربي أن يرغب الناس في الإسلام ويرغبهم في التوبة إلى الله تعالى[2].
3- دعوة الله تعالى للكافرين للتوبة والإيمان دعوة مفتوحة لهم على الرغم من استمرار عنادهم.
4- الاستغفار يمنع من وقوع العذاب العذاب على الأمم.
5- الإسلام يُجِّبُ ما قبله من الكفر لمن أسلم وحسن إسلامه.
6- من ثمرات التقوى تكفير السيئات وغفران الذنوب.
7- لا تسأل العذاب لنفسك أو لغيرك، بل أطلب الهداية من الهادي.

المطلب الرابع: الأمر بالتوكل على الله والأخذ بالأسباب.

أولًا: التوكل جماع الإيمان:

إن العلم بقدرة الرب وتفرده بالضر والنفع، يورث أهله صدق التوكل على الله وحده في جلب المنافع ودفع المضار، وهذه الثمرة من أعلى درجات الإيمان التي توصل أهلها لخيرات الدنيا والآخرة، وأعلاها دخول الجنة بلا حساب[3]، لقوله تعالى: **﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾** [الأنفال: 2]، أي: "يفوضون أمرهم إليه"[4]، ويعتمدون في قلوبهم على الله وحده لا شريك له في جلب مصالحهم، ودفع مضارهم الدينية والدنيوية، ويثقون بالله تعالى أنه سيفعل ذلك[5]، كما قال الإمام أحمد (ت: 241): "وجملة التوكل تفويض الأمر إلى الله جل ثناؤه والثقة به"[6]، وقال ابن

---

(1) انظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية (4/ 198).

(2) انظر: فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري، سعيد بن علي بن وهب القحطاني (1/ 269).

(3) انظر: آثار المثل الأعلى، عيسى بن عبد الله السعدي (ص: 19).

(4) فتح الرحمن في تفسير القرآن، مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي (3/ 88).

(5) تفسير غريب القرآن، كاملة بنت محمد الكواري (8/ 2).

(6) شعب الإيمان، البيهقي، الثالث عشر من شعب الإيمان وهو باب التوكل بالله ﷻ والتسليم (2/ 57).

رجب (ت: 795): "وحقيقة التوكل هو صدق اعتماد القلب على الله ﷻ في استجلاب المصالح، ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة كلها"[1]، وأن نسعى للعمل كما أمرنا الله راجين منه التوفيق في سعينا، مؤمنين بان العمل شرط أساسي للتوكل[2]، فالتوكل على الله من صميم الإيمان[3]، وكما قال سعيد بن جبيرٍ (ت: 95): "التوكل جماع الإيمان"[4]، فليس من الإيمان ولا من العقل ولا من التوكل على الله أن ينتظر الإنسان ثمارا بدون غرس، أو شبعا بدون أكل، أو نجاحا بدون جهد، أو ثوابا بدون عمل صالح، إنما المؤمن العاقل المتوكل على الله، هو الذي يباشر الأسباب التي شرعها الله لبلوغ الأهداف مباشرة سليمة، ثم بعد ذلك يترك النتائج له ﷻ، يسيرها كيف يشاء، وحسبما يريد[5]، والحال أنهم يجددون إسناد أمورهم إليه مهما وسوس لهم الشيطان بالفقر أو غيره؛ ليكفيهم من حيث لا يحتسبون، فإن خزائنه واسعة، ويده سحاء[6] الليل والنهار، كما أنهم لما توكلوا عليه في القتال نصرهم، وقد كانوا في غاية الخوف من الخذلان، وكان حالهم جديرًا بذلك لقلقهم وخوفهم وقتلهم وضعفهم[7]، فجعل الله ﷻ دليل صحة الإسلام التوكل، وكلما قوي إيمان العبد كان توكله أقوى، وإذا ضعف الإيمان ضعف التوكل، وإذا كان التوكل ضعيفا كان دليلا على ضعف الإيمان ولا بد، والله تعالى يجمع بين التوكل والعبادة، وبين التوكل والإيمان، وبين التوكل والإسلام، وبين التوكل والهداية، فظهر أن التوكل أصل لجميع مقامات الإيمان، ولجميع أعمال الإسلام، وأن منزلته منها كمنزلة الجسد من الرأس، فكما لا يقوم الرأس إلا على البدن؛ فكذلك لا يقوم الإيمان ومقاماته وأعماله إلا على ساق التوكل[8]، وقد امتثل النبي ﷺ لهذا الخلق العظيم وغيره من الأخلاق والتوجيهات الربانية؛ فكان ﷺ يستجيب لأوامر الله ويعتني بالقرآن تطبيقًا وتوجيهًا، تربية وتعليمًا في جميع الأمور والأحوال[9].

---

(1) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم (2/ 497).

(2) انظر: تيسير التفسير، القطان (2/ 97).

(3) انظر: واقعنا المعاصر، محمد قطب (ص: 90).

(4) شعب الإيمان، البيهقي، الثالث عشر من شعب الإيمان، باب التوكل بالله ﷻ والتسليم لأمره تعالى في كل شيء (2/ 111) رقم الحديث (1324).

(5) انظر: التفسير الوسيط، الطنطاوي (6/ 31).

(6) تصبان المال صبا والسماء تسح أي: تصب، انظر: غريب الحديث، ابن قتيبة (1/ 564).

(7) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي (8/ 220).

(8) انظر: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، عبد الرحمن بن حسن بن عبد الوهاب التميمي (ص: 353).

(9) انظر: نزول القرآن الكريم والعناية به في عهد النبي ﷺ، محمد بن عبد الرحمن الشايع (ص: 70- 72).

ثانيًا: الأسباب جزء من التوكل:

التوكل ككل شيء في دين الله، يقوم بها المؤمن مع اتخاذ الأسباب، وليس التوكل كما ظن بعض الظانين أنه ترك الأسباب بالكلية، فالأخذ بالسبب جزء من التوكل، فالذي يتركه بدعوى التوكل، ضعيف العقل، وقال ابن رجب (ت: 795): "اعلم أن تحقيق التوكل لا ينافي السعي في الأسباب التي قدر الله ﷻ المقدورات بها، وجرت سنته في خلقه بذلك، فإن الله تعالى أمر بتعاطي الأسباب مع أمره بالتوكل، فالسعي في الأسباب بالجوارح طاعة له، والتوكل بالقلب عليه إيمان به"(1)، وقد اتفق العلماء جميعًا، وتؤيده مئات النصوص من الكتاب والسنة: على أن السبب جزء من التوكل كما قال الله تعالى: **﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾** [الأنفال: 61].

وقوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾** [النساء:71]، وقال تعالى: **﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾** [الأنفال:60]، وقال تعالى: **﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾** [آل عمران: 159]، وغير ذلك من الآيات التي تحث النبي ﷺ على التمسك بهذا الخلق العظيم، وكان ﷺ أولى الناس تطبيقًا لهذا الخلق العظيم؛ لأنه كان خلقه القرآن، فهو يمثل القرآن بسلوكه وقوله، ويترجم القرآن بأقواله وأفعاله، فهو سيد المتوكلين ﷺ، ويكفينا قوله ﷺ لأبي بكر الصديق ﷺ من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ ﷺ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الغَارِ فَرَأَيْتُ آثَارَ المُشْرِكِينَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ رَفَعَ قَدَمَهُ رَآنَا، قَالَ: **(مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا)**(2)، هذه الكلمة تدل على ثقته بالله ونصره، وقد قص القرآن ذلك فقال: **﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾** [التوبة: 40]، وفي غزوة ذات الرقاع لم يعصمه من ضربة السيف، إلا عظيم توكله على الله تعالى، فعَنْ جَابِرٍ ﷺ، قَالَ: أَقْبَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى إِذَا كُنَّا بِذَاتِ الرِّقَاعِ، قَالَ: كُنَّا إِذَا أَتَيْنَا عَلَى شَجَرَةٍ ظَلِيلَةٍ تَرَكْنَاهَا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَسَيْفُ رَسُولِ اللهِ ﷺ مُعَلَّقٌ بِشَجَرَةٍ، فَأَخَذَ سَيْفَ نَبِيِّ اللهِ ﷺ فَاخْتَرَطَهُ، فَقَالَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: أَتَخَافُنِي؟ قَالَ: **(لَا)**، قَالَ: فَمَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: **(اللهُ يَمْنَعُنِي**

(1) روائع التفسير، ابن رجب الحنبلي (2/ 484).

(2) صحيح البخاري، البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: **﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ: لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾** [التوبة: 40] (6/ 66) رقم الحديث (4663).

مِنْكَ)[1]، فهذا هو التوكل على الله تعالى حق التوكل، ورسول الله ﷺ يستظل تحت شجرة، ورجل غادر يريد أن يفتك برأس رسول الله ﷺ، ووضع السيف فوق رأس المصطفى ﷺ، فلم يخف النبي ﷺ من ذلك الموقف، ولم يزده ذلك إلا توكلًا على الله تعالى.

ثالثًا: نقص التوكل يؤدي إلى نقص الإيمان:

اذكروا وقت **﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾** [الأنفال: 49]، أي: الذين لم يصلوا إلى مرتبة الاطمئنان في الإيمان، حين خرجتم نحو العدو مجترئين مع قلتكم وكثرة عدوكم، فقال المنافقون قد غَرَّ هؤُلاءِ الحمقى دِينُهُمْ، فالقوا أنفسهم إلى التهلكة بأيديهم عزل بلا عدة، لكن ثبت الله المؤمنين يوم أن توكلوا على ربهم وفوضوا أمورهم كلها اليه، ثم قال: **﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾** [الطلاق: 3]، واللَّهَ غالب في ذاته، قادر على اعانة من استعان منه، حَكِيمٌ متقن في فعله وأمره يفعل ويأمر ما تستبعده العقول، وتدهش فيه الأحلام[2]، وهذا ما جعل المنافقين يقفون يومَ بدر، بدعوى أنهم مضطرون، ونظروا للفريقين، بنظرة المنافق الذي يحسب الأمور بعقله، ويغيب عنه التوكل على الله، ونسوا أن للشريعة خصوصية في طلب النصر ودفع الهزيمة، فقالوا قولتهم التي سجلها عليهم القرآن: **﴿غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ﴾** [الأنفال: 49][3]، وقفوا كما قال الله فيهم: **﴿بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ﴾** [الأحزاب: 19]، وهذا السلق بالألسنة الحادة يكون بوجوه، تارةً يقول المنافقون للمؤمنين: هذا الذي جرى علينا بشؤمكم؛ فإنكم أنتم الذين دعوتم الناس إلى هذا الدين وقاتلتم عليه، وتارةً يقولون: أنتم الذين أشرتم علينا بالمقام هنا والثبات بهذا الثغر إلى هذا الوقت، وإلا فلو كنا سافرنا قبل هذا لما أصابنا هذا، وتارةً يقولون: أنتم مع قلتكم وضعفكم تريدون أن تكسروا العدو وقد غركم دينكم، وتارةً يقولون: أنتم مجانين لا عقل لكم، تريدون أن تهلكوا أنفسكم والناس معكم، وتارةً يقولون: أنواعًا من الكلام المؤذي الشديد[4].

ولتقرير حقيقة التوكل على الله، وإقامتها على أصولها الثابتة، يمضي السياق القرآني فيقرر أن القوة الفاعلة في النصر والخذلان هي قوة الله، فعندها يلتمس النصر، ومنها تتقى

---

(1) صحيح مسلم، مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة الخوف (1/ 576) رقم الحديث (311).

(2) انظر: الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، نعمة الله بن محمود النخجواني (1/ 290).

(3) انظر: ارتباط النفاق بالعقلانية والإصلاح، محمد جلال القصاص (ص: 108).

(4) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (28/ 457).

الهزيمة، وإليها يكون التوجه، وعليها يكون التوكل[1]، بعد اتخاذ العدة والعتاد، ونفض الأيدي من العواقب، وتعليقها بقدر الله: **﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾** [آل عمران: 160].

إن التصور الإسلامي يتسم بالتوازن المطلق، بين تقرير الفاعلية المطلقة لقدره تعالى، وتحقق هذا القدر في الحياة الإنسانية من خلال نشاط الإنسان وفاعليته وعمله، وإن سنة الله تجري بترتيب النتائج على الأسباب، ولكن الأسباب ليست هي التي تنشئ النتائج، فالفاعل المؤثر هو الله، والله يرتب النتائج على الأسباب بقدره ومشيئته، ومن ثم يطلب إلى الإنسان أن يؤدي واجبه، وأن يبذل جهده، وأن يفي بالتزاماته، وبقدر ما يوفي بذلك كله يرتب الله النتائج ويحققها لعباده، وبذلك يخلص تصور المسلم من التماس شيء من عند الله، ويتوكل على الله وحده في أحداث النتائج، وتحقيق المصاير، وتدبير الأمر بحكمته، وتقبل ما يجيء به قدر الله في اطمئنان أيا كان، إنه التوازن العجيب، الذي لا يعرفه القلب البشري إلا في الإسلام، ومن ثم هذا التوكيد على التوكل على الله وحده، واعتباره شرطًا لوجود الإيمان أو عدمه، والتصور الاعتقادي في الإسلام كل متكامل، ثم هو بدوره كل متكامل مع الصورة الواقعية التي يريدها هذا الدين لحياة الناس[2]، فمن طعن في التوكل، فقد طعن في الإيمان لأنه مقرون به، ومن أحب أهل التوكل فقد أحب الله تعالى، كما قيل "من طعن في الحركة يعني: في السعي والكسب؛ فقد طعن في السنة، ومن طعن في التوكل فقد طعن في الإيمان"[3]، فالتوكل حال النبي ﷺ، والكسب سنته، فمن عمل على حاله، فلا يتركن سنته، فأول التوكل المعرفة بالوكيل، وأنه عزيز حكيم، يعطي لعزه، ويمنع لحكمه، فيعتز العبد بعزه ويرضى بحكمه، وكذلك أخبر عن نفسه ونبه المتوكلين عليه[4] فقال تعالى: **﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾** [الأنفال: 49]، أي: "نعم المتوكل عليه في جلب النعماء ودفع الضر والبلاء"[5]، وقال ابن القيم (ت: 751): "وهو حسب من توكل عليه، وكافي من لجأ إليه، وهو الذي يؤمن خوف الخائف، ويجير المستجير، وهو نعم المولى ونعم النصير، فمن تولاه واستنصر به وتوكل عليه وانقطع

---

(1) انظر: كتاب 1213 سؤال وجواب في القرآن الكريم، أبو إسلام (ص: 122).

(2) انظر: هل تخلى الله عن أمة محمد ﷺ، علي بن نايف الشحود (ص: 41).

(3) روائع التفسير، ابن رجب الحنبلي (2/ 485).

(4) انظر: قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، أبو طالب المكي (2/ 4).

(5) فقه الأدعية والأذكار، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر (3/ 191).

بكليته إليه تولاه وحفظه وحرسه وصانه، ومن خافه واتقاه أمنه مما يخاف ويحذر، وجلب إليه كل ما يحتاج إليه من المنافع لقوله تعالى: **﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾** [الطلاق: 2، 3]، فلا تستبطئ نصره ورزقه وعافيته، فإن الله بالغ أمره، وقد جعل الله لكل شيء قدرًا، لا يتقدم عنه ولا يتأخر "[1].

رابعًا: نِعم التوكل بالاحتساب:

المؤمن إذا علم أن له ربًا يكفيه، هان عليه كل مكر ومكروه وبلاء وابتلاء؛ لأن القلوب تطمئن بذكره وتنشرح الصدور بيسره، إذا تلى آيات من الذكر الحكيم، متذكرا ومستبشرا ما إلى المؤمنين بقوله تعالى: **﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾** [الأنفال: 62]، أي: فإن الله كافيك وناصرك ولو كانوا يريدون بالصلح خديعةً، ليتقووا ويستعدوا فإنه يكفيك وحده خداعهم، ثم ذكر نعمته عليه مما أيده بنصره من المؤمنين المهاجرين والأنصار[2]؛ لأن الله ﷻ متكفل بإظهار دينه على الأديان ومتضمن أن يجعل كلمته العليا وكلمة أعدائه السفلى[3]، ثم كرر تعالى أنه هو المعين والحسيب والمؤيد والوكيل بالنصر والنصرة بقوله تعالى: **﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾** [الأنفال: 64]، أي: إن الله تعالى كاف لك كل ما يهمك من أمر الأعداء وغيرهم، وكاف لمن أيدك من المؤمنين[4]، وبه قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: 728): "الله كافيك وكافي من اتبعك من المؤمنين، فلو كانت كفايته للمؤمنين المتبعين للرسول ﷺ سواء اتبعوه أو لم يتبعوه، لم يكن للإيمان واتباع الرسول ﷺ أثر في هذه الكفاية"[5]؛ لأن الله يريد أن يربي نبينا محمد ﷺ وصحابته وأمة الإسلام على التوكل عليه، وأن النصر من عنده تعالى، كما كان أنبياء الله ورسله، والصالحين من الأمم السابقة يقولون في كل محنة وضيق، من حديث ابن عباسٍ ﷺ قال: "حسبنا الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار، وقالها محمدٌ ﷺ" حين قالوا: **﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾** [آل عمران: 173][6]، فالنبي ﷺ

---

(1) بدائع الفوائد (2/ 237)، وتفسير القرآن الكريم (ص: 647).

(2) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (4/ 74).

(3) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري (11/ 255).

(4) تفسير المراغي (10/ 29).

(5) جامع الرسائل (1/ 90).

(6) صحيح البخاري، البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب **﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾** [آل عمران: 173] الآيَةَ (6/ 39) رقم الحديث (4563).

والصحابة لما واجهوا الكفار في معركة بدر بعددهم وعتادهم القليل، لا شك أنهم كانوا متوكلين على الله تعالى بحسن عقيدتهم، أن النصر من عند الله تعالى، فنصر الله أولياءه على أعدائه، وهذه لوحدها فيها تربية لصاحب المشروع الإسلامي، وللداعية الذي يبث روح الأمل في أمة الإسلام، وللمجاهد الذي يصارع العدو في ميدان الثغور، وللسياسي الذي يحاور العدو بالهدنة ومصير الأسرى في السلم والحرب، هذه كله يعطينا أمل التفاؤل دائما أن الأمر بيده الله تعالى، والله لا يترك من يتوكل عليه في السراء والضراء، فهو حسبنا، ومن كان الله حسبه فنعم الوكيل هو تبارك وتعالى، ولا حول لنا ولا قوة إلا بالله تعالى.

التوجيهات التربوية من خلال الأمر بالتوكل على الله والأخذ بالأسباب:

1- التوكل جماع الإيمان من صدق الاعتماد على الله تعالى في استجلاب المصالح، ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة كلها.
2- التوكل ليس بمعنى التواكل؛ فالسبب جزء من التوكل.
3- الطعن في التوكل، طعن في الإيمان لأنه مقرون به.
4- التوكل على الله، سلاح للمؤمن في مواجهة أعدائه لاستنزال النصر.
5- وجوب التوكل على الله والاعتماد عليه مهما كانت دعاوى المبطلين والمثبطين والمنهزمين.

المطلب الخامس: الأمر بالتقوى وبيان ثمراتها.

أولًا: الحث على التقوى:

القرآن الكريم لا يقصد إيراد قصة، أو مجرد سرد الأخبار، وإنما يقصد التربية والتوجيه، وإبراز القضايا التي يحتاجها المسلمون، وهذا القصد لا يحتاج إلى ترتيب الأحداث وإنما يعتمد التركيز على الحدث، وإبراز مناط التأثير فيه، وقد بدأت السورة تعرض مواقف المجاهدين من الأنفال، ومجيئهم لرسول الله ﷺ ليحكم بينهم بعدما اختلفوا، وهو موقف حدث بعد انتهاء المعركة، فنزل القرآن بتقسيمها كما نزل بمشروعيتها[1] أن الحكم في الغنائم لله ورسوله، وعلى المسلمين أن يحافظوا على تقوى الله ﷻ، والأعمال الصالحة، وهي منطلق للتذكير، والتوجيه، والتربية، وأن الأمر كله لله[2] قال الله تعالى: **﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ**

---

(1) انظر: سبل السلام من صحيح سيرة خير الأنام عليه الصلاة والسلام، صالح بن طه عبد الواحد (1/ 329).

(2) انظر: السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني، أحمد أحمد غلوش (ص: 296).

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: 1]، وكذلك في آخر السورة، بعد أن بين لهم الخطأ الذي وقعوا فيه، من قبول الفدية في أسرى الكفار، دلهم على أسباب الهداية، وهي تقوى الله تعالى كما في قوله تعالى: **﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾** [الأنفال: 69]، أي:" كلوا فإن الله قد غفر لكم ما عاتبكم عليه، وفائدة الأمر بالتقوى، التحذير من العود اعتمادًا على سعة الحلم، وايضًا فقد تقدم تهديد ومغفرة فناسب أن يدلهم على أن علة المغفرة التقوى"[1].

لأن "القلوب إذا امتلأت بالتقوى، لم يكن للشيطان منفذ، ولم يكن للخلاف موضع"[2]، وهو الغاية العظمى، باجتماع الكلمة وبقاء الألفة وتوحيد الصف، وهو الأمر المطلوب، وليست القضية قضية أنفال وغنائم، فإذا وجدت التقوى وجد التسليم، وإذا وجد التسليم رضي المرء بما آتاه الله ورسوله ﷺ[3]، لأن من لوازم التقوى: سلامة الصدر من الغل والحقد والحسد والضغائن والرذائل[4]، ولا يكون صلاح ذات البين، إلا بسلامة الصدر من تلك الآفات، فالتقوى في الآداب: مكارم الأخلاق، وفي الترغيب: أن لا يظهر ما في سره، وفي الترهيب: أن لا يقف مع الجهل[5]، وقال ابن جزي[6]: "وذلك دليل على أن التقوى تنور القلب، وتشرح الصدر، وتزيد في العلم والمعرفة"[7]، لأن صاحب القلب المعتصم بحبل الله يتهيأ له من النور الإلهي، ما يمكنه من التمييز بين ما يدمر إيمانه وما يمتنه ويقويه، وهو كريم الأخلاق، عفوٌ مسامح، فهو في أمان الله وكنفه ورعايته[8].

---

(1) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي (8/ 332).

(2) زهرة التفاسير، أبو زهرة (6/ 3062).

(3) انظر: معالم بيانية في آيات قرآنية، صالح المغامسي (25/ 2).

(4) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب، محمد نصر الدين محمد عويضة (10/ 306).

(5) انظر: حقائق التفسير، أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي (1/ 254).

(6) **أبو القاسم محمد بن أحمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف بن سعيد ابن جزي:** (643 هـ- 723 هـ)، الفقيه الجليل الأستاذ المقرئ الخطيب العالم الشهيد بوقيعة طريف أخذ عن الحافظ المحاسبي وأجازه أبو القاسم بن البراء وجماعة، له تآليف منها: التسهيل لعلوم التنزيل، وغيرها، انظر: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، أحمد بابا السوداني التنبكتي (ص: 398)، وشجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن محمد مخلوف (1/ 311)، وفهرس الفهارس محمد عبد الحي الكتاني (1/ 306).

(7) التسهيل لعلوم التنزيل (1/ 325).

(8) انظر: القرآن منهاج حياة، غازي صبحي آق بيق (3/ 359).

ثانيًا: ثمرات التقوى:

وعد لمن اتقاه تقوى حقيقية؛ بترك الذنوب والآثام، وفعل ما يستطاع من الطاعات والواجبات الدينية، وترك الشبهات مخافة الوقوع في المحرمات، وشحن القلب بالنية الصادقة الخالصة، وشغل الجوارح بالأعمال الصالحة، والتحفظ من شوائب الشرك الخفي والجلي معا، فصاحب هذه التقوى: هو الذي يجنى ثمارها بقوله تعالى: **﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾** [الأنفال: 29]، وهى كما يلى:

1- **الحصول على الفرقان:** بنور البصيرة الذي به يفرق بين الحق والباطل، والضَّارَّ والنافع، والمخرج من الشبهات، والنجاة من كل ما يخافونه.
2- **تكفير السيئات:** وهى الخطايا: وهو سترها وعدم المؤاخذة بها، وإبطال مفعولها في تلويث النفس وتخبيثها، والسيئات: وهى كل معصية لله ﷺ من شأنها أن تسيئ إلى النفس البشرية بالتخبيث والتلويث بأوضار السيئة وآثارها، وهل المراد بالسيئات التي فعلها العبد قبل التقوى؟ هذا هو الظاهر، ولكن لا مانع من أن المتقي، تزل قدمه ويفعل سيئة ثم يتوب منها، فتزيل التقوى التي يعيش عليها أثرها من نفسه، ويصبح كأنه لم يقاربها أبدا.
3- **مغفرة الذنوب:** وهى الآثام، هذه ثمرة من ثمار تقوى الله تعالى التي وعد أصحابها بها، وهى مغفرة ذنوبهم وعدم مؤاخذتهم بها، وهذا في الدنيا والآخرة معا؛ إذ بعض الذنوب، يعجل لأصحابها عقوبتها في الدنيا قبل الآخرة، وقد يعذب بها في الدنيا والآخرة، معا والعياذ بالله.
4- **الفضل العظيم:** والأخيرة هى أعظم تلك الثمار وأشهاها، إنها الجنة ونعيمها، وعبر عنها بالأجر العظيم، ولعل السر في عدم ذكر الجنة، والاكتفاء بذكر الفضل العظيم؛ لأن الله تعالى لا يعطى العاملين أجرا يوم القيامة غير الجنة ورضاه؛ إذ لا مال يومئذ ولا دينار ولا درهم.

وأخيرًا لا يفوتنا من هذه الصفقة التجارية العظيمة التي ربحُها، الفرقان العظيم، وتكفير السيئات، ومغفرة الذنوب، والجنة والرضوان في دار السلام، ألا فلنتق الله تعالى ولنثبت على ذلك حتى نلقاه[1].

---

(1) انظر: نداءات الرحمن لأهل الإيمان، أبو بكر الجزائري (ص: 132).

ثالثًا: التربية على ولاية الله بالتقوى:

التقوى: "تثمر الفوز بولاية الله"[1]، وقد حصر القرآن الأولياء فيمن يتصفون بصفة التقوى، التي تستلزم العلم والمعرفة بقوله تعالى: **﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾** [الأنفال: 34]، وفي هذه الآية بيان أن التقوى: هي المؤهل لولاية البيت الحرام وليس أي شيء آخر[2]؛ لأن حقيقة التقوى: امتثال المأمورات واجتناب المنهيات، خوفًا من عذاب الله وسخطه، وتطلعا إلى رضائه وجنته وكرامته، ولا يتم ذلك إلا بالفقه في الدين، فالخير كله في الفقه في الدين، كما أن الشر كله في الجهل بالدين والإعراض عنه[3]، ولحديث مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: **(مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ)[4]**.

فشرط الولاية واضح ومحدد، هو الإيمان والتقوى لقوله تعالى: **﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾** [آل عمران: 68]، وفي الحديث القدسي، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ)**[5]، "فمحبة الله تعالى تُنال بأداء الفرائض والإكثار من النوافل، وهذه النصوص التي ذكرناها هي أدلة دامغة وشواهد ناصعة على أن الولاية لله تعالى لا تتحقق لعباده إلا بالإيمان والعبادة، وهي ثمرة لهما"[6].

رابعًا: مميزات المتقين عن غيرهم:

نبهت الآيات ما يتعرض له المؤمنون من دسائس ومؤامرات، يبيتها لهم أعداء الإسلام، وخاصة ما يقوم به أولئك الأعداء من خيانة متوالية للعهود، ونقض مستمر للمواثيق، إذ لا عهد لهم ولا ميثاق، فقال تعالى في شأنهم: **﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾**[7]، أي: لا يتقون الله تعالى فيجترئون على نقض العهود وعلى كل جريمة، ليس لهم تقوى من الله تحملهم على امتثال أمره واجتناب نهيه، ولا يخافون منه في شيء ارتكبوه من

---

(1) نور التقوى وظلمات المعاصي في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن علي بن وهف القحطاني (ص: 28).

(2) انظر: آيات التقوى في القرآن الكريم، حسين علي خليف الجبوري (ص: 102).

(3) انظر: تصحيح المفاهيم في جوانب العقيدة، أبو أحمد محمد أمان بن علي جامي (ص: 85).

(4) صحيح البخاري، البخاري، كتاب العلم، بابٌ: من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين (1/ 25) رقم الحديث (71).

(5) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع (8/ 105) رقم الحديث (6502).

(6) أخطاء ابن خلدون في كتابه المقدمة، خالد كبير علال (ص: 211).

(7) انظر: التيسير في أحاديث التفسير، محمد المكي الناصري (2/ 343).

الآثام، ولا يتقونه في غدرهم ونقض العهد[1]، فهذه والعياذ بالله أمور قبيحة؛ حيث كانوا شر الدواب، وكانوا كافرين، ولا يؤمنون، وينقضون العهود، ولا يتقون الله، فهذا منتهى الذم في هؤلاء المخادعين[2].

التوجيهات التربوية من خلال الأمر بالتقوى وبيان ثمراتها:

1- القلوب إذا امتلأت بالتقوى، لم يكن للشيطان منفذ، ولم يكن للخلاف موضع.

2- من ثمرات التقوى: التفريق بين الحق والباطل، وتكفير السيئات، ومغفرة الذنوب، ولك الفضل العظيم من الله تعالى.

3- حقيقة التقوى: هي امتثال المأمورات واجتناب المنهيات، خوفًا من عذاب الله وسخطه، وتطلعا إلى رضائه وجنته وكرامته.

4- أمروا بالتقوى والإصلاح والطاعة، حتى يموت بينهم الخلاف الظاهر والباطن؛ ليصبحوا مؤمنين بالله وبدعوة نبيهم ﷺ، ولتزكية أنفسهم من كل شائبة.

المطلب السادس: الأمر بالصبر في مواجهة النوازل.

الصبر ضرورة حياتية لكل عمل نافع، فكسب الرزق يحتاج إلى صبر، ومعاملة الناس تحتاج إلى صبر، والقيام بالواجبات والمطلوبات الدينية يحتاج إلى صبر، والكف عن المحرمات والمكروهات يحتاج إلى صبر، والجهاد في سبيل الله يحتاج إلى صبر، ومقارعة شدائد الحياة ومقاومة مكارهها وتحمل تكاليفها، يحتاج إلى صبر، وهكذا سائر الأعمال التي يمارسها الإنسان في حياته، فهي تحتاج إلى صبر، فمن الأدلة التي تدل على أن القيام بالواجبات الدينية والمادية تحتاج إلى صبر[3].

قال الله تعالى: **﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (45) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: 45- 46]**، قال ابن عطية (ت: 542) في قوله تعالى: **﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾** [الأنفال: 46]، وهو لفظ خبر في ضمنه وعد وحض على الصبر، ويلحظ منه وعيد لمن لم يصبر بأنه يُغلب[4]، وهو حبس النّفس على الشيء، والمأمور به من الصبر ما يكون

---

(1) انظر: التفسير المنير، الزحيلي (10/ 43).

(2) انظر: العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، الشنقيطي (5/ 133).

(3) انظر: الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حسن حنبكة (319/2).

(4) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (2/ 551).

على خلاف هواك، فهو الأدب الذي يبدأ به العاقل، وإليه يضطر الجاهل، وهو كمال في الدنيا، وأجر في الآخرة، وحجاب عن الشمات، وعونٌ في النائبات، ولو لم يكن من فضله إلا أن الله ﷻ أوصى به رسوله ﷺ لكفى[1] وإليك بيان ذلك:

أولًا: الصبر نصف الإيمان:

ابتدأ تبارك وتعالى بالنداء إلي أهل الإيمان: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، وختمها الأمر بالصبر ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: 45- 46]، لأن الإيمان لا يتم إلا بترك ما لا ينبغي، والإتيان بما ينبغي، والاستمرار على كل منهما، إنما يتأتى بالصبر؛ فكل الإيمان صبر إلا أن كل واحد منهما قد يكون مطابقا لمقتضى الشهوة فلا يحتاج فيه إلى الصبر، فلهذا عاد إلى النصف كما قَالَ عَبْدُ اللهِ بن مسعود ﷺ: (الصَّبْرُ نِصْفُ الإِيمَانِ وَالْيَقِينُ الإِيمَانُ)[2]، وقال الإمام أحمد (ت: 241): "الصبر في القرآن في نحو تسعين موضعًا، وهو واجب بإجماع الأمة، وهو نصف الإيمان، فإن الإيمان نصفان: نصف صبر، ونصف شكر"[3]، وفى هذا تحذير للمؤمنين أن لا يغتروا بدينهم، ويظنوا أن الإيمان وحده يقتضى النصر والغلب، وإن لم يقترن بالصفات اللازمة لكماله، ومن أهمها وأعظمها: الصبر، والعلم بحقائق الأمور، ومعرفة سنن الله في خلقه[4]، وهذا يرجع إلى فقه العبد وعلمه ويقينه وصبره وثباته؛ لأنه إذا علم المجاهد أنه على الحق ويجاهد أهل الباطل، وأن الحق منصور وعاقبته حميدة، فالصبر في هذا محمود في كل المواطن، خصوصًا في مواطن الحرب[5].

ثانيًا: الصبر عامل من عوامل النصر:

1- **دواعي الصبر**: الثقة بالله وبوعده؛ فإن الله وعد الصابرين العون والنصر، وأنه معهم في كل أحوالهم، ومن كان الله معه فلو اجتمع عليه من بأقطارها لم يخف إلا الله، ومما

---

(1) انظر: لباب الآداب، أسامة بن منقذ (1/ 294).

(2) المعجم الكبير، الطبراني، خطبة ابن مسعود، باب العين (9/ 104) رقم الحديث (8544)، والسنة، أبو بكر بن الخلال، باب مناكحة المرجئة (5/ 23) رقم الحديث (1509)، وقال الألباني: رواته رواة "الصحيح"، وهو موقوف، وقد رفعه بعضهم، انظر: صحيح الترغيب والترهيب، الألباني، كتاب الإخلاص (3/ 327) رقم الحديث (3397).

(3) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية (2/ 151).

(4) انظر: تفسير المراغي (10/ 32).

(5) انظر: الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية، محمد بن علان الصديقي (5/ 52).

يعين على الصبر والثبات[1]، سواء كان ذلك في المعركة، أو قبل المعركة: الصبر على الابتلاء، والصبر على المحن، فلا يمكن أن يمكن لهذا الدين إلا بعد ابتلاءات ومحن، ثم إذا صُفي ونُقي جاء التمكين، وجاء النصر[2]؛ لأن كل الطاعات تحتاج إلى صبر، وخاصة الجهاد في سبيل الله تعالى؛ فإن المجاهد يعرض نفسه للجراح والموت؛ فيحتاج إلى صبر ومصابرة في هذا الموطن الشريف، وقد حث النبي ﷺ على الصبر بقوله للصحابة ﷺ فَقَالَ: **(أَيُّهَا النَّاسُ، لاَ تَمَنَّوْا لِقَاءَ العَدُوِّ، وَسَلُوا اللَّهَ العَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الجَنَّةَ تَحْتَ ظِلاَلِ السُّيُوفِ)** ثُمَّ قَالَ: **(اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الكِتَابِ، وَمُجْرِيَ السَّحَابِ، وَهَازِمَ الأَحْزَابِ، اهْزِمْهُمْ وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ)**[3].

2- **عوامل النصر الحقيقية:** الثبات عند لقاء العدو، والاتصال بالله بالذكر، والطاعة لله والرسول، وتجنب النزاع والشقاق، والصبر على تكاليف المعركة، والحذر من البطر والرئاء والبغي[4].

3- **أثر الصبر:** تثبيت الأقدام حتى يواجهوا العدو بإيمان، وعند نهاية الصبر وتثبت الأقدام، يأتي نصر الله للمؤمنين على القوم الكافرين، وتأتي النتيجة للعزم الإيماني والقتال في قوله تعالى: ﴿**فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾ [البقرة: 251]، تلك هي النتيجة التي يتمناها المؤمنون، هزيمة أعدائهم[5]، ويقول السعدي (ت: 1376): "هذا أمر منه ﷻ للمؤمنين أن ينصروا الله بالقيام بدينه والدعوة إليه، وجهاد أعدائه، والقصد بذلك وجه الله، فإنهم إذا فعلوا ذلك نصرهم الله وثبت أقدامهم أي: يربط على قلوبهم بالصبر والثبات والطمأنينة ويعينهم على أعدائهم، فهذا وعد من كريم صادق الوعد، أن الذي ينصره بالأقوال والأفعال سينصره مولاه وييسر له أسباب النصر والثبات وغيره"[6].

ثالثًا: معية الله مع الصابرين:

وعد الله عباده أن يكون مع الصابرين، وإيجاب معيته لهم، معيةٌ خاصةٌ، تتضمن حفظهم ونصرهم وتأييدهم، وليست معيةً عامةً لقوله تعالى: ﴿**وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾ [الأنفال:

---

(1) انظر: تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، السعدي (1/ 111).

(2) انظر: المفصل في عوامل النصر والهزيمة، علي بن نايف الشحود (ص: 1044).

(3) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، بابٌ: لا تمنوا لقاء العدو (4/ 63) رقم الحديث (3024).

(4) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (1528/3).

(5) انظر: المفصل في عوامل النصر والهزيمة، علي بن نايف الشحود (ص: 927).

(6) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 785).

46]، أي: اصبروا على الاجتماع والتعاون فيما بينكم بعيدًا عن التفرق، لأن صاحب المعية الربانية ينال عزائم الأمور؛ بالصبر على شدائد الحرب، وأخبرهم بأنه مع الصابرين في كل أمر ينبغي الصبر فيه لقوله تعالى: **﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾** [الأنفال: 66][1]، أي: على الذين يتقدمون للجهاد في سبيل الله، أن يدَّرعوا بالصبر، ويجعلوه أخص صفاتهم، ويستمسكوا به؛ فإن الله ﷻ مع الصابرين، والمصاحبة الكريمة التي أفاض الله بها على الصابرين، هي مصاحبة النصرة والتأييد والتوفيق، ومن كان الله معه فهو منصور؛ فإنه هو نعم المولى ونعم النصير[2].

وقال الله تعالى: **﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (65) الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: 65، 66]**، وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما (ت: 68) قَالَ: (لَمَّا نَزَلَتْ: **﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾** [الأنفال: 65]، شَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، حِينَ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَلَّا يَفِرَّ وَاحِدٌ مِنْ عَشَرَةٍ، **فَجَاءَ التَّخْفِيفُ** فَقَالَ: **﴿الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ﴾** [الأنفال: 66]، قَالَ: فَلَمَّا خَفَّفَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ مِنَ **العِدَّةِ** نَقَصَ مِنَ الصَّبْرِ بِقَدْرِ مَا خُفِّفَ عَنْهُمْ)[3].

وقال النووي (ت: 676): "وكان في أول الإسلام يجب على العشرة من المسلمين أن يصبروا لمائة من الكفار، ولا يفروا منهم، وعلى المائة الصبر لألف كافر، ثم نسخ ذلك، وصار الواجب مصابرة المثلين فقط، هذا مذهبنا ومذهب ابن عباس رضي الله عنهما ومالك (ت: 179) والجمهور، أن الآية منسوخة"[4]؛ فالآية وضحت أن أقل مراتب الصابرين أن يغلبوا ضعفهم، والحق أن العدد لا يثبت للصبر، وأن كثرة العدد فاشلة إذا خذلها الصبر، وأن قلته ظافرة إذا أيدها الصبر، وربما تغلب الفئة الصابرة مثليها، وربما تغلب عشر أمثال أو مائة مثل، وحوادث التأريخ على ذلك شاهدة[5].

---

(1) دراسة موضوعية للحائية ولمعة الاعتقاد والواسطية، عبد الرحيم بن صمايل العلياني السلمي (13/ 13).

(2) انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة (2/ 904).

(3) صحيح البخاري، البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب **﴿الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضُعْفًا﴾**، (6/ 63) رقم الحديث (4653).

(4) فتح المنعم شرح صحيح مسلم، أ. د موسى شاهين لاشين (7/ 488).

(5) انظر: أخلاق القرآن الصبر، د. عبد الوهاب عزام (388/ 6).

رابعًا: النصر صبر ساعة:

التسلح بالصبر في زمن الاستضعاف عبادة في وقت، والجهاد بالسيف عبادة في وقت آخر، ولكلٍ حكمه، فإذا كان المسلمون في فترة ضعف؛ فالصبر واجب في حقهم، وأما طلب لقاء العدو والحالة هذه؛ فليس من مصلحة الإسلام وأهله، بل يجب عليهم أن يتسلحوا بالصبر، وهو أعظم سلاح في هذه الفترة، كما أن أعظم سلاح في فترة القوة والسيادة، هو رد كيد الأعداء في نحورهم[1]، متمثلا حال المسلمين عندما كانوا مستضعفين في الأرض متسلحين بالصبر أمام مخاطر النفس والأهل والوطن، ثم كان النصر حليف الصابرين الشاكرين: **﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾** [الأنفال: 26]، فالحياة في ظل الاحتلال الصهيوني على فلسطين، وخاصة ما يمارسه العدو الصهيوني والمنافقون من الداخل والخارج من ضغوط وحصار وتشريد وأسر وحرب على المسلمين المستضعفين في الأرض، كل هذا يحتاج إلى قدر هائل من الصبر، فالصبر مطلوب في تعاملنا مع الأهل والناس والأمة جمعاء، أمام النِّعم والمصائب والطاعات؛ فمن يصبر ويخطط، غالبا ما يصل إلى ما يريد، وكم من مشكلة فجرها الغضب والتسرع، وكم من جيش انهزم لقلة الصبر؛ لأن النصر ساعة من الصبر[2].

خامسًا: اقتران النصر بالصبر:

الله ﷻ جعل الصبر جوادًا لا يكبو، وصارمًا لا ينبو، وجندًا غالبًا لا يُهزم، وحصنًا حصينًا لا يُهدم، فهو والنصر أخوان شقيقان، وقد مدح الله تعالى في كتابه الصابرين، وأخبر أنه يؤتيهم أجرهم بغير حساب، وأخبر أنه معهم بهدايته ونصره العزيز، وفتحه المبين[3]، فعلق النصر مع الصبر؛ بقوله تعالى: **﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾** [الأنفال:65]، ثم نسخ ذلك بقوله: **﴿فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾** [الأنفال:66]، وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ رَدِيفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: **(وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا)**[4].

---

(1) انظر: دروس الشيخ حسن، حسن أبو الأشبال الزهيري (13/ 9).

(2) انظر: الطريق إلى السعادة، عيد الدويهيس (1/ 99).

(3) انظر: تزكية النفوس، أحمد فريد (ص: 76).

(4) مسند أحمد، أحمد، ومن مسند بني هاشمٍ، مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، عن النبي ﷺ (5/ 19) رقم الحديث (2803)، وقال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح.

التوجيهات التربوية من خلال الأمر بالصبر في مواجهة النوازل:

1- الصبر واجب بإجماع الأمة، وقد تكرر في القرآن بنحو تسعين موضعًا.

2- الصبر نصف الإيمان: نصف للصبر، ونصف للشكر.

3- اقتران الصبر بالنصر لأنه عامل من عوامل النصر وهم أخوان شقيقان.

4- الصبر مفتاح الفرج، وهو ضرورة حياتية لكل عمل نافع.

المطلب السابع: دعوة العباد للدعاء.

الدعاء نعمة من نعم الله علينا، جعلها لندفع بها الابتلاء عن أنفسنا وأمتنا، ولتفريج الكربات، ولدفع الشدة والبلاء، ولجلب الخير والبركات، وهو شفاء ورحمة من الأمراض والأوباء؛ لأن الله خلق الداء ومعه الدواء، وبه ينصر ويرفع الدرجات؛ ليحقق أكبر قوة أمام جحافل الشر والظلم والهوان، ولنا في رسول الله ﷺ وصحابته خير مثال، عندما كانوا قلة مستضعفين في الأرض أمام كبرياء الكفر؛ فكانت الاستغاثة بالدعاء حليف النصر والتمكين والعزة والهيبة للمؤمنين، وعلى العكس من المشركين ممن يدعون الله تجبرا واستهزاء وسخرية؛ فالدعاء على نوعين:

أولًا: دعاء المؤمنين لله تعالى:

يدعو المؤمن ربه في السراء والضراء، لأنه يعلم يقينا أن الله وحده يستطيع أن يجيب دعوة المضطر إذا دعاة في عسر من أمره أو ضيق، لكن عند المعركة فيزيد المؤمن من استغاثته بالله سواء كان قبل أو اثناء أو بعد المعركة، وإليك بيان ذلك:

1- الدعاء قبل المعركة:

اعلم أنه تعالى لما بين في الآية الأولى أنه يحق الحق ويبطل الباطل، بين أنه نصرهم عند الاستغاثة[1]، وتابعت الآيات في نقل الأحداث قبل المعركة بقوله تعالى: **﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: 9]**، أي: إذ تستغيثون أيها المسلمون ربكم حين رأيتم قلة عددكم وكثرة عدوكم، فلم يكن لكم مفزع إلا الدعاء لله وطلب المعونة منه؛ فكان الرد بالاستجابة على موافقة المسألة[2]، بأن الملائكة كانت تقاتل مع رسول الله ﷺ والمؤمنين، وذلك من حديث عَبْدُ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ، قَالَ:

(1) انظر: التفسير الكبير: الرازي (15/ 459).

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم المنسوب للإمام الطبراني (3/ 44).

(لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ، نَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: **(اللهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ)**، فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ، مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ ﷺ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ، فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ تعالى: **﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾** [الأنفال: 9]، فَأَمَدَّهُ اللهُ بِالْمَلَائِكَةِ...)[1]، وأيضا الصحابة ﷺ شاهدوا أثر سياط الملائكة على جثث الكفار من حَدَّيث ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: (بَيْنَمَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ يَشْتَدُّ فِي أَثَرِ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمَامَهُ، إِذْ سَمِعَ ضَرْبَةً بِالسَّوْطِ فَوْقَهُ وَصَوْتَ الْفَارِسِ يَقُولُ: أَقْدِمْ حَيْزُومُ، فَنَظَرَ إِلَى الْمُشْرِكِ أَمَامَهُ فَخَرَّ مُسْتَلْقِيًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ خُطِمَ أَنْفُهُ، وَشُقَّ وَجْهُهُ، كَضَرْبَةِ السَّوْطِ؛ فَاخْضَرَّ ذَلِكَ أَجْمَعُ، فَجَاءَ الْأَنْصَارِيُّ، فَحَدَّثَ بِذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: **(صَدَقْتَ، ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ)**[2].

فعلى الأمة التي تريد النصر، والمجاهدين بشكل خاص، أن يتوجهوا إلى الله تعالى بخشوع وخضوع، يدعونه ويسألونه النصر بعد أن يستكملوا الأسباب المادية في الإعداد والاستعداد التي أمر الله تعالى بها عبادة المؤمنين، ولنا في رسول الله ﷺ اسوة حسنة[3] من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ، وَهُوَ فِي قُبَّةٍ: **(اللَّهُمَّ إِنِّي أَنْشُدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ، اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ لَمْ تُعْبَدْ بَعْدَ اليَوْمِ)** فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ بِيَدِهِ، فَقَالَ: حَسْبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَدْ أَلْحَحْتَ عَلَى رَبِّكَ وَهُوَ فِي الدِّرْعِ، فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ: **﴿سَيُهْزَمُ الجَمْعُ، وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ، وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾** [القمر: 46][4]، وهذا يدل على أن رسول الله ﷺ كان يستغيث بالخالق الذي وعده بالنصر، ورد القوم خلفه: آمين، لأن أي إنسان يؤمن على دعاءٍ يقوله إمام أو قائد فهو بتأمينه هذا، كأنما يدعو مثلما يقول الإمام أو القائد[5].

---

(1) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدرٍ، وإباحة الغنائم (3/ 1383) رقم الحديث (58).

(2) المرجع نفسه (3/ 1383) رقم الحديث (58).

(3) انظر: أسباب النصر في سورة الأنفال، عبد الحميد محمود طماز (ص: 22).

(4) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ما قيل في درع النبي ﷺ، والقميص في الحرب (4/ 41) رقم الحديث (2915).

(5) انظر: تفسير الشعراوي (8/ 4586).

2- الدعاء اثناء المعركة:

إن الدعاء وقت الشدة، وأثناء المعركة مفيد ومحقق للغاية، لأن الدعاء آية الإيمان، والعون على الثبات، كما قال الله تعالى: **﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾** [الأنفال: 45]، وفي تفسير هذا الذكر قولان:

القول الأول: أن يكونوا بقلوبهم وبألسنتهم ذاكرين الله.

القول الثاني: أن المراد من هذا الذكر، الدعاء بالنصر والظفر، لأن ذلك لا يحصل إلا بمعونة الله تعالى(1).

غير ذلك علمنا نبينا ﷺ عند لقاء العدو أن يقول المجاهد ما جاء من حديث أنسٍ بن مالكٍ ﷺ، قال: كان رسول الله ﷺ إذا غَزَا قال: **(اللهم أَنْتَ عَضُدِي ونَصيري، بِكَ أَحُول، وبِكَ أَصُولُ، وبِكَ أُقاتِلُ)**(2)، والصالحون من الأمم السابقة كانوا يدعون الله تعالى عند مواجهة العدو كما قال الله تعالى: **﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (250) فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ﴾** [البقرة: 250، 251] (3)، وهذا الغلام الذي تعلم الحق على يدي الراهب؛ فلما كُشف الحق، فما كان من الباطل الذي فشي وفرخ، إلا أن ينكر الفضيلة؛ ليبقى في الرذيلة والخمول؛ فأخذوا الغلام بسفينة، وأخرى على رأس جبل، فما نجاه إلا دعائه "اللهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ"(4).

3- الدعاء بعد المعركة:

أما بعد المعركة فلا بد للمؤمن أن يحمد الله على كل سراء أو ضراء أصابت الأمة، سواء كان في نصر أو هزيمة، ففي النصر سهل أن يحمدَ المرء ربه عليه، لكن عندما تكون خسائر في العتاد والعدة والجنود، هنا يكمن الحمد لله على جميل قدره، وأن كان مخالفا لهواك، تطبيقًا لسنة النبي محمد ﷺ بعد معركة أحد، إذ أخذ النبي ﷺ يثني ويحمد ربه على نعيم فضله وكرمه على خلقة، ويسأله النصر والتمكين لدينه وأمة الإسلام من حديث عُبَيْدِ بْنِ رِفَاعَةَ الزُّرَقِيِّ

---

(1) انظر: التفسير الكبير: الرازي (15/ 137).

(2) سنن أبي داود، أبو داود، أول كتاب الجهاد، باب ما يدعى عند اللقاء (4/ 270) رقم الحديث (2632)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(3) انظر: التفسير المنير، الزحيلي (2/ 435).

(4) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام (4/ 2299) رقم الحديث (73).

ﷺ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ وَانْكَفَأَ الْمُشْرِكُونَ، قَالَ: رَسُولُ اللهِ ﷺ اسْتَوُوا حَتَّى أُثْنِيَ عَلَى رَبِّي، فَصَارُوا خَلْفَهُ صُفُوفًا، فَقَالَ: **(اللهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ، اللهُمَّ لَا قَابِضَ لِمَا بَسَطْتَ، وَلَا بَاسِطَ لِمَا قَبَضْتَ، وَلَا هَادِيَ لِمَا أَضْلَلْتَ، وَلَا مُضِلَّ لِمَنْ هَدَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ)**[1].

ثانيًا: دعاء الكافرين:

قال المشركون يوم بدر: (اللهم انصر أحبّ الفئتين إليك) فاستجاب دعاءهم ونصر أحبّ الفئتين إليه، وهم المسلمون، فسألوا بألسنتهم هلاك أنفسهم، وذلك لانجرارهم في مغاليط ما يعلّقون من ظنونهم، فهم توهّموا استحقاق القربة، وكانوا في عين الفرقة وحكم الشقوة، موسومين باستيجاب اللعنة بدعائهم، والوقوع في شقائهم[2]، ولما روي عن الزهري أنه قال: استفتح أبو جهل بن هشام، فقال: "اللهم أينا كان أفجر لك وأقطع للرحم فأحنه[3] اليوم"، يعني محمدا ﷺ ونفسهُ، فأنزل الله تعالى: **﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ﴾** [الأنفال: 19]، فضربه ابنا عفراء ﷺ: عوف ومعوذ، وأجهز عليه ابن مسعود ﷺ"[4].

ويمضي السياق بوصف العجب من حمقهم وعمى بصائرهم قبل الإبصار، أن دعوا على أنفسهم واستعجلوا العذاب من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، قال الله تعالى على لسان أَبي جَهْلٍ: **﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾** [الأنفال: 32]، فنزلت: **﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ، وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ المَسْجِدِ الحَرَامِ﴾** [الأنفال: 34][5]، وهو دعاء غريب يصور حالة من العناد والتحدي والاستهانة بالحق، فبدل أن يقولوا اللهم إن كان هذا هو الحق فاهدنا إليه[6]، يقولون متحدين: **﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾** [الأنفال:

---

(1) مسند أحمد، أحمد، مسند المكيين، حديث عبد الله الزرقي، ويقال عبيد بن رفاعة الزرقي (24/ 246) رقم الحديث (15492)، وقال شعيب الأرنؤوط: رجاله ثقات.

(2) انظر: لطائف الإشارات، القشيري (1/ 612).

(3) يقال: "أحانه الله"، أهلكه، والحين بالفتح الهلاك، انظر: العين، الفراهيدي (3/ 304).

(4) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري (11/ 91)، والمستدرك على الصحيحين، الحاكم، كتاب التفسير، تفسير سورة الأنفال (2/ 357) رقم الحديث (3264)، وقال: "هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط الشيخين ولم يخرجاه".

(5) صحيح البخاري، البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: **﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ﴾** [الأنفال: 32] (6/ 62) رقم الحديث (4648).

(6) انظر: تفسير القرآن الكريم "سورة سبأ"، محمد بن صالح العثيمين (ص: 237).

32]، لكن الله تعالى ما كان ليعذبهم والنبي ﷺ فيهم قائم بدعوته قال قتادة (ت: 117): "ذلك من سفاهة هذه الأمة وجهلتها؛ فعاد الله بعائدته ورحمته على سفاهة هذه الأمة وجهلتها"[1]؛ لأن الفطرة السليمة حين تشك، تدعو الله أن يكشف لها عن وجه الحق، وأن يهديها إليه دون أن تجد في هذا غضاضة، ولكنها حين تفسد بالكبرياء الجامحة، تأخذها العزة بالإثم، حتى لتؤثر الهلاك والعذاب، على أن تخضع للحق عندما يكشف لها واضحا لا ريب فيه[2]، غير ذلك فقد أنذرهم الله وتهددهم وتوعدهم في كتابه، وأنذرهم رسوله ﷺ بسنته وببيان كتاب الله المنزل عليه، وإذا بهم يتحدون مكذبين[3]: **﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾** [الأنبياء: 38].

التوجيهات التربوية من خلال دعوة العباد للدعاء:

1- الدعاء قبل المعركة: بالخضوع والتذلل، واثناء المعركة: بالنصر والظفر، وبعد المعركة: بالحمد والشكر.
2- الدعاء لتفريج الكربات، ولدفع الشدة والبلاء، ولجلب الخير والبركات، وهو شفاء ورحمة من الأمراض والأوباء.
3- الدعاء للمؤمنين يكون: بالتودد إلى الله تعالى، والدعاء للكافرين يكون: بالتكبر على الله تعالى.
4- التأدب مع الله تعالى في الدعاء؛ لأن الكافرين لو تأدبوا فقالوا، "اللَّهُمَّ إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه"؛ لكان خير لهم، لكن سفاهة عقولهم أوصلتهم إلى العذاب.

---

(1) توفيق الرحمن في دروس القرآن، فيصل بن عبد العزيز الحريملي النجدي (2/ 297).
(2) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (3/ 1505).
(3) انظر: تفسير القرآن الكريم، محمد المنتصر الكتاني (76/ 5).

المبحث الثاني: توجيهات تربوية دعوية

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أهمية تغير النفس والواقع

المطلب الثاني: الدعوة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

المطلب الثالث: خطورة الفتنة على المسلمين

المبحث الثاني: توجيهات تربوية دعوية.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أهمية تغير النفس والواقع.

أولًا: تغير نعم الله:

قال الله تعالى: **﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: 53]**، قال الماوردي (ت: 450): "يحتمل التغير خمسة أوجه:

1- لم يك مغيرًا نعمة أنعمها عليهم بالنصر لهم على أعدائهم، حتى يغيروا ما بأنفسهم من الثقة به والتوكل عليه.
2- لم يك مغيرًا نعمته عليهم في كف أعدائهم عنهم، حتى يغيروا ما بأنفسهم من طاعته والكف عن معصيته.
3- لم يك مغيرًا نعمته عليهم في الغنى والسعة، حتى يغيروا ما بأنفسهم من تأدية حق الله تعالى منه.
4- لم يك مغيرًا نعمته في الثواب والجزاء، حتى يغيروا ما بأنفسهم من الإيمان.
5- لم يك مغيرًا نعمته عليهم في الإرشاد، حتى يغيروا ما بأنفسهم من الانقياد"[1].

ثانيًا: أسباب تغير النعم:

1- أنعم الله عليهم بالعقل والقدرة وإزالة الموانع وتسهيل السبل، والمقصود أن يشتغلوا بالعبادة والشكر ويعدلوا عن الكفر؛ فإذا صرفوا هذه الأحوال إلى الفسق والكفر، فقد غيروا نعمة الله تعالى على أنفسهم، فلا جرم استحقوا تبديل النعم بالنقم والمنح بالمحن[2].
2- ذكر الله تعالى أن ما خولهم فيه من النعم وأسبغ عليهم من الإحسان، لا يزيله عنهم إلى الإنتقام منهم إلا بكفر تلك النعم، وإهمال أمره بالطاعة، واستبدالها بالمعصية.

---

(1) النكت والعيون (2/ 327).

(2) انظر: التفسير الكبير: الرازي (15/ 496).

3- لا يقع تغير النعم بقوم حتى يقع تغيير منهم بالمعاصي، ويقع التغيير، إما منهم، وإما من الناظر لهم، أو ممن هو منهم تسبب، كما غير الله تعالى المنهزمين يوم أحد؛ بسبب تغيير الرماة ما بأنفسهم، جزاءً وفاقا، وما ربك بظلام للعبيد[1].

4- تغير النعم بتغير النفوس لعادتهم؛ لأن المحرمات قد تكون سببًا لزوال النعم[2].

ثالثًا: تغير النفس يغير القوم:

بُعث النبيُ محمد ﷺ إلى أُناس إلى يومنا هذا نقول عنه العصر الجاهلي، حيث كان الواحد منهم، يفتخر بالظلم والقتل وعبادة الأصنام، وغيرها من الانحطاط الأخلاقي، فلما طبق عليهم المنهج القرآني، أخرجهم من الظلمات إلى النور، ومن الجهل إلى العلم، حين أقام عقيدة قوية راسخة في مكة، فبدأ بنفسه، ثم ممن حوله من الزوجة والقريب والصاحب وغيرهم، ثم أقام النظام الإسلامي على أساسها في المدينة، وصدق مالك بن نبي[3] عندما قال: "غيّر نفسك تغيّر التأريخ"[4]، ولم نمل من تكرارها على مسامع الجاليات الإسلامية المقيمة في الغرب: "أقيموا الإسلام في نفوسكم تفتح له أسماع الآخرين وأفئدتهم"[5].

ومما يؤثر في هذا المقام عن حسن البنا أنه قال: "أقيموا الإسلام في أنفسكم يقم على أرضكم"[6]، وها هو جعفر بن أبي طالب والمغيرة ﷺ، يصفا حالتهم في الجاهلية كيف كانوا، وبالإسلام كيف صاروا من حديث أُمِّ سَلَمَةَ بِنْتِ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ ﷺ قَالَتْ: (لَمَّا نَزَلْنَا أَرْضَ الْحَبَشَةِ جَاوَرْنَا بِهَا حِينَ جَاءَ النَّجَاشِيُّ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ بِطُولِهِ، وَقَالَتْ: وَكَانَ الَّذِي كَلَّمَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ قَالَ لَهُ: "أَيُّهَا الْمَلِكُ كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ، وَيَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ

---

(1) انظر: البحر المحيط في التفسير، أبو حيان (5/ 365).

(2) الآداب الشرعية والمنح المرعية، محمد بن مفلح المقدسي الحنبلي (3/ 372).

(3) **مالك بن الحاج عمر بن الخضر بن مصطفى بن نبي:** ولد في الخامس من ذي القعدة عام (323 ا هـ)، الموافق الفاتح من كانون الثاني (يناير) (5 190 م)، وولد مالك بين مجتمع جزائري محافظ وكانت أسرته فقيرة حيث كفله عمله في مراحل التعليم، وفي سنة 1967 استقال من منصبه وتفرغ للكتابة والعمل الفكري وتنظيم ندوات فكرية، فأصدر: (إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي) (1968)، والإسلام والديمقراطية (1968)، وغيرها، توفي رحمه الله في 31 أكتوبر 1973 بالجزائر لكن علمه مازال مشعا يبلغ الآفاق، انظر: مالك بن نبي مفكر اجتماعي ورائد إصلاحي، محمد العبدة (ص: 22).

(4) شروط النهضة، مالك بن الحاج عمر بن نبي (ص: 32).

(5) من الجوانب الفقهية في علاقة الإسلام بالغرب، الدكتور صلاح الصاوي (ص: 13).

(6) مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها، على أحمد مدكور (ص: 119).

اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ، وَصِدْقَهُ، وَأَمَانَتَهُ، وَعَفَافَهُ، فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ لِتَوْحِيدِهِ، وَلِنَعْبُدَهُ وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ، وَأَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ" قَالَتْ: فَعَدَّدَ عَلَيْهِ أُمُورَ الْإِسْلَامِ، فَصَدَّقْنَاهُ وَآمَنَّا بِهِ، وَاتَّبَعْنَاهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، فَعَبَدْنَا اللَّهَ وَحْدَهُ، وَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ وَحَرَّمْنَا مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا، وَأَحْلَلْنَا مَا أَحَلَّ لَنَا ...)[1]

وأيضًا من حديث جُبَيْرِ بْنِ حَيَّةَ ﷺ، قَالَ: (نَدَبَنَا عُمَرُ بن الخطاب ﷺ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْنَا النُّعْمَانَ ابْنَ مُقَرِّنٍ ﷺ، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِأَرْضِ العَدُوِّ، وَخَرَجَ عَلَيْنَا عَامِلُ كِسْرَى فِي أَرْبَعِينَ أَلْفًا، فَقَامَ تَرْجُمَانٌ، فَقَالَ: لِيُكَلِّمْنِي رَجُلٌ مِنْكُمْ، فَقَالَ المُغِيرَةُ: سَلْ عَمَّا شِئْتَ؟ قَالَ: مَا أَنْتُمْ؟ قَالَ: "نَحْنُ أُنَاسٌ مِنَ العَرَبِ، كُنَّا فِي شَقَاءٍ شَدِيدٍ وَبَلاَءٍ شَدِيدٍ، نَمَصُّ الجِلْدَ وَالنَّوَى مِنَ الجُوعِ، وَنَلْبَسُ الوَبَرَ وَالشَّعَرَ، وَنَعْبُدُ الشَّجَرَ وَالحَجَرَ، فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الأَرَضِينَ، تَعَالَى ذِكْرُهُ وَجَلَّتْ عَظَمَتُهُ، إِلَيْنَا نَبِيًّا مِنْ أَنْفُسِنَا نَعْرِفُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ، فَأَمَرَنَا نَبِيُّنَا رَسُولُ رَبِّنَا ﷺ" **(أَنْ نُقَاتِلَكُمْ حَتَّى تَعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ، أَوْ تُؤَدُّوا الجِزْيَةَ، وَأَخْبَرَنَا نَبِيُّنَا ﷺ عَنْ رِسَالَةِ رَبِّنَا، أَنَّهُ مَنْ قُتِلَ مِنَّا صَارَ إِلَى الجَنَّةِ فِي نَعِيمٍ لَمْ يَرَ مِثْلَهَا قَطُّ، وَمَنْ بَقِيَ مِنَّا مَلَكَ رِقَابَكُمْ)**[2].

فهؤلاء عندما تركوا بلاد الكفر، وذهبوا إلى بلاد العدل والهداية والعلم؛ فإنه لا بد أن يتغير حالهم إلى الأحسن، وهذ يذكرنا بحديث الرجل الذي قتل مائة نفس؛ فلما دُل على عالم، دَله إلى تغير البيئة الفاسدة المحاطة به من كل جانب، فمن حديث أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: **(كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ إِنْسَانًا، ثُمَّ خَرَجَ يَسْأَلُ، فَأَتَى رَاهِبًا فَسَأَلَهُ فَقَالَ لَهُ: هَلْ مِنْ تَوْبَةٍ؟ قَالَ: لاَ، فَقَتَلَهُ، فَجَعَلَ يَسْأَلُ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: ائْتِ قَرْيَةَ كَذَا وَكَذَا، فَأَدْرَكَهُ المَوْتُ، فَنَاءَ بِصَدْرِهِ نَحْوَهَا، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلاَئِكَةُ العَذَابِ،**

---

(1) صحيح ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، كتاب الزكاة المختصر من المختصر من المسند على الشريطة التي ذكرتها في أول الكتاب، باب ذكر البيان أن فرض الزكاة كان قبل الهجرة إلى أرض الحبشة، إذ النبي ﷺ مقيم بمكة قبل هجرته إلى المدينة (4/ 13) رقم الحديث (2260)، ومسند أحمد، أحمد، مسند أهل البيت رضوان الله عليهم أجمعين، حديث جعفر بن أبي طالبٍ (1) ﷺ وهو حديث الهجرة (3/ 263) رقم الحديث (1740).

(2) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الجزية، باب الجزية والموادعة مع أهل الحرب (4/ 97) رقم الحديث (3159).

فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى هَذِهِ أَنْ تَقَرَّبِي، وَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى هَذِهِ أَنْ تَبَاعَدِي، وَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَهُمَا، فَوُجِدَ إِلَى هَذِهِ أَقْرَبَ بِشِبْرٍ، فَغُفِرَ لَهُ)[1].

التغير الاجتماعي إنما يبدأ من داخل النفس، وذلك بتغيير الأنماط العقائدية والفكرية للإنسان، فإذا ما تغير ذلك، فإنه ينعكس على السلوك الخارجي للفرد والمجتمع على السواء، أي: إنه ينعكس على النظم، والمؤسسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية وغيرها.

هذا عدل الله في معاملة العباد، فلا يسلبهم نعمة وهبهم إياها إلا بعد أن يغيروا نواياهم، ويبدلوا سلوكهم، ويقلبوا أوضاعهم، ويستحقوا أن يغير الله ما بهم مما أعطاهم إياه[2] لقوله تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾** [الرعد: 11]، فإذا غير القوم ما بأنفسهم إلى الأحسن؛ فإن الله سيغير واقعهم للأحسن والعكس صحيح، وهذا هو قانون التغيير الأساسي في القرآن الكريم، وفي هذا اثبات واضح بأن التغيير الحقيقي هو الذي يحدث داخل النفوس، ومع علمنا أن الحكومات لا تستطيع تغيير ما بالنفوس[3].

رابعًا: الواقع يشهد التغير:

واقع غزة وفلسطين والأمة الإسلامية، يشهد له التأريخ، فكم كانت في ضعف من الجانب الديني، وحتى الدنيوي؛ فلما قام الشباب والشيبة المسلم والجماعات الإسلامية الحاضرة الحاضنة للفرد المسلم، تغير تاريخها؛ فصرت تري أغلب المصلين من الشباب الملتزم، وصار لها منبر للعلم والهداية، وبداية انطلاق لدعوة الناس إلى الهدى والتقوى والعفاف والغنى، وجهاد اليهود الصهاينة والمنافقين وكل فكر يضل المسلمين، فتحول الحال من الانحلال إلى الالتزام، ومن الضعف إلى القوة، ولنا في ذلك حال النبي محمد ﷺ كيف كان من ضعف واستضعاف، وكيف صار من قوة وعزة كما قال الله تعالى: **﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾** [الأنفال: 26]، وكيف كنا عندما احتلوا بيت المقدس، لا نملك سلاحا نقاتل فيه الأعداء، وكيف صرنا نرمي عليهم بصواريخ بعيدة المدى.

---

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار (4/ 174) رقم الحديث (3470).

(2) انظر: مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها، على أحمد مدكور (ص: 158).

(3) انظر: إصلاح الشعوب أولا، عيد بطاح الدويهيس (ص: 4).

وتحولت الأمة من الجهل إلى العلم، من قلة التعليم الشرعي والجامعي، حتى صار لنا منبر في العلم الشرعي، ومكانة لجامعاتنا على مستوى العالم العربي، وغيرها من المقارنات في كل مجال من المجالات الدينية والدنيوية والمادية والمعنوية.

كل ذلك: لأن هذا الجيل ما قبل على نفسة الذل والمهانة والوهن، فجد واجتهد، وغير وبدل؛ فكان حقا على الله تعالى أن يغير هذا الحال من حال إلى حال، وإن كنا نطمع ونطمح ونطلب من الله تعالى أن يهيئ لنا ولأمة الإسلام أسباب النصر، الذي يعز به أولياءه، ويذل أعداءه من المشركين، وصدق أبو الأسود الدؤلي عندما قال:

ابدأ بِنَفسِكَ وَآنَهها عَن غِيِّها * فَإِذا انتَهَت عَنهُ فَأَنتَ حَكيمُ**[1]

التوجيهات التربوية من خلال أهمية تغير النفس والواقع:

1- التغير الاجتماعي يبدأ من داخل النفس، وذلك بتغيير الأنماط العقائدية والفكرية للإنسان، فإذا ما تغير ذلك، فإنه ينعكس على السلوك الخارجي للفرد والمجتمع على السواء.
2- لا يسلب الله نعمة وهبها إلى عباده إلا بعد أن يغيروا نواياهم، وسلوكهم، وأوضاعهم، ويستحقوا أن يغير الله ما بهم مما أعطاهم إياه.
3- لا يغير الله نعمة أنعمها عليهم بالنصر، حتى يغيروا ما بأنفسهم من الثقة بالله تعالى والتوكل عليه.
4- لا يغير الله نعمة أنعمها عليهم بالثواب والجزاء، حتى يغيروا ما بأنفسهم من الإيمان.
5- تغير نعم الله ثابتة بأسباب تغير النعم، والواقع يشهد على ذلك بقوله تعالى: **﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾** [الأنفال: 53]
6- كل هذه التغيرات التي حصلت مع رسوله ﷺ وصحابته الكرام، يرجع إلى سبب واحد، هو أنهم أردوا أن يغيروا واقع أمتهم الأليم؛ فغيرهم الله تعالى إلى مراده للفضيلة والإيمان والعزة.

---

(1) ديوان أبي الأسود الدؤلي، أبو سعيد الحسن السكري (ص: 404).

المطلب الثاني: الدعوة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

يخبر الله تعالى عن الأمة الإسلامية بأنها خير الأمم في الوجود ما دامت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتؤمن بالله إيمانا صحيحا صادقا كاملا، وتظل الخيرية والفضيلة لهذه الأمة ما دامت تؤمن بالله حق الإيمان، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وأما الأمم الأخرى؛ فقد غلب عليهم تشوية حقيقة الإيمان، وشاع فيهم الشر والفساد، فلا يؤمنون إيمانا صحيحا، ولا يأمرون بمعروف، ولا ينهون عن منكر، وإليك بيان أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وخطورة تركة.

أولًا: الحض على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

الإيمان المطلوب في قوله تعالى: **﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾** [الأنفال: 2]، قال الشوكاني (ت: 1250): "وقد دلت الآيات القرآنية، والأحاديث المتكاثرة، على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجوبا مضيقا متحتما، فتحمل هذه الآية على من لا يقدر على القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو لا يظن التأثير بحال من الأحوال، أو يخشى على نفسه أن يحل به ما يضره ضررا يسوغ له معه الترك"[(1)].

ثانيًا: التحذير من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

التحذير من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في قوله تعالى: **﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: 25]**، أي: **﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً﴾**، إن نزلت، **﴿لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾**، بل تعم الظالم وغيره، ثم يبعث الناس على نيتهم، وذلك كإقرار المنكَر بين أظهركم، والمداهنة في الأمر بالمعروف، واقتراف الكبائر، وظهور البدع، والتكاسل في الجهاد، وعن الفرائض، وغير ذلك من أنواع الذنوب، وقال القشيري (ت: 465): "احذروا أن ترتكبوا زلَّةً توجب لكم عقوبة لا تخص مرتكبها، بل يعمُّ شؤمُها مَنْ تعاطاها ومن لم يتعاطاها، وغير المجرم لا يُؤْخَذَ بجُرْم من أذنب، ولكن قد ينفرد واحدٌ بجُرم فيحمل أقوامٌ من المختصين بفاعل هذا الجُرْم، كأن يتعصبوا له إذا أُخِذَ بحكم ذلك الجرّم، فبعد ألا يكونوا ظالمين يصيرون ظالمين بمعاونتهم وتعصبهم لهذا الظالم فتكون فتنة لا تختص بمن كان ظالمًا في الحال، بل تصيب أيضًا ظالمًا في المستقبل بسبب تعصبه لهذا الظالم، ورضاه

---

(1) فتح القدير (2/ 96).

به"[1]، وبهذا قال الشنقيطي (ت1393): "فالحق وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبعد أداء الواجب لا يضر الآمر ضلال من ضل، وقد دلت الآيات والأحاديث على أن الناس إن لم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر، عمهم الله بعذاب من عنده"[2]، فمن ذلك: حديث حُذَيْفَةَ بْنَ اليَمَانِ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ المُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ)**[3]، وعَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، دَخَلَ عَلَيْهَا فَزِعًا يَقُولُ: **(لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ اليَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ)** وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ الإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا، قَالَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: **(نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الخَبَثُ)**[4]، وصح عن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أنه قال: **(إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الْمُنْكَرَ لَا يُغَيِّرُونَهُ، أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللَّهُ بِعِقَابِهِ)**[5]، وقال ابن عباس ﷺ (ت: 68): "أمر الله المؤمنين ألا يُقِرُّوا المنكر بين أظهرهم فيَعُمَّهم العذاب يصيب الظالم وغير الظالم"[6]، وقد ذهب بعض أئمة التفسير إلى أن هذا التحذير يختص بالصحابة ﷺ، والصحيح أن التحذير يعم الصحابة وغيرهم، وإن كان الخطاب معهم، كذا قال الحافظ ابن كثير (ت:774)[7]، وغيره[8]، وعن الْعُرْسِ بْنِ عُمَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(إِنَّ اللهَ لَا يُعَذِّبُ الْعَامَّةَ بِعَمَلِ الْخَاصَّةِ حَتَّى تَعْمَلَ الْخَاصَّةُ بِعَمَلٍ تَقْدِرُ الْعَامَّةُ، أَنْ تُغَيِّرَهُ وَلَا تُغَيِّرُهُ فَذَاك حِينَ يَأْذَنُ اللهُ فِي هَلَاكِ الْعَامَّةِ والخاصةِ)**[9].

---

(1) انظر: لطائف الإشارات (1/ 616).

(2) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (1/ 460).

(3) جامع الترمذي، الترمذي، أبواب الفتن عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (4/ 468) رقم الحديث (2169)، وقال الترمذي: "هذا حديثٌ حسنٌ".

(4) صحيح البخاري، البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قصة يأجوج، ومأجوج (4/ 138) رقم الحديث (3346).

(5) سنن ابن ماجه، ابن ماجة، كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (2/ 1327) رقم الحديث (4005)، وقال الألباني: صحيح، انظر: صحيح وضعيف سنن ابن ماجة (9/ 5) رقم الحديث (4005).

(6) الجواهر الحسان في تفسير القرآن، الثعالبي (2/ 92).

(7) انظر: تفسير القرآن العظيم (7/ 51).

(8) انظر: تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين وتحذير السالكين من أفعال الجاهلين، أبو زكريا محيي الدين النحاس الدمشقي (ص: 83).

(9) المعجم الكبير، الطبراني، باب العين، عرس بن عميرة الكندي (17/ 138) رقم الحديث (343)، وقال الهيثمي: "رجاله ثقات".

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(إِذَا رَأَيْتُ أُمَّتِي تَهَابُ فَلَا تَقُولُ لِلظَّالِمِ يَا ظَالِمُ فَقَدْ تُودِّعَ مِنْهُمْ)**[1]، يقول القاضي عياض (ت: 544) في شرح الحديث: "أصله من التوديع، وهو الترك، وحاصله أن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمارة الخذلان وغضب الرب"[2]، ولقوله تعالى: **﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً﴾**، أي: "واتقاؤها بإنكار موجبها من المنكر"[3]، فالتوجيه التربوي يوجب تجنب أسباب الفتنة والبلاء والعذاب، بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتوحيد الكلمة، ومحاربة البدع، ومقاومة الانقسام، والمدعوة إلى الوحدة بين الأمة حكاما ومحكومين لأن وباء الفتنة لا يقتصر على الظالمين خاصة، وإنما يعم الجميع[4].

ثالثًا: العمل للدين مسؤولية الجميع:

قال الله تعالى: **﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾** [الأنفال: 38]، فيه دعوة إلى الانتهاء عن الكفر ومشتقاته، وأمر من الله لنبيه؛ بأن يقول لهم في شأن الذين كفروا متحدثا عن مآلهم، إن ينتهوا عما هم فيه من كفر ومشاقَّة للمؤمنين ومحاربة للحق، يغفر لهم ما سلف من أعمالهم، ويدخلون في الإسلام طاهرين مبتدئين حياة جديدة هي طهر وتقى ونقاء، وفيه: إشارة إلى أن الفطرة هي الإيمان، وأن الكفر عارض على النفس وهو حال قابلة للانتهاء، وإذا انتهت عاد الطهر والنقاء[5]، لقوله تعالى: **﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾** [الأنفال: 53]، أي: لا ترى مسلما نوّر الله قلبه بنور العلم والإيمان إلا وهو في زماننا كالقابض على الجمر، ولا يزال متألما متوجعا لِما يرى من كثرة النقص والتغيير في جميع أمور الدين، وانتقاض الكثير من عرى الإسلام، والتهاون بمبانيه العظام، ولقلة أعوانه على الخير، وكثرة من يعارضه ويناويه، فإن أَمَر بالمعروف لم يُقبل منه، وإنْ نَهى عن المنكر لم يأمن على نفسه وماله، وأقل الأحوال أن يُسخر منه ويُستهزأ به، ويُنسب إلى الحمق وضعف الرأي، حيث لم يمش حاله مع الناس، وربما قُمع مع ذلك وقُهر واضطهد[6].

---

(1) المستدرك على الصحيحين، الحاكم، كتاب الأحكام (4/ 108) رقم الحديث (7036)، وقال الحاكم: "هذا حديثٌ صحيح الإسناد ولم يخرجاه".

(2) فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي (1/ 354).

(3) تفسير الجلالين، جلال الدين محمد المحلي، وجلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ص: 231).

(4) انظر: التفسير المنير، الزحيلي (9/ 295).

(5) انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة (6/ 3126).

(6) انظر: غربة الإسلام، التويجري (1/ 122).

فالداعية لا بد أن يستغل من يأتون إليه ويسألونه، وهذا منهج القرآن في ذلك، فعندما سألوا النبي ﷺ عن الأنفال، أخر الإجابة إلى نصف السورة، وابتدأ بدعوتهم إلى ترسيخ الإيمان والعقيدة الصحيحة، بتصحيح المفاهيم، ودعوتهم إلى الأعمال الصالحة بقوله تعالى: **﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾** [الأنفال: 1]، إلى قوله: **﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنفال: 41].**

وهذا يوسف عليه السلام يعاني في السجن لوعة الغربة، وألم البعد، وقهر الظلم، ومضاضة ظُلم ذوي القربى ويعاني كل هذه الآلام، ويكابدها في ظلمات السجن، وثقل القيد، ولكن مع هذا كله، ومع هذه المعاناة كلها، لا ينسى أبدا دعوته وقضيته ورسالته، فإذا به يحول السجن إلى مدرسة للتوحيد، مدرسة للدعوة، يتبين لنا فيها براعة الداعية وحسن تأتيه؛ فإذا به يستقبل سؤال صاحبيه في السجن حينما يسألانه: **﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾** [يوسف: 36]، فاستغل تشوقهما للجواب على السؤال الذي طرحاه، فلا يجيب على السؤال مباشرة، ولكن يطرح القضية الضخمة التي تعيش في وجدانه، وهي رسالة الله وعقيدة التوحيد فيقول: **﴿يَاصَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: 39]**، ثم يندد بعقيدتهما وعبادتهما فيقول: **﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: 40]**، أسماء سميتموها ليس لها حقائق، حتى إذا كرس عقيدته وبين أنه بريء هو وأبوه وجده مما هم عليه، وأنه أتبع الرسالة الخالصة الموحدة لله، ثم يجيب بعد ذلك على السؤال: **﴿يَاصَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾** [يوسف: 41][1].

رابعًا: علاقة الدعوة بالقتال:

الداعية لا بد له أن يدعو إلى دينه بالحكمة والموعظة الحسنة، سواء كان وقت الضعف أو القوة؛ لكن إذا كان مع الداعية قوة تعينه على الحق؛ فهذا أقوى وأفضل وأمتع، لأن البعض لا يجدي معه الحديث بالقدر الذي يجدي معه القتال، لقوله تعالى: **﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الأنفال: 39]،**

(1) انظر: العمل للدين مسؤولية الجميع، عبد الوهاب الطريري، (ص: 8)

وصدق الشيخ الفصيح على القرني بشعره[1]:

من لم يؤدبه الكتاب فبالسيوف يؤدب * وإن الحسام العضب نعم المؤدب**[2]

وقال الشاعر على جارم[3]:

ومن لم يؤدِّبهُ البيانُ وهديُه * فإنَّ الحسامَ العضبَ نعم المؤدبُ**[4]

فالداعية لا بد له أن يحمل في جعبته سيفين: سيف بلسانه يقصف به أهل البدع والباطل والظلم، وسيف في يده يقاتل به الأعداء، فيبري لسانه في وقت، ويسحب سيفه في وقت يستطيع به أن ينصر دين الله تعالى، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ، (لَمَّا نَزَلَتْ: **﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾**، وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ فَكُتِبَ عَلَيْهِمْ أَنْ لاَ يَفِرَّ وَاحِدٌ مِنْ عَشَرَةٍ) فَقَالَ سُفْيَانُ (ت: 198) غَيْرَ مَرَّةٍ: أَنْ لاَ يَفِرَّ عِشْرُونَ مِنْ مِائَتَيْنِ "ثُمَّ نَزَلَتْ: **﴿الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ﴾** [الأنفال: 66]، فَكَتَبَ أَنْ لاَ يَفِرَّ مِائَةٌ مِنْ مِائَتَيْنِ "وَزَادَ سُفْيَانُ مَرَّةً: نَزَلَتْ: **﴿حَرِّضِ المُؤْمِنِينَ عَلَى القِتَالِ، إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾** [الأنفال: 65]، قَالَ سُفْيَانُ (ت: 198): وَقَالَ ابْنُ شُبْرُمَةَ (ت: 144): "وَأَرَى الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ المُنْكَرِ مِثْلَ هَذَا"[5].

وأحيانًا تأتي التوجيهات الربانية للدعوة بالإحجام في ساعة يرى الكل أنها ساعة الإقدام، وأحيانًا يأتي الأمر بالإقدام في ساعة العسرة، وتطلع النفوس إلى الراحة أو إلى خيار آخر، مثل ما وقع في غزوة بدر، وكان الخيار الذي اختاره الله لهم غير ما تطلعت إليه النفوس، ووصف

---

(1) **علي بن عبد الخالق القرني:** ولد في (17 يونيو 1961م)، في مدينة سبت العلايه بالسعودية، ثم انتقل إلى مكة ونشأ بها، ويشغل منصب المدير العام لمكتب التربية العربي لدول الخليج، وهو داعية إسلامي، وله أسلوب في الخطابة، يتميز ببراعة الإلقاء باللغة العربية الفصحى والاستشهاد بالأبيات الشعرية، انظر: موقع: https://ar.wikipedia.org/wiki/.

(2) مستفاد من محاضرة غيرة على حرمات الله، علي بن عبد الخالق القرني.

(3) **علي بن صالح بن عبد الفتاح الجارم:** (1299- 1368هـ/ 1881- 1949م)، أديب مصري، من رجال التعليم له شعر ونظم كثير، ولد في رشيد، وتعلم في القاهرة وإنجلترة، واختير ليكون كبير مفتشي اللغة العربية بمصر، وتوفي بالقاهرة فجأة، له (ديوان الجارم)، انظر: معجم الشعراء العرب، موقع الموسوعة الشعرية (ص: 1731).

(4) ديوان على الجارم (2/ 243).

(5) صحيح البخاري، البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب **﴿يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال﴾** (6/ 63) رقم الحديث (4652).

ذلك ربنا في كتابه، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ [الأنفال: 7][1].

التوجيهات التربوية من خلال الدعوة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

1- حتى تكون الأمة الإسلامية خير الأمم في الوجود، لا بد من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

2- وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما دلت الآيات القرآنية، والأحاديث المتكاثرة.

3- ترك الأمر بالمعروف والنهي عن الإقرار بالمنكر، سبب للعذاب؛ فيصيب الظالم وغير الظالم.

4- الداعية لا بد له أن يستغل من يأتون إليه ويسألونه، كما فعل النبي محمد ﷺ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ [الأنفال: 1]؛ فأجابهم بعدما بين لهم التوجيهات التربوية التي تصلح لحامل لواء الإسلام.

5- الداعية لا بد له أن يحمل في جعبته سيفين:

أ- سيف بلسانه: يقصف به أهل البدع والباطل والظلم.

ب- وسيف في يده: يقاتل به الأعداء؛ فيبري لسانه في وقت، ويسحب سيفه في وقت يستطيع به أن ينصر دين الله تعالى.

6- وجوب تجنب أسباب الفتنة والبلاء والعذاب، بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتوحيد الكلمة، ومحاربة البدع، ومقاومة الانقسام، والدعوة إلى الوحدة بين الأمة حكاما ومحكومين؛ لأن وباء الفتنة لا يقتصر على الظالمين خاصة، وإنما يعم الجميع[2].

---

(1) انظر: عوامل النصر والتمكين في دعوات المرسلين، أحمد بن حمدان بن محمد الشهري (ص: 110).

(2) انظر: التفسير المنير، الزحيلي (9/ 295).

المطلب الثالث: خطورة الفتنة على المسلمين:

أولًا: الفتنة بلاء للخاصة والعامة:

قال الله تعالى: **﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: 25]**، اختلفوا في قوله تعالى: **﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً﴾، فيمن نزلت على أربعة أقوال:**

1- أنها نزلت في أصحاب النبيّ ﷺ خاصة، قاله ابن عباس، والضحاك (ت: 105).

2- أنها نزلت في رجلين من قريش، قاله أبو صالح عن ابن عباس، ولم يسمِّهما.

3- أنها عامة، قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس: أمر الله المؤمنين أن لا يُقِرُّوا المنكر بين أظهرهم، فيعمهم الله بالعذاب.

4- أنها نزلت في علي رضي الله عنه (ت: 40)، وعمار رضي الله عنه (ت: 37)، وطلحة رضي الله عنه (ت: 36)، والزبير رضي الله عنه (ت: 36)، قاله الحسن (ت:110)، والسدي (ت: 127): نزلت في أهل بدر خاصة، فأصابتهم يوم الجمل.

والفتنة ها هنا سبعة أقوال: أحدها: القتال، والثاني: الضلالة، والثالث: السكوت عن إنكار المنكر، والرابع: الاختبار، والخامس: الفتنة بالأموال والأولاد، والسادس: البلاء، والسابع: ظهور البدع.

قال الباحث: والفتنة هنا: بمعنى الضلالة كما قال الطبري (ت: 310): في قوله تعالى: **﴿واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة﴾** [الأنفال: 25]، قال: الفتنة: "الضلالة"[1].

أمّا قوله تعالى: **﴿لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾**، فقال الفراء: أمرهم، ثم نهاهم، وقال الأخفش: "إنما هو نهي بعد نهي"، والنهي هنا للمصيبة، وفي المعنى للمخاطبين، بالجملة أي: لا تتعاطوا أسبابا تصيبكم فيها مصيبة الظالمين خاصة بل تعمهم وتعُمُّ غيرهم[2]، فتصيب الظالمين وَالْمؤمنين، فالظالمون معذبون، والمؤمنِين ممتحنون ممحصون[3].

---

(1) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (11/ 115).

(2) انظر: المجتبى من مشكل إعراب القرآن، أ. د. أحمد بن محمد الخراط أبو بلال (1/ 368).

(3) انظر: ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن، محمد بن عبد الواحد، أبو عمر الباوردي، المعروف بغلام ثعلب (ص: 237).

وللمفسرين في معنى الكلام قولان: أحدهما: لا تصيبن الفتنةُ الذين ظلموا، والثاني: لا يصيبن عقاب الفتنة؛ فإن قيل: فما ذنب مَن لم يظلم؟ فالجواب: أنه بموافقته للأشرار، أو بسكوته عن الإنكار، أو بتركه للفرار، استحق العقوبة(1).

وسنَّةُ الله باقية في أمة محمد ﷺ كما كانت في الأمم السابقة، أن الله يهلك الكفار الظالمين، ومن انتشر وغلب فيهم الذنوب والمعاصي، وخالفوا الفطرة السليمة التي فطر الله عليها الناس، حتى أنه تعالى يهلك من كان معهم من الصالحين، وهذا يعطينا توجه تربوي هام، أن المسلم لا بد له أينما وقع نفع البشرية في مشارقها ومغاربها؛ ليقيم عليهم حجة الإسلام بالدعوة إلى الله تعالى، ويَهديهم إلى هداية الإسلام، حتى إذا وقعت فتنة من الفتن العضال: من مرض، أو وباء، أو خسف أو أيّ عقاب رباني، كانت فضائل أعمالهم، حجة لهم وليست عليهم، ويوم القيامة تحاجان عن أصحاب الدعوة والفضيلة والفطرة السليمة.

ثانيًا: الفتنة ابتلاء لا بلاء:

قال الله تعالى: **﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: 28]**، قال ابن عباس ﷺ (ت: 68): (هذا خطاب لأبي لبابة، لأنه كانت له أموال وأولاد عند بني قريظة)؛ فأما الفتنة فالمراد بها: الابتلاء والامتحان الذي يُظهر ما في النفس من اتِّباع الهوى أو تجنُّبِه، **﴿وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾**، خير من الأموال والأولاد(2).

فالفتنة ليست مذمومة في ذاتها؛ لأن معناها اختبار وامتحان، وقد يمر الإنسان بالفتنة، وينجح؛ فأي أمر فيه فتنة فلا يظن أنها أمر سيء، بل عليه أن يتذكر أن الفتنة هي اختبار وابتلاء وامتحان، وعلى الإنسان أن ينجح مع هذه الفتنة؛ فالفتنة إنما تضر من يخفق ويضعف عند مواجهتها؛ كأن يكون عنده الأموال والأولاد، وهم فتنة بالفعل؛ فلا يغره المال بل إنه استعمله في الخير، والأولاد لم يصيبوه بالغرور بل علمهم حمل منهج الله وجعلهم ينشأون على النماذج السلوكية في الدين؛ فالغرور بالمال والأولاد في الحياة أمر خادع؛ فالإنسان يستطيع أن يعيش الحياة بلا مال أو أولاد، ومن يغتر بالمال أو الأولاد في الحياة، يأتي يوم القيامة ويجد أمواله وأولاده حسرة عليه، لماذا؟ لأنه كلما تذكر أن المال والأولاد أبعداه عما يؤهله لهذا الموقف؛ فهو يعاني من الأسى ويقع في الحسرة.

---

(1) انظر: زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج الجوزي (2/ 201).

(2) انظر: المرجع نفسه (2/ 204).

ثالثًا: القتال أمان الفتن:

قال الله تعالى: **﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الأنفال: 39]**، وعَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ، أَتَاهُ رَجُلَانِ فِي فِتْنَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ فَقَالاَ: إِنَّ النَّاسَ صَنَعُوا وَأَنْتَ ابْنُ عُمَرَ، وَصَاحِبُ النَّبِيِّ ﷺ، فَمَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَخْرُجَ؟ فَقَالَ (**يَمْنَعُنِي أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ دَمَ أَخِي**) فَقَالاَ: أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ: **﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾**، فَقَالَ: (قَاتَلْنَا حَتَّى لَمْ تَكُنْ فِتْنَةٌ، وَكَانَ الدِّينُ لِلَّهِ، وَأَنْتُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُقَاتِلُوا حَتَّى تَكُونَ فِتْنَةٌ، وَيَكُونَ الدِّينُ لِغَيْرِ اللَّهِ")[1]، وفي رواية قَالَ: (فَعَلْنَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَانَ الإِسْلاَمُ قَلِيلًا، فَكَانَ الرَّجُلُ يُفْتَنُ فِي دِينِهِ: إِمَّا قَتَلُوهُ، وَإِمَّا يُعَذِّبُونَهُ، حَتَّى كَثُرَ الإِسْلاَمُ فَلَمْ تَكُنْ فِتْنَةٌ)[2].

فالفتنة هنا: الشرك[3]، أي: قاتلوهم حتى لا يكون شرك، ليتحقق للمسلمين حرية العقيدة، وحرية أدائهم لشعائرهم الدينية؛ فمشركو العرب لا يقبل منهم إلا الإسلام أو السيف لقوله تعالى: **﴿تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾** [الفتح: 16]، فإذا حاول المشركون أن يفتنوا المسلمين في عقيدتهم، أو أن يصدوهم عن أداء شعائرهم؛ فعلى المسلمين أن يقاتلوهم، حتى يقضوا على هذه الفتنة، بالقضاء عليهم، ليكون الدين في الجزيرة العربية خالصًا لله، حتى يأمن الإسلام في معقله من معوقات انطلاقه، وليكون الدين خالصًا لله، ولتحقيق هذا: لابد من القضاء على الفتنة القضاء التام[4].

وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ (ت: 182): **﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾، أي**: لَا يَكُونُ مَعَ دِينِكُمْ كُفْرٌ، ويشهد لهذا من حديث ابْنِ عُمَرَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ،**

---

(1) صحيح البخاري، البخاري كتاب تفسير القرآن، باب قوله: **﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلاَ عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾** [البقرة: 193] (6/ 26) رقم الحديث (4513).

(2) صحيح البخاري، البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: **﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلاَ عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾** [البقرة: 193] (6/ 26) رقم الحديث (4514).

(3)، انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية (3/ 151)، قال الإمام ابن القيم في "زاد المعاد": وأكثر السلف فسروا "الفتنة"، هنا بالشرك.

(4) انظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر (1/ 302).

فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلاَمِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ)[1]، وفيهما عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ﷺ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الرَّجُلِ يُقَاتِلُ شُجَاعَةً وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً، وَيُقَاتِلُ رِيَاءً، أَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تعالى؟ فَقَالَ: **(مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تعالى)**[2].

وَقَوْلُهُ: **﴿فَإِنِ انْتَهَوْا﴾** أي: بقتالكم عما هم فيه من الكفر فكفوا عنه، وإن لم تعلموا بواطنهم[3]، **﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾**، وكقوله: **﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾** [التوبة: 5]، وعن أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ ﷺ، يَقُولُ: (بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الحُرَقَةِ، فَصَبَّحْنَا القَوْمَ فَهَزَمْنَاهُمْ، وَلَحِقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ رَجُلًا مِنْهُمْ، فَلَمَّا غَشِينَاهُ، قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَكَفَّ الأَنْصَارِيُّ فَطَعَنْتُهُ بِرُمْحِي حَتَّى قَتَلْتُهُ، فَلَمَّا قَدِمْنَا بَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: **(يَا أُسَامَةُ، أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)** قُلْتُ: كَانَ مُتَعَوِّذًا، فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا، حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ اليَوْمِ)[4].

وَقَوْلُهُ: **﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾** [الأنفال: 40] أي: وإن استمروا على خلافكم ومحاربتكم فاعلموا أن الله مولاكم، وسيدكم وناصركم على أعدائكم فنعم المولى ونعم النصير[5].

رابعًا: فتنة الكفر الفساد الأكبر:

قال الله تعالى: **﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: 73]**، قَوله: **﴿إِلَّا تفعلوه﴾**، يَعْنِي: إن لم تقبلُوا هَذَا الحكم، والضمير عائد على الموارثة والتزامها، وقيل على المؤازرة والمعاونة، وقيل على النصر للمسلمين المستنصرين في الدين، ويجوز أن يعود الضمير مجملا على جميع ما ذكر[6].

---

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الإيمان، بابٌ: **﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾** [التوبة: 5] (1/ 14) رقم الحديث (25).

(2) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا (4/ 20) (2810).

(3) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير (7/ 78).

(4) صحيح البخاري، البخاري، كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيدٍ إلى الحرقات من جهينة (5/ 144) (4269).

(5) انظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير (4/ 49).

(6) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية (2/ 557).

وقوله: ﴿**تكن فتْنَة فِي الأَرْض**﴾، أي: "الشرك"[1]، وقيل: "بِقُوَّةِ الْكُفْر وَضَعْف الإسلام"[2]، وقيل: "المحنة بالحرب"[3]، وقوله: ﴿**وَفَسَاد كَبِير**﴾: ضعف الْإِيمَان، وظهور الشرك[4]، وقيل "سفك الدماء"[5].

فإن خالفتم وواليتموهم، تقع الفتنة في صفوفكم والفساد الكبير في الأرض، فإن لم تتجمعوا ولم تتحدوا؛ فقد يتجرأ عليكم الخصوم وتصبحون قلة هنا، وقلة هناك وتضيع هيبتكم، ولكن إذا اتحدتم، كنتم أقوياء، ليس فقط بإيمانكم، ولكن بقدرتكم الإيمانية التي تجذب غير المسلمين لهذا الدين، وينشأ الفساد الكبير حين لا يتضامن المسلمون مع بعضهم البعض؛ فيجترئ عليهم غير المسلمين ويصبحون أذلةً وهم أغلبيةٌ، ولا يهابهم أحد مع كثرة عددهم، ولا يكونون أسوة سلوكية، بل يكونون أسوة سيئة للإسلام، فتكون فرصة لأهل الكفر جميعا أن يتحدوا على الإسلام والمسلمين لقوله تعالى: ﴿**والذين كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ**﴾ [الأنفال: 73][6].

التوجيهات التربوية من خلال خطورة الفتنة على المسلمين:

1- القتال أمان الفتن؛ لأن غاية القتال أن لا يكون شرك، ليتحقق للمسلمين حرية العقيدة، وحرية أدائهم لشعائرهم الدينية.
2- فتنة الكفر الفساد الأكبر، إذا استسلم لها المؤمن، وأسلمها إلى غير أهلها.
3- الفتنة ليست مذمومة في ذاتها؛ لأنه قد يمر الإنسان بالفتنة، وينجح؛ فالفتنة إنما تضر من يخفق ويضعف عند مواجهتها.
4- الفتنة قد تكون ابتلاء أي اختبار، لا بلاء وعذاب.
5- الفتنة: إذا حلت على المقصرين في العلم والعمل والدعوة والجهاد، كانت بلاء للخاصة والعامة.
6- المسلم أينما وقع نفع البشرية في مشارقها ومغاربها؛ ليقيم عليهم حجة الإسلام بالدعوة إلى الله تعالى.

---

(1) انظر: تفسير القرآن العزيز، ابن أبي زمنين (2/ 190).
(2) انظر: تفسير الجلالين، جلال الدين محمد المحلي، وجلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ص: 239).
(3) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية (2/ 557).
(4) تفسير القرآن، السمعاني (2/ 282).
(5) انظر: بحر العلوم، السمرقندي (2/ 35).
(6) انظر: تفسير الشعراوي (8/ 4822).

المبحث الثالث: توجيهات تربوية أخلاقية

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: أهمية الإصلاح بين الناس

المطلب الثاني: الأمر بصلة الأرحام

المطلب الثالث: الأمر بوفاء العهد وعدم الخيانة

المطلب الرابع: قبول الحق وعدم المجادلة

المبحث الثالث: توجيهات تربوية أخلاقية.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: أهمية الإصلاح بين الناس.

الله ﷻ ربَّى صحابة نبيه ﷺ على إثبات الأخوة؛ بإصلاح النفس والناس والمجتمع؛ ليرتقي بهم من الدنو إلى علو الهمة في سلامة الصدر لقوله تعالى: **﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: 1]**، وعلى الألفة والمحبة والترابط لقوله: **﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: 63]**، وأيضا: على عدم التنازع من أجل متاع يغر من اتبع هواه فيبعدك عن النصر ويحقق لك الهزيمة لقوله تعالى: **﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: 46]**، وذلك يوم أن اختلفوا في النفل، وساءت أخلاقهم في الغنائم يوم بدر لحديث أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ ﷺ (ت: 86)، قَالَ: سَأَلْتُ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ ﷺ (ت: 34)، عَنِ الْأَنْفَالِ: فَقَالَ: (فِينَا مَعْشَرَ أَصْحَابِ بَدْرٍ نَزَلَتْ حِينَ اخْتَلَفْنَا فِي النَّفَلِ، وَسَاءَتْ فِيهِ أَخْلَاقُنَا، فَانْتَزَعَهُ اللهُ مِنْ أَيْدِينَا، وَجَعَلَهُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَسَمَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ عَنْ بَوَاءٍ، يَقُولُ: عَلَى السَّوَاءِ)(1).

بل دعانا تعالى إلى تحقيق السلم والسلام مع الأعداء؛ ليتحقق الأمن والأمان والسلامة والإسلام في المجتمع؛ لتنتشر الألفة والمحبة والطمأنينة في الأمة جمعاء لقوله تعالى: **﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنفال: 61].**

وقد حث الله ﷻ في هذه الآيات الكريمات على إصلاح ذات البين، وعلى الإصلاح بين المؤمنين إذا حصل بينهم ما يفرق جماعتهم، وما يكدر عليهم صفو ألفتهم، وما ذلك إلا ليبقى المجتمع المسلم مترابطًا متحابًا متآلفًا(2)، فصلاح الجماعة وقوة الأمة وعزتها مرهون بأمور ثلاثة: تقوى الله في السر والعلن، وإصلاح ذات البين، أي الحال التي يقع بها الاجتماع، وطاعة الله والرسول(3).

---

(1) مسند أحمد، أحمد، تتمة مسند الأنصار، حديث عبادة بن الصامت (37/ 410)، رقم الحديث (22747)، وقال شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره.

(2) انظر: الموسوعة العقدية، مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف (8/ 440).

(3)انظر: التفسير المنير، الزحيلي (9/ 249).

والمعنى المقصود من قوله تعالى: ﴿**وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ**﴾، أي: "تآسوا وتساعدوا فيما رزقكم الله وتفضل به عليكم"[1]، وقال الرازي (ت:606): أي: "وأصلحوا ذات بينكم من الأقوال"[2]، واتفقوا وائتلفوا ولا تنازعوا، وذات هنا بمعنى: الأحوال[3]، أي: الحال فيما بينكم بالمودّة وترك النزاع، وتسليم أمر الغنائم إلى الله ورسوله[4]، وأصلحوا ما بينكم من التشاحن، والتقاطع، والتدابر، بالتودد، والتحاب، والتواصل، فبذلك تجتمع كلمتكم، ويزول ما يحصل بسبب التقاطع من التخاصم، والتشاجر والتنازع، ويدخل في إصلاح ذات البين: تحسين الخلق لهم، والعفو عن المسيئين منهم؛ فإنه بذلك يزول كثير مما يكون في القلوب من البغضاء والتدابر[5]، وقال القرطبي (ت: 671): "الإصلاح بين الناس يكون عام في الدماء والأموال والأعراض، وفي كل شيء يقع التداعي والاختلاف فيه بين المسلمين"[6].

لكن السؤال الذي يطرح نفسه: لماذا ركز القرآن على إصلاح ذات البين؟.

لأنها أول معركة، والدولة حديثة النشء، ولو بدأ الخلاف في دولة جديدة لكانت ثغرة يدخل منها العدو إلى الإيقاع بالأمة الإسلامية، لكن الله ﷻ أمر هنا بالإصلاح حتى لا توجد ثغرة؛ لأن الخلاف دائمًا إنما يحدث بسبب المال أو بسبب العدو، فهذان أمران يحدثان الخلاف دائمًا؛ فإما أن يندس العدو داخل صفوف المسلمين فيفرق المسلمين، وإما أن يكون هناك مال يختلف عليه الناس فيكون سببًا للفرقة بين الناس.

أما لو كان الخلاف في البحث عن الحق، فذلك لا يضر، أما الخلاف بالنسبة للمال، أو بالنسبة لتدخل عدو خارجي ليفرق صفوف المسلمين إلى قسمين فهذه هي المشكلة، ولذلك دعا الله تعالى المسلمين إلى إصلاح ذات البين قبل أن يفكروا في قسمة الغنائم، ودائمًا الشيطان يدخل من هذه الثغرة التي يحدثها المال أو يحدثها العدو في صفوف المسلمين.

وبهذا قال ملا حويش آل غازي عبدالقادر (ت: 1398): "واتركوا الشقاق وكونوا متآخين مجتمعين على كلمة الحق بينكم أنفسكم وبينكم وبين ربكم ولا تستبدوا بشيء أبدا حتى يقضى لكم فيه"[7].

---

(1) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري (2/ 195).

(2) التفسير الكبير (15/ 94).

(3) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي (1/ 320).

(4) انظر: السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، الشربيني (1/ 552).

(5) انظر: فيض الرحمن تفسير جواهر القرآن، أبو يوسف محمد زايد (2/ 154).

(6) الجامع لأحكام القرآن (5/ 384).

(7) بيان المعاني (5/ 271).

التوجيهات التربوية من خلال أهمية الإصلاح بين الناس:

1- الإصلاح عبادة جليلة وخلق جميل، يحبه الله ورسوله ﷺ، وهو خير كله لقوله تعالى: ﴿**وَالصُّلْحُ خَيْرٌ**﴾ [النساء: 128].

2- بالإصلاح تكون الأمة وحدة متماسكة، يعز فيها الضعف، ويندر فيها الخلل، ويقوى رباطها، ويسعى بعضها في إصلاح بعض.

3- بالإصلاح يصلح المجتمع، وتأتلف القلوب، وتجتمع الكلمة، وينبذ الخلاف، وتزرع المحبة والمودة.

4- الإصلاح عنوان الإيمان في الإخوان لقوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ**﴾ [الحجرات: 10].

5- إذا فقد الإصلاح، هلكت الشعوب والأمم، وفسدت البيوت والأسر، وتبددت الثروات، وانتهكت الحرمات، وعم الشر القريب والبعيد.

6- الذي لا يقبل الصلح، ولا يسعى فيه، رجل قاسي القلب، قد فسد باطنه، وخبثت نيته، وساء خلقه، وغلظت كبده، فهو إلى الشر أقرب، وعن الخير أبعد.

7- المصلح قلبه من أحسن القلوب وأطهرها، نفسه تواقة للخير مشتاقة، يبذل جهده ووقته وماله من أجل الإصلاح [1].

8- إصلاح الفرد أساس العمل؛ لأن العمل للدين مسؤولية الجميع.

9- صلاح الفرد، أصل لصلاح الأسرة، وبهما معا يصلح المجتمع.

المطلب الثاني: الأمر بصلة الأرحام:

ختم الله ﷻ سورة الأنفال بالحض على الجهاد، وصلة الأرحام[2]، وبذكر الموالاة؛ ليعلم كل فريق وليه الذي يستعين به، وسمى ﷻ المهاجرين إلى المدينة بهذا الاسم، ﴿**والذين آووا ونصروا**﴾، هم الأنصار، بعضهم أولياء بعض في النصرة والمعونة، وقيل المعنى: إن بعضهم أولياء بعض في الميراث، وقد كانوا يتوارثون بالهجرة والنصرة، ثم نسخ ذلك بقوله تعالى: ﴿**وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ **[الأنفال: 75]**[3]، ومن حديث ابْن عَبَّاس ﷺ قَالَ: (آخى رَسُول الله ﷺ بَين أَصْحَابه وَورث بَعضهم من بعض حَتَّى

---

(1) انظر: إصلاح ذات البين، سلمان بن يحي المالكي (/ 1).
(2) انظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي (1/ 59).
(3) انظر: فتح القدير، الشوكاني (2/ 375)

نزلت هَذِه الْآيَة: ﴿وأولو الْأَرْحَام بَعْضهمْ أولى بِبَعْض فِي كتاب الله﴾ فتركوا ذَلِك، وتوارثوا بِالنّسَبِ)[1]، وأيضا: عن ابن عبَّاس ﷺ (ت: 68) قال: (قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا﴾ [الأنفال: 74]، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا﴾ [الأنفال: 72] فكان الأعرابيُّ لا يرثُ المُهاجِرَ، ولا يرثُه المهاجرُ، فنسختْها، فقال تعالى: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾ [الأنفال: 75])[2]، وأيضا: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، (قِيلَ لَهُ إِنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ ﷺ لَا يُوَرِّثُ الْمَوَالِي دُونَ ذَوِي الأَرْحَامِ، وَيَقُولُ: إِنَّ ذَوِي الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ﷺ (ت: 68): "هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ أَيْنَ ذَهَبَ؟ إِنَّمَا كَانَ الْمُهَاجِرُونَ يَتَوَارَثُونَ دُونَ الأَعْرَابِ" فَنَزَلَتْ: ﴿وأولو الْأَرْحَام بَعْضهمْ أولى بِبَعْض فِي كتاب الله﴾، يَعْنِي: أَنَّهُ يُوَرِّثُ الْمَوْلَى)[3].

وقال محمد الأمين الهرري (1348) في قوله تعالى: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ﴾، أي: أصحاب القرابات والأرحام، والأرحام جمع رحم، وأصله: رحم المرأة، وهو موضع تكوين الولد، وسمي به الأقارب لأنهم من رحم واحد، أي: وأولوا الأرحام، وأصحاب القرابات ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَى﴾ وأحق ﴿بِبَعْضٍ﴾ من المهاجرين والأنصار الأجانب في التناصر والتعاون والتوارث في دار الهجرة في ذلك العهد وفي كلِّ عهد ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾، أي: في حكمه الذي كتبه، وأوجبه على عباده المؤمنين، من صلة الأرحام، والوصية للوالدين، وذي القربى، أولى من غيره من المؤمنين، بولاء قريبه وبره، ومقدم عليه في جميع الولايات المتعلقة به، وإذا وجد قريبٌ وبعيد يستحقان البر والصلة؛ فالقريب أولى كما قال تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ﴾ [النساء: 36]، وقوله: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [الأنفال: 41]، أي: أن الله ﷻ يأمركم أن تراعوا القرابة التي بينكم وبينه، وهذا الخطاب لقريش الذين تربطهم بالنبي ﷺ قرابات، ومعلوم ما من بطن من بطون قريش، إلا وبينهم وبين النبي ﷺ قرابة، ثم باقي الناس يطلب منهم صلة الأرحام ويقول من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ ﷺ: **(إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ، أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الْآخَرِ، كِتَابُ اللهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، وَعِتْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي، وَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا**

---

(1) الصحيح المسند من أسباب النزول، مقبل بن هادي الوادعي (ص: 105)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (7/ 28)، رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح.

(2) سنن أبي داود، أبو داود، باب نسخ ميراث العقد بميراث الرحم، باب في تعليم الفرائض (4/ 549) رقم الحديث (2924)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن، وقال الألباني: حديث حسن صحيح، انظر: صحيح سنن أبي داود، الألباني (8/ 278).

(3) تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم (5/ 1743)، والمستدرك على الصحيحين، الحاكم، كتاب الفرائض (4/ 382) رقم الحديث (8001)، وقال الحاكم: هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ)[1]، ولقوله تعالى: **﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾** [الشورى: 23][2]، وعَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ: (أَعْتَقَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عُذْرَةَ عَبْدًا لَهُ عَنْ دُبُرٍ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: **(أَلَكَ مَالٌ غَيْرُهُ)**، فَقَالَ: لَا، فَقَالَ: **(مَنْ يَشْتَرِيهِ مِنِّي)**، فَاشْتَرَاهُ نُعَيْمُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْعَدَوِيُّ بِثَمَانِ مِائَةِ دِرْهَمٍ، فَجَاءَ بِهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: **(ابْدَأْ بِنَفْسِكَ فَتَصَدَّقْ عَلَيْهَا، فَإِنْ فَضَلَ شَيْءٌ فَلِأَهْلِكَ، فَإِنْ فَضَلَ عَنْ أَهْلِكَ شَيْءٌ فَلِذِي قَرَابَتِكَ، فَإِنْ فَضَلَ عَنْ ذِي قَرَابَتِكَ شَيْءٌ فَهَكَذَا وَهَكَذَا)** يَقُولُ: فَبَيْنَ يَدَيْكَ وَعَنْ يَمِينِكَ وَعَنْ شِمَالِكَ)[3]، أي: فللمستحق من الأجانب[4]، وبهذا قال ابن كثير (ت:774): "والحق أن الآية عامة تشمل جميع القرابات، كما نص عليه ابن عباس ﷺ ومجاهد (ت: 104) وعكرمة (ت: 105) والحسن (ت:110) وقتادة (ت: 117) وغير واحد، على أنها ناسخة للإرث، بالحلف والإخاء، اللذين كانوا يتوارثون بهما أولًا، وعلى هذا فتشمل ذوي الأرحام بالاسم الخاص"[5].

التوجيهات الربوية من خلال الأمر بصلة الأرحام:

1- ختم الله ﷻ سورة الأنفال بالحض على الجهاد، وصلة الأرحام.
2- آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه وورث بعضهم من بعض حتى نزل قوله تعالى: **﴿وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾** فتركوا ذلك، وتوارثوا بالنسب.
3- الحث عل صلة الأرحام؛ لإنهم أصل للرحم الواحدة.

المطلب الثالث: الأمر بوفاء العهد وعدم الخيانة.

أمر الله ﷻ برعاية المعاهدات والوفاء بها، ما دامت الأطراف الثانية ترعاها وتحفظها، كما حذر ﷻ في الوقت نفسه المسلمين من الغفلة عن عدوهم، والاعتماد على عهودهم ومواثيقهم معه في الآيات التالية.

---

(1) مسند أحمد، أحمد، مسند أبي سعيدٍ الخدري ﷺ، مسند المكثرين من الصحابة (17/ 170) رقم الحديث(11104)، وقال شعيب الأرنؤوط، حديث صحيح بشواهده، وقال الألباني: صحيح، انظر: صحيح وضعيف سنن الترمذي، الألباني (8/ 288).

(2) انظر: حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (11/ 103).

(3) صحيح مسلم، مسلم، باب الابتداء في النفقة بالنفس ثم أهله ثم القرابة، كتاب الزكاة (2/ 692) رقم الحديث (41).

(4) انظر: تفسير أحمد حطيبة، أحمد حطيبة (423/ 4).

(5) تفسير القرآن العظيم (7/ 133).

أولًا: احترام المعاهدات من الشريعة الإسلامية:

شرع الله ﷻ إلى جانب الجهاد والقتال، قيام العهود والمواثيق بين المجتمع المسلم، وبين المجتمعات الأخرى لقوله تعالى: **﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ [الأنفال: 56]**، أي: أخذت عهودهم ومواثيقهم أن لا يحاربوك، ولا يظاهروا عليك محاربًا لك، كقريظة ونظرائهم ممن كان بينك وبينهم عهد وعقد، **﴿ثُمَّ يَنْقُضُونَ﴾**، عهودهم ومواثيقهم، كلما عاهدوك وواثقوك، حاربوك وظاهروا عليك، **﴿وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾**، ولا يخافون في فعلهم ذلك أن يوقع بهم وقعة تجتاحهم وتهلكهم[1].

فاليهود: من بني قينقاع أو النضير أو قريظة أو الجميع بحسب التوزيع، غادرون بمن ائتمنهم، خائنو الأمانة، ناقضو العهود أو العقود والمواثيق، وكم أخذ الله الميثاق منهم ومن آبائهم، فنقضوه، وأكثرهم لا يؤمنون بالتوراة، وليسوا من الدين في شيء، فلا يعدون نقض المواثيق ذنبا، ولا يبالون به؛ فكل منهم نقض ما كان أخذ عليه ﷺ من العهود، وأخلف ما كان أكده من الوعود، فعن ابن عباس ﵄ (ت: 68)، وقتادة (ت: 117) قالا: (إن قريظة عاهدوا النبي محمد ﷺ أن لا يحاربوه، ولا يعينوا عليه عدوه، ثم نقضوا عهدهم؛ فأمدوا المشركين بالسلاح والعدة يوم بدر، واعتذروا فقالوا: نسينا وأخطأنا، ثم عاهدوه أن لا يعودوا لمثل ذلك؛ فنكثوا عهدهم يوم الخندق، ومالوا مع الأحزاب، وأمدوهم بالسلاح والأدراع)[2].

وهاهم في أيامنا هذه، ينقضون العهود والمواثيق والاتفاقيات، التي بينهم وبين الفلسطينيين أو السوريين أو المصريين أو البنانيين أو العرب قاطبة في المنطقة؛ فيعتدون مرة بالطائرات أو الدبابات أو السلاح أو الضرب، وأخرى يسرقون خيرات البلاد والعباد، وأخري يضمون أراضي العرب إلى مستوطناتهم، ومرة يسجنون ويحبسون، وأخري يغلقون المعابر، والممرات، والبحار، ومعابد المسلمين؛ فيتحكمون بهم باسم محاربة الإرهاب.

ولما كان العهد جديرًا بالوفاء ولا سيما من العلماء، عبر بقوله: **﴿ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ﴾**، أي: يجددون نقضه؛ ثم عظم الشناعة عليهم بقوله: **﴿فِي كُلِّ مَرَّةٍ﴾**، والمراد بكل مرة من المرات التي يحق فيها الوفاء بما عاهدوه عليه، سواء تكرر العهد، أم لم يتكرر، لأن العهد الأول يقتضي الوفاء كلما دعا داع إليه[3].

---

(1) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري (14/ 21).

(2) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (10/ 48).

(3) انظر: المرجع نفسه (10/ 48).

ثم نبه على رضائهم من رتبة الشرف؛ بعدم الخوف من عاقبة الغدر بقوله: ﴿وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾، أي: ذم الناس لهم على ذلك، ولا يخافون من عقاب الله في الدنيا، ولا في الآخرة؛ بأن يخزيهم ثم يركسهم، بعد المناداة بالعار في النار[1].

فاحفظوا أيها المسلمون هذا الميثاق لقوله: ﴿إلاَّ على قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيثَاقٌ﴾ [الأنفال: 72]؛ لأن نقض العهود الميثاقية، ليس من تعاليم الدين الإسلامي، ولكن ما دام بينكم وبينهم ميثاق؛ فيجب أن تتم التسوية عن طريق التفاهم؛ فعليكم احترام ما اتفقتم وتعاهدتم عليه[2].

وهذا يوضح لنا أن الكفر لا يأتي بخير أبدًا، والكفار أكثر الخلق شرًا وضررًا، وأقرَّ ﷻ هذا المعنى محذرا من غدرهم وشرهم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنفال: 55].

ثانيًا: كيفية التعامل مع ناقضي العهد:

بين ﷻ كيفية التعامل معهم في حالة نقض عهدهم بقوله تعالى: ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ﴾، أي: فإن تجد يا محمَّد هؤلاء الناقضين لعهدهم معك ﴿فِي الْحَرْبِ﴾؛ أي: في أثناء الحرب؛ فإمَّا تصادفنهم أو تظفر بهم في الحرب، وتتمكن منهم ﴿فَشَرِّدْ بِهِمْ﴾؛ أي: فَفَرِّق وخَوِّف بسبب تنكيلك بهم وعقوبتك لهم ﴿مَنْ خَلْفَهُمْ﴾؛ أي: من ورائهم؛ أي: من سواهم من سائر الكفار الذين يريدون محاربتك، كأهل مكة ﴿لَعَلَّهُمْ﴾؛ أي: لعل الذين خلفهم ﴿يَذَّكَّرُونَ﴾؛ أي: يتعظون بما يقع لهؤلاء الناقضين من التعذيب، ولعل من خلفهم من الأعداء يذكرون النكال، فيمنعهم ذلك من نقض العهد ومن القتال، قال بذلك ابن عباس، والحسن البصري (ت: 110)، والضحاك (ت: 105)، والسدي (ت: 127)، وعطاء الخراساني (ت: 135)، وابن عيينة (ت: 198)، ومعناه: "غلظ عقوبتهم وأثخنهم قتلا ليخاف من سواهم من الأعداء، من العرب وغيرهم، ويصيروا لهم عبرة"[3].

أمر الله رسوله ﷺ بالإثخان في هؤلاء الأعداء، الذين تكررت مسالمته لهم، وتجديده لعهدهم بعد نقضه؛ لئلا ينخدع مرةً أخرى بكذبهم؛ لِما جبل عليه من الرحمة، وحب السلم[4].

---

(1) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي (8/ 309).

(2) انظر: تفسير الشعراوي (8/ 4822).

(3) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (4/ 78).

(4) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا (10/ 44).

ثالثًا: الخدعة في الحرب لا في العهد:

قال الله تعالى: **﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ [الأنفال: 58]، قوله: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً﴾**، يعني من قوم معاهدين خيانة ونكثا بأمارات ظاهرة **﴿فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ﴾**، أي: فاطرح إليهم العهد على طريق مستوٍ ظاهر، وذلك أن تظهر لهم نبذ العهد، وتخبرهم إخبارا مكشوفا بينا، أنك قطعت ما بينك وبينهم، ولا تبادرهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد، فيكون ذلك خيانة منك **﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾**، الناقضين للعهد والغادرين، مهما كانوا ولو كانوا من المسلمين.

إن الإسلام يعاهد ليصون عهده؛ فإذا خاف الخيانة من غيره، نبذ العهد القائم جهرة وعلانية، ولم يخن، ولم يغدر، ولم يغش، ولم يخدع، وصارح الآخرين؛ بأنه نفض يده من عهدهم، وبذلك يرتفع الإسلام بالبشرية إلى آفاق من الشرف والاستقامة، وإلى آفاق من الأمن والطمأنينة، إنه لا يبيّت الآخرين بالهجوم الغادر الفاجر، وهم آمنون مطمئنون إلى عهود ومواثيق، لم تنقض، ولم تنبذ، ولا يروّع الذين لم يأخذوا حذرهم حتى وهو يخشى الخيانة من جانبهم؛ فأما بعد نبذ العهد فالحرب خدعة، لأن كل خصم قد أخذ حذره؛ فإذا جازت الخدعة عليه، فهو غير مغدور به إنما هو غافل، وكل وسائل الخدعة حينئذ مباحة لأنها ليست غادرة[1].

رابعًا: آثار نقض العهد:

1- أن تظهر ظهورًا محتملًا: وجب الإعلام على ما هو مذكور في هذه الآية، وذلك لأن قريظة، عاهدوا النبي ﷺ، ثم أجابوا أبا سفيان ومن معه من المشركين إلى مظاهرتهم على رسول الله ﷺ؛ فحصل لرسول الله ﷺ خوف الغدر منهم به وبأصحابه.
2- أن تظهر ظهورا مقطوعا به: فههنا، لا حاجة إلى نبذ العهد، كما فعل رسول الله ﷺ بأهل مكة؛ فإنهم لما نقضوا العهد؛ بقتل خزاعة، وهم في ذمة النبي ﷺ، وصل إليهم جيش رسول الله ﷺ على أشراف مكة[2].

---

(1) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (3/ 1542).

(2) انظر: التفسير الكبير، الرازي (15/ 497).

التوجيهات التربوية من خلال الأمر بوفاء العهد وعدم الخيانة:

1- استعمال القوة مع الناقضين للعهد والبادئين بالحرب والتنكيل بهم لتشريد من وراءهم، أمر لا بد منه للعظة والاعتبار، حتى لا يعودوا إلى مثلها هم ولا غيرهم، ولا يزال الأمر كذلك في هذا العصر، وإن كانوا يريدون به الانتقام وشفاء ما في الصدور من الأحقاد، والتمتع بالمغانم من مال وعقار[1].
2- أمر الله ﷻ برعاية المعاهدات والوفاء بها، ما دامت الأطراف الثانية ترعاها وتحفظها، وفي الوقت نفسه حذر المسلمين من الغفلة عن عدوهم، والاعتماد على عهودهم ومواثيقهم.
3- الخدعة في الحرب في شريعة الإسلام؛ لا في العهد من العهود والمواثيق والأمانات.
4- الحرب ليست محبوبة عند الله، ولا عند رسوله، وإنما هي ضرورة يراد بها منع البغي والعدوان، وإعلاء كلمة الحق ودحض الباطل.
5- شرع الله ﷻ إلى جانب الجهاد والقتال، قيام العهود والمواثيق بين المجتمع المسلم، والمجتمعات الأخرى.
6- شر الدواب الذين ينقضون عهد الله وميثاقه.

المطلب الرابع: قبول الحق وعدم المجادلة.

وعد الله تعالى المؤمنين إحدى الطائفتين، العير أو النفير من غير تعيين، فتعلقت آمالهم بطائفة العير القادمة من الشام؛ لأنها كسب عظيم لهم، لا يحتاج إلى مشقة كبيرة، في إحرازه والحصول عليه لضعف حاميته، ولذلك لم يستعدوا للقاءِ العدو، وتخلف كثير من الصحابة بالمدينة، ثم ظهر لهمَ أنَّها فاتتهم وهربت إلى مكة، وأَن طائفة النفير قد خرجت من مكة بكل ما عند قريش من قوة، وقد قربتَ منهم، وأَنه تعيّن عليهم قتالها، وأَنها هي الطائفة التي وعدهم الله تعالى؛ لأَنه لم يبق غيرها، فصعب على بعضهم لقاؤها لقلة عددهم وعُدَدِهم، ولعدم استعدادهم، فجادلوا في الحق لقوله تعالى: **﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾** [الأنفال:6]، أي: يراجعونك في الحق، أي: "في القتال، ويريدون العير"[2]؛ للتبيين لا أنهم يخالفون، ثمُّ بين عظم المشقة من عبارات الإقدام على لقاءِ العدو **﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾**، أَي: كأنهم لفرط جزعهم ورعبهم، يساقون إلى الموت سوقا لا مهرب

(1) انظر: حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، الهرري (11/ 55).
(2) شرح الكلمات وما ترشد إليه الآيات، محمد غازي الدروبي (9/ 1).

منه، وهم ينظرون إليه بأعينهم، ولم يكن القوم ألفوا الجهاد؛ فإن ذلك كان مبدأ الأمر بالقتال، ولم يدر بخلدَهم أَن الله تعالى وعد رسوله والمؤمنين الظفر بالمشركين[1]، وأن ذلك يؤدي إلى إلقاء الرعب في قلوب أَعدائهم، وإلى الخيرات من الغنائم وغيرها[2]، وهذه الكراهية، كراهية طبعيّه، وليست كراهية شرعية [3].

فالمجادلة والمراجعة في المصالح الحربية والسياسية قبل أن يتبين الحق فيها محمود، إذ بها تتم المشاورة التي عمل بها النبي ﷺ في مواطن كثيرة منها[4]:

عندما خرجوا إلى العير، ونظر النبي محمد ﷺ إلى هذا التطور الخطير المفاجئ؛ فعقد رسول الله ﷺ مجلسًا عسكريًا استشاريًا أعلى، أشار فيه إلى الوضع الراهن، وتبادل فيه الرأي مع عامة جيشه، وقادته، وحينئذ تزعزع قلوب فريق من الناس، وخافوا اللقاء الدامي، وأما قادة الجيش[5]: (فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ فَأَحْسَنَ، ثُمَّ قَامَ عُمَرُ ﷺ فَقَالَ فَأَحْسَنَ، ثُمَّ قَامَ الْمِقْدَادُ بْنُ عَمْرٍو ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، "امْضِ لِمَا أُمِرْتَ بِهِ فَنَحْنُ مَعَكَ، وَاللهِ لَا نَقُولُ لَكَ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى عليه السلام: **﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾** [المائدة: 24]، وَلَكِنِ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا، إِنَّا مَعَكُمَا مُقَاتِلُونَ، نُقَاتِلُ عَنْ يَمِينِكَ، وَعَنْ شِمَالِكَ، وَبَيْنَ يَدَيْكَ وَخَلْفَكَ[6]؛ فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، لَوْ سِرْتَ بِنَا إِلَى بَرْكِ الْغِمَادِ، لَجَالَدْنَا مَعَكَ مَنْ دُونَهُ حَتَّى تَبْلُغَهُ"[7]، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ **(خَيْرًا، وَدَعَا لَهُ بِهِ، ثُمَّ قَالَ: أَشِيرُوا عَلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ)**، وَإِنَّمَا يُرِيدُ الْأَنْصَارَ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ عَدَدُ النَّاسِ، وَكَانُوا حِينَ بَايَعُوهُ بِالْعَقَبَةِ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا بُرَآءُ مِنْ ذِمَامِكَ حَتَّى تَصِلَ إِلَى دَارِنَا، فَإِذَا وَصَلْتَ إِلَيْنَا، فَأَنْتَ فِي ذِمَمِنَا، نَمْنَعُكَ مِمَّا نَمْنَعُ مِنْهُ أَنْفُسَنَا وَأَبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا، فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَتَخَوَّفُ أَنْ لَا تَكُونَ الْأَنْصَارُ تَرَى أَنَّ عَلَيْهَا نُصْرَتَهُ إِلَّا بِالْمَدِينَةِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَسِيرَ بِهِمْ إِلَى عَدُوٍّ بِغَيْرِ بِلادِهِمْ، فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ ﷺ: وَاللهِ

---

(1) انظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر (3/ 1587).

(2) انظر: تنزيه القرآن عن المطاعن، أبو الحسين المعتزلي (ص: 158).

(3) انظر: سلسلة الإيمان والكفر، المقدم (17/ 3).

(4) انظر: المفصل في موضوعات سور القرآن، علي بن نايف الشحود (ص: 412).

(5) انظر: الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري (ص: 188).

(6) صحيح البخاري، البخاري، باب قول الله تعالى **﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾** [الأنفال: 10]، كتاب المغازي (5/ 73) رقم الحديث (3952).

(7) مسند أحمد، أحمد، مسند أنس بن مالكٍ ﷺ، مسند المكثرين من الصحابة (19/ 79) رقم الحديث (12022)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

لَكَأَنَّكَ يَا رَسُولَ اللهِ تُرِيدُنَا؟ قَالَ: **(أَجَلْ)**، فَقَالَ سَعْدٌ ﷺ: "قَدْ آمَنَّا بِكَ وَصَدَّقْنَاكَ، وَشَهِدْنَا أَنَّ مَا جِئْتَ بِهِ حَقٌّ، وَأَعْطَيْنَاكَ عَلَى ذَلِكَ عُهُودَنَا وَمَوَاثِيقَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فَامْضِ يَا رَسُولَ اللهِ لِمَا أَرَدْتَ، فَنَحْنُ مَعَكَ، فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، لَوِ اسْتَعْرَضْتَ بِنَا هَذَا الْبَحْرَ، لَخُضْنَاهُ مَعَكَ، مَا تَخَلَّفَ مِنَّا وَاحِدٌ، وَمَا نَكْرَهُ أَنْ نَلْقَى عَدُوَّنَا غَدًا، إِنَّا لَصُبُرٌ عِنْدَ الْحَرْبِ، صُدُقٌ عِنْدَ اللِّقَاءِ، وَلَعَلَّ اللهَ يُرِيكَ مِنَّا مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنُكَ فَسِرْ بِنَا عَلَى بَرَكَةِ اللهِ"، فَسُرَّ بِذَلِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(سِيرُوا وَأَبْشِرُوا، فَإِنَّ الله تعالى قَدْ وَعَدَنِي إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ، وَاللهِ لَكَأَنِّي أَنْظُرُ الْآنَ مَصَارِعَ الْقَوْمِ)**، فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ)[1].

التوجيهات التربوية من خلال قبول الحق وعدم المجادلة:

1- الخير والمصلحة فيما أمر الله به، وليس فيما يرى الإنسان، فقد يرى ما هو ضار نافعا، وما هو نافع ضارا.

2- أراد الله في بدر أن يجمع بين المؤمنين القلة، وبين الكافرين الكثرة أهل الشوكة والقتال؛ لينصرهم عليهم، ويظهر دينه، ويحق الحق أبدًا.

3- القائد دائما ينظر إلى الأمور نظرة عامة، فيها توسع ومآلات، بخلاف الجندي فإنه ينظر بين يديه، وهذا ما حصل في معركة بدر.

4- تربية الله للمؤمنين، على السمع والطاعة في المكره والمنشط.

5- المؤمن قد يخاف من أن يموت من عدوه، لكن لا يفر من عدوه ويترك المسلمين لوحدهم.

6- مشروعية الجدال والتشاور في المصالح الدنيوية؛ للإعلام والوصول إلى الحقيقة والطمأنينة.

7- تشجيع القائد والقيادة، على فعل الخير وترك المنكر.

8- توجيه سلوك المسلمين في اختلافهم فيما بينهم ومع غيرهم؛ ليكون بقصد الوصول إلى الحق، وبأساليب تجمع ولا تفرق، وتقرب ولا تبعد، وعندما لا يكون الجدل نافعًا فيعرض عنه إلى غيره فهو وسيلة لا غاية[2].

---

(1) انظر: الجامع الصحيح للسنن والمسانيد، صهيب عبد الجبار (14/ 411).

(2) انظر: الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل، علي بن نايف الشحود (7/ 54).

المبحث الرابع: الأساليب الواردة في التوجيهات التربوية المنثورة في هذا الفصل

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أسلوب ضرب المثل

المطلب الثاني: أسلوب النهي

المبحث الرابع: الأساليب الواردة في التوجيهات التربوية المنثورة في هذا الفصل.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أسلوب ضرب المثل.

أولًا: ضرب المثل لغة واصطلاحًا:

1- **ضرب المثل لغة:** المثل والمثيل: كالمثل، والجمع أمثال، وهما يتماثلان؛ وقولهم: فلان مستراد لمثله وفلانة مستزادة لمثلها، أي: مثله يطلب(1).

2- **ضرب المثل اصطلاحا:** قول محكي سائر يقصد به تشبيه حال الذي حُكِي فيه بحال الذي قيل لأجله، أي يشبه مضربه بمورده(2).

ثانيًا: ورود الآيات الواردة في أسلوب ضرب المثل:

ضرب الأمثال في القرآن ليس للتسلية والترفيه، وإنما هو للدلالة على التخويف من موعود قد وقع مثله من قبل، وسيقع مثله من بعد نزول القرآن ومن هذه الآيات:

1- قال الله تعالى: ﴿**وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ**﴾ [الأنفال: 31]، أي: جميع الآيات التي فيها ضرب للأمثال مع الغيبيات، إنما غايتها بيان أسرار النظم الإلهي وإبطال الحجج الواهية، وتأديب البشر في نظمه واختيار كلماته ومعانيه، ولإخراس المشركين ومن سار على دربهم إلى أبد الآبدين(3).

2- قال الله تعالى: ﴿**وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ [الأنفال: 25]، الشرط في ضرب المثل أن يكون على وِفق الممثل له من الجهة التي يتعلق بها التمثيل في العظم والصغر والشرف، وفائدته كشف المعنى الممثل له، ورفع الحجاب عنه، وإبرازه في صورة المشاهد المحسوس ليساعد فيه الوهم العقل؛

---

(1) انظر: لسان العرب، ابن منظور (11/ 611).

(2) انظر: مباحث في علوم القرآن، مناع القطان (ص: 291).

(3) انظر: القول المعتبر في بيان الإعجاز للحروف المقطعة من فواتح السور، إياس محمد حرب آل خطاب (ص: 25).

فإن المعنى الصرف إنما يدركه العقل مع منازعة من الوهم، لأن من طبعه ميل الحس وحبّ المحاكاة، وإنما يضرب بما فيه غرابة[1].

3- قال الله تعالى: **﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (22) وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾** [الأنفال: 22، 23]، فالسمع المفيد لصاحبه هو سمع القلب، فهذه الحيوانات كما أنها لا تعقل ما يقال لها وإن كانت تسمع صوتًا، فالكافرون كذلك، يسمعون آيات الله تتلى عليهم فيلتفت بعضهم إلى بعض ويقولون: **﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾** [البقرة:26]، مع أن الأمثال كما يقول العلماء من باب المبين، يعني: لا يوجد أوضح من هذا، إذا طلبت توضيح الواضح[2].

4- قال الله تعالى: **﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾** [الأنفال: 41]، وضرب على ذلك الأمثال بغزوة بدر، حيث التقى فيها جند الرحمن بجند الشيطان، وكانت النتيجة اندحار الكافرين مع كثرتهم وانتصار المؤمنين مع قلتهم، فلم تنفعهم الأموال ولا الأولاد، ثم أعقب تعالى ذلك بذكر شهوات الدنيا، ومُتع الحياة التي يتنافس الناس فيها، ثم ختمها بالتذكير بأن ما عند الله خير للأبرار[3].

5- قال الله تعالى: **﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾** [الأنفال: 52]، وقوله تعالى: **﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ﴾** [الأنفال: 54]، قال السدي (ت: 127): "ذكر الذين كفروا وأفعال تكذيبهم؛ كمثل تكذيب الذين من قبلهم في الجحود والتكذيب"[4]، وهذا فيه توكيد إنذاري للكافرين بأسلوب مطلق، وتذكير بما كان من أمر فرعون ومن قبله حيث أخذهم الله لأنهم كذبوا بآياته، ثم أمر للنبي ﷺ بإنذار الكفار بأنهم سيغلبون في الدنيا ويحشرون إلى جهنّم في الآخرة، وبتذكيرهم بما كان من نصر الله للفئة المؤمنة القليلة على الفئة الكافرة الكثيرة حينما التقتا وتقاتلتا[5].

---

(1) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي (1/ 62).

(2) انظر: مستفاد من محاضرة أبي إسحاق الحويني (ص: 118).

(3) انظر: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، الهرري (4/ 196).

(4) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري (5/ 236).

(5) انظر: التفسير الحديث، دروزة محمد عزت (7/ 123).

المطلب الثاني: أسلوب النهي.

وفيه مطلبان:

أولًا: النهي لغة واصطلاحا:

1- **النهي لغة:** ضد الأمر[1]، ونهاه ينهاه نهيا فانتهى وتناهى، أي كف[2].

2- **النهي اصطلاحًا:** يقابل الأمر عكسًا، وهو استدعاء الترك بالقول على وجه الاستعلاء، ولكل مسألة من الأوامر وزانٌ[3] من النواهي بعكسها[4]، وقيل: وهو قول القائل لمن دونه لا تفعل[5].

ثانيًا: من أساليب النهي في سورة الأنفال عدة آيات على سبيل المثال:

1- إطلاق النهي عن الفرار الواقع في قوله: **﴿فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ﴾** [الأنفال: 15]، هو من هذه الناحية التشريعية[6]، أي: لا تجعلوا ظهوركم مما يليهم **﴿وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ﴾** [الأنفال: 16]، يعني: يوم لقاء الكفار، **﴿إِلا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ﴾** [الأنفال: 16]، أي: منعطفا كأنه يطلب عودة يمكنه إصابتها، ينحرف عن وجهه ويرى أنه منهزم، ثم يكر، أو متحيزا أي: متنحيا منضما إلى فئة جماعة من المسلمين يريدون العودة إلى القتال، ومعنى الآية: النهي عن الانهزام بين يدي الكفار إلا أن يكون متحرفا لقتال أو منضما إلى جماعة يعودون للقتال، فإذا انهزم ونوى التحيز إلى فئة من المسلمين ليستعين بهم ويعود إلى القتال لم يلحقه هذا الوعيد[7].

2- قال الله تعالى: **﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾** [الأنفال: 20]، ثنَّى الله تعالى في الأمر، وأفرَد في النهي، تحرُّزًا بالإفراد عن الإخلال بالأدب من النبي ﷺ، وعن نهيه الكفار في قِرانه بين اسمه ﷺ، واسم الله تعالى، في

---

(1) مختار الصحاح، الرازي (ص: 320).

(2) لسان العرب، ابن منظور (15/ 343).

(3) ذاك، المصباح المنير، أحمد الفيومي المقري (ص: 339).

(4) تيسير الوصول إلى قواعد الأصول ومعاقد الفصول، عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي الحنبلي (ص: 227).

(5) موسوعة مصطلحات ابن خلدون والشريف علي محمد الجرجاني، رفيق العجم (2/ 492).

(6) التحرير والتنوير، ابن عاشور (10/ 68).

(7) الوسيط في تفسير القرآن المجيد، الواحدي (2/ 448).

ذكرهما بلفظٍ واحدٍ[1]، و﴿**أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ**﴾، أي: أطيعوا الله ورسوله في كل أحوالكم عن إخلاص وإذعان، وإياكم أن تتشبهوا بأولئك الكافرين والمنافقين الذين ادعوا السماع فقالوا سمعنا، والحال أنهم لم يسمعوا سماع تدبر واتعاظ؛ لأنهم لم يصدقوا ما سمعوه، ولم يتأثروا به، بل نبذوه وراء ظهورهم ﴿**وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ**﴾، والحال أنكم تسمعون القرآن الناطق بوجوب طاعته، والمواعظ الزاجرة عن مخالفته ﴿**وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ**﴾، جملة حالية مسوقة لتأكيد وجوب الانتهاء عن التولي مطلقا، لا لتقييد النهي عنه بحال السماع[2].

3- قال الله تعالى: ﴿**وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ**﴾ [الأنفال: 21]، تأكيد لما قبله، ونهي لهم عن التشبه بالضالين والمنافقين؛ فالمنفي في قوله تعالى: ﴿**وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ**﴾، سماع خاص، وهو سماع التدبر والاتعاظ، لكنه جيء به على سبيل الإطلاق، للإشعار بأنهم قد نزلوا منزلة من لم يسمع أصلا، بجعل سماعهم بمنزلة العدم، حيث إنه سماع لا وزن له، ولا فائدة لهم من ورائه، مع أنهم لو فتحوا آذانهم وقلوبهم للحق لاستفادوا، ولكنهم آثروا الغي على الرشد[3].

4- قال الله تعالى: ﴿**وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا**﴾ [الأنفال: 46]، فيه إخبار واضح، ونهي جازم، وسنة ثابتة، يدل على أن الفشل والتراجع على مستوى الأمة أو الأفراد إنما مرجعه إلى التنازع والاختلاف؛ إذ العلاقة بين الأمرين علاقة تلازمية، كعلاقة السبب بالمسبَّب تمامًا، وعلى ما تقدم، فإن النهي عن التنازع يقتضي الأمر بمنع أسباب التنازع وموجباته، من شقاق واختلاف وافتراق؛ والأمر بتحصيل أسباب التفاهم ومحصلاته، من تشاور وتعاون ووفاق، وبالثبات وبكثرة الذكر، وبطاعة الله والرسول[4].

5- لما كان التنازع من شأنه أن ينشأ عن اختلاف الآراء والتوجهات، وهو أمر مركوز في الفطرة والجِبِلّة البشرية، بسط القرآن القول فيه ببيان سيئ آثاره، ومغبة مآله، ورتب عليه في الآية هنا أمرين: الفشل ﴿**فتفشلوا**﴾، وذهاب القوة ﴿**وتذهب ريحكم**﴾، النهي عن التنازع؛ لأنه مدعاة للفشل، والخيبة، وتشتيت القلوب، وانحلال العزيمة، وذهاب القوة[5]، ولأنه يُثير التباغض والشحناء، ويُزيل التعاون والألفة بين النفوس، ويدفع بها إلى أن يتربص بعضها ببعض، ويمكر كل طرف بالآخر، مما يُطْمِع الأعداء فيها، ويشجعهم

---

(1) فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، زكريا الأنصاري (1/ 217).

(2) التفسير الوسيط، الطنطاوي (6/ 70).

(3) المرجع نفسه (6/ 70).

(4) تفسير المنار (10/ 23).

(5) الأنوار الساطعات لآيات جامعات، عبد العزيز بن محمد السلمان (ص: 84).

على النيل منها، ويجرئهم على خرق حرماتها، واختراق محارمها، وكم أُتيت أمة الإسلام على مر تاريخها القديم والحديث من جهة التنازع والتباغض.

فما يتنازع الناس إلا حين تتعدد توجيهات القيادة، من كثرة الأحزاب المختلفة في الفكر والأسلوب، وحين يكون الهوى المطاع هو الموجِّه الأساس للآراء والأفكار، فإذا استسلم الناس لأمر الله ورسوله، وجعلوا أهواءهم على وَفْق ما يحب الله ورسوله، انتفى النزاع والتنازع بينهم، وسارت الأمور على سَنَنِ الشرع الحنيف، وضُبطت بأحكامه وتوجيهاته.

6- قال الله تعالى: **﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾** [الأنفال: 47]، جملة: **﴿وَلَا تَكُونُوا﴾**، معطوفة على **﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا﴾** [الأنفال: 46]، وهو عطف نهي على نهي، ونهي المؤمنين أن يكونوا أمثالَهم مرائين بطِرين وأُمروا بالتقوى والإخلاص من حيث إن النهيَ عن الشيء مستلزِمٌ للأمر بضده[1]، وهذا تابع للبلاغيّين القدماء في ذهابهم إلى أنَّ النهي عن الشيء يوجب الأمر بنقيضه[2].

وجيء في نهيهم عن البطر والرئاء والصد بطريقة النهي عن التشبه بالمشركين إدماجا للتشنيع بالمشركين وأحوالهم، وتكريها للمسلمين تلك الأحوال، لأن الأحوال الذميمة تتضح مذمتها، وتنكشف مزيد الانكشاف إذا كانت من أحوال قوم مذمومين عند آخرين، وذلك أبلغ في النهي، وأكشف لقبح المنهي عنه[3].

(1) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود (4/ 25).

(2) البحث الدلالي في إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود، زينب عبد الحسين بلال السلطاني (ص: 166).

(3) التحرير والتنوير، ابن عاشور (10/ 32).

الفصل الثالث

توجيهات تربوية نفسية وجهادية وسياسية

وتشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: توجيهات تربوية نفسية

المبحث الثاني: توجيهات تربوية جهادية

المبحث الثالث: توجيهات تربوية سياسية

المبحث الرابع: الأساليب التي جاءت بها التوجيهات التربوية المنثورة في هذا الفصل

المبحث الأول: توجيهات تربوية نفسية

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: أهمية الحالة النفسية للمؤمنين في الثبات

المطلب الثاني: بيان عمل الشيطان في نفوس الكافرين عند الحرب

المطلب الثالث: حال المنافقين وضعفة الإيمان في الحرب

المطلب الرابع: الرعب وأثره على النفس البشرية

المطلب الخامس: أهمية استخدام الحرب النفسية في مواجهة الأعداء

الفصل الثالث

توجيهات تربوية نفسية وجهادية وسياسية

وتشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: توجيهات تربوية نفسية.

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: أهمية الحالة النفسية للمؤمنين في الثبات.

1- أعظم الجهاد قوة القلب بالإيمان، فإن الجهاد بالعلم، وعلى رأسه الجهاد بالقرآن من أعظم أنواع الجهاد وأنفعه؛ فقد وصفه الله ويكفينا أنه قال تعالى: **﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾** [الفرقان: 52]؛ لأنه أعظم أثرًا في نصرة الإسلام، المجاهدة بالسنان، وفي كل خير، ولكل مقام نوع الجهاد اللائق به، فعَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ، وَأَنْفُسِكُمْ، وَأَلْسِنَتِكُمْ)**[1]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: 728): "والجهاد منه ما هو باليد، ومنه ما هو بالقلب، والدعوة والحجة والبيان، والرأي والتدبير والصناعة، فيجب بغاية ما يمكن"[2].

2- إن من تأييد الله للمجاهدين ومعيته لهم، إنزال الرعب والخوف في قلوب الأعداء، وهذه العناية والحفظ غير مختص بيوم بدر، بل هو عام[3]، قال الله تعالى: **﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾** [الأنفال: 12]، فالوحي: يسمى وحيا لسرعة قذفه في القلوب ووقوعه فيها؛ **﴿أَنِّي مَعَكُمْ﴾**، في النصر والمعونة، ودفع العدو عنكم، ومعكم في التوفيق **﴿فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾**، أمر الله ملائكته أن يثبتوا الذين آمنوا بالنصر لهم والأمن، بعد ما كانوا خائفين لما أجابوا ربهم، مع ضعف أبدانهم، وقلة عددهم، فأبدلهم الله مكان الخوف لهم أمنًا، ومكان الضعف القوة والنصر، ومكان الذل العز، وأبدل المشركين مكان الأمن لهم خوفًا، ومكان العز الذل، ومكان الكثرة الضعف والفشل،

---

(1) مسند أحمد، أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أنس بن مالكٍ ﷺ (19/ 272) رقم الحديث (12246)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(2) المستدرك على مجموع الفتاوى، ابن تيمية (3/ 213).

(3) انظر: التربية العقدية للعسكرية في القرآن الكريم في مسائل الإيمان، خالد بن إبراهيم الدبيان (ص: 13).

﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾، أي: اضربوا الأعناق وما فوق الأعناق، **﴿وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾**، أي: اضربوا ما تهيأ لكم من الأطراف وغيرها[1]، ونظير هذه الآية قَول رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي الغَنَائِمُ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ)**[2]، ومعنى قوله ﷺ: **(نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ)**، أي: أن أعداءه يقذف الله في قلوبهم الرعب، وهو منهم على مسيرة شهر[3]، وقال ابن حجر: "مفهومه أنه لم يوجد لغيره النصر بالرعب في هذه المدة ولا في أكثر منها، أما ما دونها فلا؛ فالظاهر اختصاصه به مطلقًا، وإنما جعل الغاية شهرًا لأنه لم يكن بين بلده وبين أحد من أعدائه أكثر منه، وهذه الخصوصية حاصلة له على الإطلاق حتى لو كان وحده بغير عسكر"[4] لقوله تعالى: ﴿**سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ**﴾ [آل عمران: ١٥١]، أي: وإن وقعت لكم هذه الواقعة في يوم أحد إلا أن الله تعالى سيلقي الرعب منكم بعد ذلك في قلوب الكافرين حتى يقهر الكفار، ويظهر دينكم على سائر الأديان، وقد فعل الله ذلك حتى صار دين الإسلام قاهرًا لجميع الأديان والملل[5]، وهذا العمومُ على ظاهره، لأنّه لا أحد يخالف دين الإسلامِ إلاَّ في قلبِه ضربٌ من الرعبِ، ولا يقتضي وقوع جميع أنواع الرَّعب في قلوب الكافرين، إنَّما يقتضي وقوع هذه الحقيقةِ في قلوبِهم مِن بعض الوجوه، وذهب جماعة من المفسرين إلى أنه مخصوص بأوائل الكفار[6].

3- يثبت الله الذين ءامنوا بذكره في الملمات فقال الله تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [الأنفال: 45] أي: اذكروا الله عند جزع قلوبكم، فإن ذكره يعين على الثبات في الشدائد، وقيل المعنى: اثبتوا بقلوبكم، واذكروا

(1) انظر: تأويلات أهل السنة، الماتريدي (5/ 163).

(2) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الصلاة، باب قول النبي ﷺ: "جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا (1/ 95) رقم الحديث (438).

(3) إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، ابن زيدان عبد الرحمن بن محمد السجلماسي (5/ 85).

(4) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر (1/ 437).

(5) التفسير الكبير، الرازي (9/ 384).

(6) اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين الحنبلي الدمشقي النعماني (5/ 595).

بألسنتكم، فإن القلب قد يسكن عند اللقاء، ويضطرب اللسان، فأمرهم بالذكر حتى يجتمع ثبات القلب واللسان[1].

4- من آثار معية الله للمجاهدين، تقليل العدد في الرؤية البصرية، قال تعالى: ﴿**وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ**﴾ أي: واذكروا وقت إراءتكم إياهم حال كونهم قليلًا، حتى قال القائل من المسلمين لآخر: أتراهم سبعين؟ قال: هم نحو المائة، وقلل المسلمين في أعين المشركين حتى قال قائلهم: إنما هم أكلة جزور، وكان هذا قبل القتال، فلما شرعوا فيه كثر الله المسلمين في أعين المشركين، كما قال: ﴿**يَرَوْنَهُمْ مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ العين**﴾، ووجه تقليل المسلمين في أعين المشركين هو أنهم إذا رأوهم قليلًا أقدموا على القتال غير خائفين، ثم يرونهم كثيرًا فيفشلون، وتكون الدائرة عليهم، ويحل بهم عذاب الله وعقابه[2].

5- الملائكة يقاتلون مع عباد الله أعداء الله تعالى في قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ**﴾ [الأنفال: 50]، قال ابن عباس ﷺ (ت: 68): "إذا أقبل المشركون بوجوههم إلى المسلمين، ضربوا وجوههم بالسيوف، وإذا ولوا أدركتهم الملائكة فضربوا أدبارهم"[3]، فأيّ تثبيت ونصر أفضل من ذلك، أن يكون الله معك بالنصرة، وتخويف اعدائك منك، والملائكة يقاتلون معك، من يتقدمك ومن يهرب منك.

6- التحريض على القتال، ليس فقط بالدعوة إلى الله؛ بل أيضا بالواقع المشاهد في قوله تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (65) الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾ [الأنفال: 65، 66]، هذا ترغيب في الثبات وتبشير بالنصر، أي: الله معهم بالحفظ والرعاية والنصرة، ومن كان الله معه فهو الغالب[4]؛ لأن الإيمان بالله ووعده ونصره؛ يعطي المؤمن قوة وإقدام وتوكل ويقين بالله، بأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

---

(1) فتح القدير، الشوكاني (2/ 359).

(2) المرجع نفسه (2/ 358).

(3) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (4/ 76).

(4) صفوة التفاسير، الصابوني (1/ 477).

التوجيهات التربوية من خلال أهمية الحالة النفسية للمؤمنين في الثبات:

1- الإيمان له أثر كبير في قوة القلب، أمام مواجهة الأعداء، بالسنان واللسان.
2- الثبات وقت الشدائد بالإكثار من الذكر الذي يجمع بين ثبات القلب واللسان.
3- الثبات أمام العدو فرض على المسلمين، لا اختيار لهم فيه، ويحرم عليهم الانهزام أمام ضعفي العدد[1].
4- تأييد الله للمجاهدين؛ بإنزال الرعب والخوف في قلوب الأعداء من مسيرة شهر، وهذه العناية غير مختصة بيوم بدر، بل هي عامة.
5- معية الله للمجاهدين؛ بتقليل عدد الكفار، وتكثير عدد المجاهدين في سبيل الله تعالى في الرؤية البصرية.

المطلب الثاني: بيان عمل الشيطان في نفوس الكافرين عند الحرب.

قال الله تعالى: **﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾** [الأنفال: 48]، فعن ابن عباس ﷺ (ت: 68)، قال: (جاء إبليس يوم بدر في جُنْد من الشياطين، معه رايته، في صورة رجل من بني مُدلج، والشيطان في صورة سراقة بن مالك بن جعشم، فقال الشيطان للمشركين: **﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ﴾**، فلما اصطف الناس، أخذ رسول الله ﷺ قبضةً من التراب فرمى بها في وجوه المشركين، فولَّوا مدبرين، وأقبل جبريل إلى إبليس، فلما رآه، وكانت يده في يد رجل من المشركين، انتزع إبليس يده فولَّى مدبرًا هو وشيعته، فقال الرجل: يا سراقة، تزعم أنك لنا جار؟ قال: **﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾**، وذلك حين رأى الملائكة)[2].

وقال الضحاك (ت: 105): (جاءهم إبليس يوم بدر برايته وجنوده، وألقى في قلوبهم أنهم لن يهزموا، وهم يقاتلون على دين آبائهم)[3]، ثم تحول الأمر؛ فكأن حاله أن قال: يا قوم الأمر

---

(1) انظر: التفسير المنير، الزحيلي (10/ 64).
(2) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري (11/ 221).
(3) معاني القرآن، النحاس (3/ 162).

عظيم، والخطب جسيم، وإني تارككم لذلك وخائف على نفسي الوقوع في مهاوي المهالك، مع أني أقدر منكم على القرار وعلى مراحل هذه القفار[1].

وهذا فيه أن الشيطان غر الكفار، وخدعهم حتى أوردهم الهلاك، ثم تبرأ منهم، وهذه هي عادة الشيطان مع الإنسان كما بينه الله تعالى في آيات كثيرة، كقوله تعالى: **﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾** [الحشر: 16]، وقوله: **﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾** [إبراهيم: 22][2].

فالشيطان إذا زيَّن للإنسان بوساوسه أمرا، والنّفس إذا سوّلت له شيئا، عميت بصائر أرباب الغفلة عن شهود صواب الرّشد، فيبقى الغافل في قياد وساوسه، ثم تلحقه هواجم التقدير من كوامن المكر من حيث لا يرتقب، فلا الشيطان يفي بما يعده، ولا النفس شيئا مما تتمنَّاه تجده[3].

فالزينة النفسية الحقيقية: ما لا يشين الإنسان في شيء من أحواله، لا في الدنيا ولا في الآخرة، **والزينة بالقول المجمل ثلاث:**

1- زينة نفسية: كالعلم والاعتقادات الحسنة من حسن الأدب، كقوله تعالى: **﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾** [الحجرات: 7].
2- وزينة بدنية: كالقوة وطول القامة، كقوله تعالى: **﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾** [الأعراف: 32].
3- وزينة خارجية: كالمال والجاه، كقوله تعالى: **﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾** [القصص: 79][4].

---

(1) انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي (5/ 212).

(2) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي (2/ 103).

(3) انظر: لطائف الإشارات، القشيري (1/ 630).

(4) انظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهانى (ص: 389).

التوجيهات التربوية من خلال بيان عمل الشيطان في نفوس الكافرين عند الحرب:

1- الشيطان يغوى الكفار وأعوانهم يخدعهم، حتى يوردهم الهلاك، ثم يتبرأ منهم؛ لقوله تعالى: **﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾** [الأنفال: 48].

2- الشيطان يزيِّن للإنسان بوساوسه أمرًا، والنَّفس تسوِّل له شيئا، فتُعمى أبصار أرباب الغفلة عن شهود صواب الرّشد، فلا الشيطان يفي بما يعده، ولا النفس شيئا مما تتمنّاه تجده.

المطلب الثالث: حال المنافقين وضعفة الإيمان في الحرب.

قال الله تعالى: **﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾** [الأنفال: 49]، ما أشبه موقف المنافقين بموقف الشيطان، إنه موقف المتخاذل المتفرج، المحرض على الشر، ثم المتخلي عن المؤازرة وقت الشدة والمحنة(1)، وقد خيب الله الفريقين: الشيطان والمنافقين، فنصر الفئة المؤمنة القليلة على الفئة الكافرة الكثيرة، والله يؤيد بنصره من يشاء لأن من يتوكل على الله، ويفوض أمره إليه، ويثق به، ويلجأ إليه، فإن الله حسبه وناصره ومؤيده.

فالمنافقون: الذين أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر.

والذين في قلوبهم مرضٌ: الشاكون، وهم دون المنافقين، لأنهم حديثو عهدٍ بالإسلام، وفيهم بعض ضعف نيةٍ(2).

فالمنافقون، والذين في قلوبهم مرض، لا يدركون حقيقة أسباب النصر وأسباب الهزيمة؛ فهم يرون ظواهر الأمور، دون أن تهديهم بصيرة إلى بواطنها، ودون أن يشعروا بالقوة الكامنة في العقيدة، والثقة في الله، والتوكل عليه.

والواقع المادي الظاهر لا يختلف من ناحية مظهره عند القلوب المؤمنة، وعند القلوب الخاوية من الإيمان، ولكن الذي يختلف هو التقدير والتقويم لهذا الواقع المادي الظاهر؛ فالقلوب

(1) انظر: التفسير المنير، الزحيلي (10/ 34).

(2) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (8/ 27).

الخاوية تراه ولا ترى شيئًا وراءه، والقلوب المؤمنة ترى ما وراءه من الواقع الحقيقي الذي يشمل جميع القوى، ويوازن بينها موازنة صحيحة لقوله تعالى: **﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾** [الأنفال: 49].

وقول المنافقين والذين في قلوبهم مرض، عن العصبة المسلمة يوم بدر: **﴿غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ﴾**، هي كلما رأوا العصبة المسلمة تتعرض لجحافل الطاغوت في عنفوانه، وفي نفوسهم سخرية من هذه العصبة التي تتصدى للخطر، وتستخف به، وفي نفوسهم عجب ودهشة في اقتحام العصبة المسلمة للأخطار الواضحة؛ لكنهم لا يدركون الأمور ببصيرة المؤمن، ولا يزنون النتائج كذلك بميزان الإيمان، إنها في حس المؤمن وميزانه صفقة رابحة دائمًا؛ فهي مؤدية إلى إحدى الحسنيين: النصر والغلب، أو الشهادة والجنة.

والعصبة المسلمة في كل مكان وفي كل زمان، مدعوة إلى أن تزن بميزان الإيمان والعقيدة، وأن تدرك ببصيرة المؤمن وقلبه، وأن ترى بنور الله وهداه، وألا تتعاظمها قوى الطاغوت الظاهرة، وألا تستهين بقوتها ووزنها؛ فإن معها الله، وأن تلقى في بالها دائمًا إلى تعليم الله ﷻ للمؤمنين لقوله تعالى: **﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾** [الأنفال: 49][1].

التوجيهات التربوية من خلال حال المنافقين وضعفة الإيمان في الحرب:

1- المسلم في كل مكان وزمان، لا بد له أن يتزن بميزان الإيمان والعقيدة، وأن يرى بنور الله، وألا يستهين بقوته؛ فإن الله تعالى معه.

2- المنافقون والذين في قلوبهم مرض، لا يؤمنون إلا بالقوة على رؤوسهم.

3- المنافقون وضعفة الإيمان، ضعاف عند وجود القتال ونشوب الحروب[2].

4- موقف المنافقين مشابه لموقف الشيطان، فهو موقف المتخاذل المتفرج، المحرض على الشر، ثم المتخلي عن المؤازرة وقت الشدة والمحنة.

---

(1) موقف القرآن الكريم من اليهود والنصارى، علي بن نايف الشحود (ص: 96).

(2) انظر: أيسر التفاسير، الجزائري (2/ 316).

المطلب الرابع: الرعب وأثره على النفس البشرية.

قال الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (65) الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: 65، 66]، فالمؤمن لا يزداد بنفسه ضعفا إلّا ازداد بقلبه قوة؛ لأن الاستقلال بقوة النّفس نتيجة الغفلة، وقوة القلب بالله ﷻ على الحقيقة[1]، حين يكون دين المرء أعز ما لديه في هذه الدنيا يكون في المنافحة عنه بالغ الشجاعة، عظيم الجرأة، قوي الإقدام، ويكون ذلك:

أولًا: أثر التربية الجهادية على قوة القلب:

تنبع الشجاعة وقوة القلب من غرائز فطرية، وتقويها التربية الجهادية؛ بالتدريب وخوض المواقف، حتى يكتسب الشاب هذا الخلق[2]، وإلى ذلك أشار سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ(ت: 23) فقال: (كرم المؤمن تقواه، ودينه حسبه، ومروءته خلقه، والجرأة والجبن غرائز يضعها الله حيث شاء، فالجبان يفر عن أبيه وأمه، والجريء يقاتل عما لا يئوب به إلى رحله، والقتل حتفٌ من الحتوف، والشهيد من احتسب نفسه على الله)[3].

وقد قام الصحابة بهذا الواجب، من الشجاعة والبسالة أمام صناديد قريش عندما قام أَوَّلُ مَنْ جَهَرَ بِالْقُرْآنِ، وهو عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ ﷺ وَمَا نَالَهُ مِنْ قُرَيْشٍ فِي سَبِيلِ جَهْرِهِ بِالْقُرْآنِ، ومعلوم أن عبد الله بن مسعود ﷺ كان نحيفا، ضعيف الجسد، لكنه قوي الإيمان؛ فتحرك الإيمان في قلبه ليغيظ الكفار، فعن عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ أَبِيهِ ﷺ، قَالَ: (كَانَ أَوَّلُ مَنْ جَهَرَ بِالْقُرْآنِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ، عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ ﷺ، قَالَ: اجْتَمَعَ يَوْمًا أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالُوا: وَاللَّهِ مَا سَمِعَتْ قُرَيْشٌ هَذَا الْقُرْآنَ يُجْهَرُ لَهَا بِهِ قَطُّ، فَمَنْ رَجُلٌ يُسْمِعُهُمُوهُ؟ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ ﷺ: أَنَا، قَالُوا: إِنَّا نَخْشَاهُمْ عَلَيْكَ، إِنَّمَا نُرِيدُ رَجُلًا لَهُ عَشِيرَةٌ يَمْنَعُونَهُ مِنْ الْقَوْمِ إِنْ أَرَادُوهُ، قَالَ: دَعُونِي فَإِنَّ اللَّهَ سَيَمْنَعُنِي، قَالَ: فَغَدَا ابْنُ مَسْعُودٍ ﷺ حَتَّى أَتَى الْمَقَامَ فِي الضُّحَى، وَقُرَيْشٌ فِي أَنْدِيَتِهَا، حَتَّى قَامَ عِنْدَ الْمَقَامِ ثُمَّ قَرَأَ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ: رَافِعًا بِهَا صَوْتَهُ:

---

(1) لطائف الإشارات، القشيري (1/ 637).

(2) انظر: هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقا، محمود محمد الخزندار (ص: 73).

(3) موطأ مالك، مالك، كتاب الجهاد، باب ما تكون فيه الشهادة (2/ 463) رقم الحديث (35)، قال الألباني: حسن صحيح.

﴿الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ [الرحمن: 1، 2]، قَالَ: ثُمَّ اسْتَقْبَلَهَا يَقْرَؤُهَا، قَالَ: فَتَأَمَّلُوهُ فَجَعَلُوا يَقُولُونَ: مَاذَا قَالَ ابْنُ أُمِّ عَبْدٍ؟ قَالَ: ثُمَّ قَالُوا: إِنَّهُ لَيَتْلُو بَعْضَ مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ، فَقَامُوا إِلَيْهِ، فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ فِي وَجْهِهِ، وَجَعَلَ يَقْرَأُ حَتَّى بَلَغَ مِنْهَا مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَبْلُغَ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى أَصْحَابِهِ وَقَدْ أَثَّرُوا فِي وَجْهِهِ، فَقَالُوا لَهُ: هَذَا الَّذِي خَشِينَا عَلَيْكَ، فَقَالَ: مَا كَانَ أَعْدَاءُ اللَّهِ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْهُمْ الْآنَ، وَلَئِنْ شِئْتُمْ لَأُغَادِيَنَّهُمْ بِمِثْلِهَا غَدًا، قَالُوا: لَا، حَسْبُكَ، قَدْ أَسْمَعْتَهُمْ مَا يَكْرَهُونَ)[1].

فالشجاعة ليست هي قوة البدن، فقد يكون الرجل قوي البدن ضعيف القلب، وإنما هي قوة القلب وثباته؛ فإن القتال مداره على قوة البدن وصنعته للقتال، وعلى قوة القلب وخبرته به، والمحمود منهما ما كان بعلم ومعرفة دون التهور الذي لا يفكر صاحبه ولا يميز بين المحمود والمذموم، ولهذا كان القوي الشديد، هو الذي يملك نفسه عند الغضب حتى يفعل ما يصلح دون ما لا يصلح؛ فأما المغلوب حين يغضب فليس هو بشجاعٍ ولا شديد، وَلِهَذَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(فَمَا تَعُدُّونَ الصُّرَعَةَ فِيكُمْ؟)** قَالَ قُلْنَا: الَّذِي لَا يَصْرَعُهُ الرِّجَالُ، قَالَ: **(لَيْسَ بِذَلِكَ، وَلَكِنَّهُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ)**[2]، فذكر ما يتضمن الصبر عند الغضب؛ لأن أصل ذلك هو الصبر على المؤلم، وهذا هو الشجاع الشديد الذي يصبر على المؤلِم والمؤلَم، إن كان مما يمكن دفعه اثار الغضب[3]، فالصبر ثم الصبر فإن الشجاعة صبر ساعة.

ثانيًا: القوى الروحية تفوق القوى المادية:

أخذ رسول الله ﷺ كفًا من الحصا بيده، ثم خرج واستقبل القوم فقال: **(شَاهَتِ الْوُجُوهُ)**[4]، ثم رماهم بها، فالتحم الجيشان، واشتد القتال، وحمي الوطيس، وتعانقت السيوف، وتخاطبت الأسنة بدل الألسنة، وتوالت الإمدادات الإلهية بجند الله من الملائكة تثبت قلوب المؤمنين، وتزفّ لهم البشرى، وتلقي الرعب في قلوب المشركين، وتشارك في القتال أحيانا، وأظهر المسلمون بطولات فائقة، وعرفت الدنيا أن القوى الروحية لا تقهرها القوى المادية، وأن النفس البشرية إذا امتلأت بالإيمان وحب الشهادة تضاءلت أمامها شيم الجبال الراسيات، فما بالك

---

(1) السيرة النبوية، ابن هشام (1/ 314).

(2) صحيح مسلم، مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب وبأي شيءٍ يذهب الغضب (4/ 2014) رقم الحديث (106).

(3) الاستقامة، ابن تيمية (2/ 271).

(4) مسند أحمد، أحمد، ومن مسند بني هاشمٍ، مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب (1)، عن النبي ﷺ (5/ 442) رقم الحديث (3485)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده قوي على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير ابن خثيم.

بالنفوس الخاويات، والقلوب الفارغات، وأن الله القوي القاهر يمد عباده المؤمنين بنصرٍ من عنده إذا صدقوا الإيمان، وأخلصوا له في الجهاد، وانتصروا على شهواتهم وأنفسهم، واتقوا الله حق تقواه[1].

ثالثًا: البعد عن الثوابت الإيمانية يصيب الوهن:

قال الله تعالى: ﴿**الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾ [الأنفال: 66]، وعَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (**يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ الْوَهْنَ فَقَالَ قَائِلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَهْنُ قَالَ حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ**)[2]، يوشك أن تداعي الأمم من الكفار على أهل الإسلام، ويكون لهم القوة والغلبة، ويكون المسلمون معهم كالطعام الذي يتداعى عليه الأكلة من كل جانب، قال الخطابي (ت: 388): "تداعي الأمم اجتماعها ودعاءُ بعضها بعضًا، حتى تصير العرب بين الأمم كقصعةٍ بين الأكلة محاطًا بها من كل جانب"[3]، وهي في هذه الكثرة لا قيمة لها، والسبب في ذلك هو عدم القيام بما أوجب الله تعالى على المسلمين من إظهار الدين، فتغلب عليهم الأعداء، وأصاب المسلمين من أعدائهم الذل، بعد أن كان الكفار يهابون المسلمين، وهذا الحديث منطبق تمامًا على هذا الزمان، والمسلمون اليوم عددهم كثير جدًا، ولكنهم مشتغلون بالدنيا، وحريصون على الدنيا، وخائفون من الموت، فصاروا يخافون من أعدائهم، وأعداؤهم لا يخافون منهم، لكن لا يعني هذا أنه ما حصل إلا في هذا الزمان، فقد يكون حصل في الماضي وكذلك يحصل في المستقبل، لكن المشاهد المعاين اليوم أنه حاصل[4].

(**وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ**)، أي: ليخرجن الله من صدور عدوكم الإجلال والتعظيم والخوف الذي كان في قلوبهم، والرعب الذي كان يصدع قلوبهم ويرهبها، بل ولا يكون لكم هيبة.

---

(1) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، محمد بن محمد بن سويلم أبو شهبة (2/ 142).

(2) سنن أبي داود، أبو داود، أول كتاب الملاحم، باب في تداعي الأمم على الإسلام (6/ 355) رقم الحديث (4297)، وقال شعيب الأرنؤوط: حديث حسن.

(3) بذل المجهود في حل سنن أبي داود، الشيخ خليل أحمد السهارنفوري (12/ 345).

(4) انظر: شرح سنن أبي داود، عبد المحسن العباد (ص:483).

(وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ الْوَهْنَ)، يعني: ضعف القلب والجبن عن قتال الكفار؛ فالقلب الذي فيه حب الدنيا يخلو من حب الله، يقول ابن القيم (ت: 751): "لا تدخل محبة الله في قلب فيه حب الدنيا، إلا كما يدخل الجمل في سم الابرة"[1].

فالفشل له سبب؛ فسأل أحد الحاضرين، وما سبب هذا الوهن الذي يحصل للمسلمين؟ فقال ﷺ سببه (**حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ**)؛ لأن من أحب الدنيا وركن إلى مساكنها وملابسها وشهواتها كره مفارقة ذلك، ولم يتشجع على الجهاد والمقاتلة مع الكفار[2]، وكان ذلك سبب كراهية حلول الموت بساحته؛ فإنه قاطع للذَّات، مفرق بينه وبين أحبابه، فجبن بذلك عن القتال المؤدي إلى إزهاق روحه[3].

التوجيهات التربوية من خلال الرعب وأثره على النفس البشرية:

1- تنبع الشجاعة من غرائز فطرية، وتقويها التربية الجهادية.
2- الكثرة لا قيمة لها أمام ما أوجبه الله تعالى على المسلمين من إظهار الدين.
3- القلب الذي فيه حب الله يخلو من حب الدنيا.

المطلب الخامس: أهمية استخدام الحرب النفسية في مواجهة الأعداء:

الحرب النفسية سلاح فعال في المعارك، وهي أقوى تأثيرا من الحرب المادية، وتنبع أهميتها من كونها أمضى سلاح، تتعلق بما في النفس الإنسانية من ثبات وطمأنينة ووهن، فالمعنويات المنهارة لا تستطيع الثبات وإن امتلكت أحدث الأسلحة، وكما يقال عندنا في المثل الغزي الشامي: "الخوف بيقطع الركب"[4]؛ لأن الخوف إذا تملك الإنسان فإنه ينهار أمام التحديات في المعركة، فيهرب أو يختبئ أو ربما لا يخرج للقتال من الأصل، والتأريخ في القديم والحديث مليء بمثل قصص الجبناء، لذلك فهي أهم وسيلة تدعم وسائل الحرب واستجلاب النجاح والنصر في المعارك؛ لأنها توفر الكثير من الخسائر في الرجال والعتاد والأموال، وكثيرًا

---

(1) الفوائد، ابن القيم (ص: 98).
(2) انظر: لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح، عبد الحق بن سيف الدين الدهلوي الحنفي (8/ 565).
(3) انظر: شرح سنن أبي داود، ابن رسلان (17/ 102).
(4) خمسة آلاف مثل ومقولة من بلاد الشام، زياد يوسف متى(ص: 144).

ما غيرت الحرب النفسية وجه التأريخ، وبهذا يقول ديغول[1] "لكي تنتصر دولة ما في حرب؛ فإن عليها أن تشن الحرب النفسية قبل أن تتحرك قواتها إلى أرض المعركة، وتظل هذه الحرب تساند هذه القوة حتى تنتهي من مهمتها"، ويقول رومل[2] "إن القائد الناجح هو الذي يسيطر على عقول أعدائه قبل أبدانهم"، وتتحقق أهدافها وأهميتها واساليبها بالتالي:

أولًا: تحقق الحرب النفسية أهدافها من خلال المهام التالية:

1- تشكيك العدو في سلامة وعدالة الهدف الذي يحارب من أجله.

2- زعزعة ثقة العدو في قوته من حيث الرجال والعتاد والقادة، وزعزعة ثقته في إمكانية إحراز النصر، وإقناعه بأن لا جدوى من شن الحرب أو الاستمرار في القتال.

3- بث الفرقة والشقاق بين صفوف العدو وجماعاته.

4- التفريق بين العدو وحلفائه، ودفعهم إلى التخلي عن نصرته.

5- تحييد القوى الأخرى وحرمان العدو من محالفتها[3].

ثانيًا: أهمية الحرب النفسية:

1- **الاتجاه الداخلي:** وهو بناء العقيدة والتربية الروحية، والتأكيد على رفع المعنويات من خلال الكتاب والسنة وسير عظماء التأريخ الإسلامي، الذين غيروا مجرى التأريخ والمعارك من الهزيمة إلى النصر.

2- **الاتجاه الخارجي:** وهو تحطيم معنوية الخصم، من تسفيه أحلام المشركين، والهجوم على معتقداتهم للوصول إلى مرحلة الشك في معتقداتهم، ومن ثم أضاعف معنوياتهم في الدفاع عن أنفسهم[4].

---

(1) **شارل ديغول:** جنرال فرنسي ورجل دولة دعا إلى مقاومة الألمان، ترأس الحكومة من عام (1944) حتى (1946 م) ورئيس الجمهورية الخامسة من عام 1959 حتى عام 1969م قدم استقالته واعتزل العمل السياسي عندما هزم مشروعه في تعديل الدستور الفرنسي عام 1969م وتفرغ لكتابة مذكراته توفي عام 1970م، انظر: https://www.wikiwand.com/ar/.

(2) **إرڤن رومل:** ولد في 15 نوفمبر 1891 في مدينة هايدنهايم الألمانية كان يلقب بثعلب الصحراء، قاد الحملة الألمانية على أفريقيا، وفشل في معركة العلمين التي دارت أحداثها في صحراء أفريقيا بين الألمان والإنجليز، شك هاتلر في إخلاصه فأمره بالانتحار عام 1944م، انظر: https://www.marefa.org.

(3) انظر: المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية، محمد جمال الدين محفوظ (ص: 122).

(4) انظر: فقه الحرب النفسية في ضوء سورة الأنفال، د. أحمد قطران (ص: 182).

ثالثًا: أساليب الحرب النفسية:

ثمة عدة صور وأساليب تستخدم لتحقيق تلك المهام، نذكر منها ما يلي:

1- بث الإشاعات وإرسال المعلومات التي يتعذر التحقق من أصلها، والتي من شأنها تدمير معنويات الخصم، وسورة الأنفال اهتمت بهذا الأمر اهتماما بالغًا، فالحديث عن الهزيمة المسبقة للخصم له وقع السحر على الخصوم قبل الدخول في المعركة، قال الله تعالى: **﴿فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾** [الأنفال: 48]، وقال تعالى: **﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾** [القمر: 45].

2- حتمية خسارة المال والهزيمة وعذاب الآخرة لقوله تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾** [الأنفال: 36].

3- الترغيب بإسلامهم، والترهيب من قتلهم لقوله تعالى: **﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾** [آل عمران: 12].

4- التحذير من مغبة التمادي في حرب الله، والذين يريدون إعادة الكرة لحرب المسلمين، لقوله تعالى: **﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾** [الأنفال: 59].

5- الإخبار بإضعاف كيد الكافرين بحرب السخرية والاستهزاء والإغراء والتعجيز وطلب المعجزات مهما جمع، ومهما أعد، فإن كيده ضعيف لقوله تعالى: **﴿ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾** [الأنفال: 18].

6- بث الذعر والتخويف والضغط النفسي لقوله تعالى: **﴿ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ﴾** [الأنفال: 14].

7- تصوير السيوف وهي تهوي على الرقاب والبنان لقوله تعالى: **﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾** [الأنفال: 12].

8- إيقاع الألم في المواجه ليرتدع المتربص، والإغراء والتضليل لقوله تعالى: **﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾** [الأنفال: 57].

9- إعداد القوة للردع، من إجراء المناورات الحربية بالقرب من الحدود وغيرها لقوله تعالى: **﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾** [الأنفال: 60].

10- الكلمة المسموعة أو المقروءة التي من شأنها التأثير على العقول والعواطف والسلوك، وهو مجال تتعدد فيه الأشكال والوسائل كالكتاب والصحيفة والمجلة والمنشورات على مواقع التواصل الاجتماعي، واللافتة والإذاعة والتلفزيون والسينما والمسرح... الخ.

11- العمل على تشكيك الجماهير في ثقتها بقياداتها السياسة، وتشكيك الجماهير في ثقتها بذاتها وفي قدرة قواتهم المسلحة على مواجهة عدوها.

التوجيهات التربوية من خلال أهمية استخدام الحرب النفسية في مواجهة الأعداء:

1- الاهتمام بأساليب الحرب النفسية في مواجهة أعدائنا؛ لتدمير معنويات الخصم.

2- الحرب النفسية لا تضر بالمؤمن إن تمسك بإيمانه، وبما وعده ربه تعالى.

3- إلقاء المحاضرات لرفع الروح المعنوية، وتطوير التدريب على مواجهة الحرب النفسية بالمناورات العسكرية.

4- الحرب النفسية تغير وجه التأريخ إذا استُخدمت ضمن خطة محكمة.

5- الخوف إذا تملك الإنسان فإنه ينهار أمام التحديات في المعركة، فيهرب أو يختبئ، أو ربما لا يخرج للقتال من الأصل.

المبحث الثاني: توجيهات تربوية جهادية

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: التحريض على الجهاد في سبيل الله

المطلب الثاني: التربية الجهادية للأمم والفرد

المطلب الثالث: الأمر بالإعداد للجهاد

المطلب الرابع: حكم التولي يوم الزحف

المبحث الثاني: توجيهات تربوية جهادية.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: التحريض على الجهاد في سبيل الله.

وفيه نوعان:

أولًا: التحريض لغة وشرعا:

1- **التحريض لغة:** المبالغة في الحث على الأمر[1]، وقيل: تأويله حثهم على القتال[2].

2- **التحريض شرعًا:** الترغيب في الشيء بما يدعو إليه نحو وعد الثواب على القتال والتنفيل عليه[3].

لمَّا بيَّن تعالى أنه كافيه بنصره وبالمؤمنين، بيَّن ههنا أنه ليس من الواجب أن يتكل على ذلك، إلا بشرط أن يحرض المؤمنين على القتال؛ فإنه تعالى كفيل بالكفاية، بشرط أن يحصل منهم التعاون على القتال[4] لقوله تعالى: **﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [الأنفال: 65]**، أي: حضّ المؤمنين وعِظْهم[5]، ورَغِّبهمُ في القتال، وحُثَّهم أبلغَ حَثٍّ[6]؛ لدفع عدوان الكفار، وإعلاء كلمة الحق على كلمة الباطل، والظلم وأنصارهما[7]، وكأنه يقول له: ادع قومك إلى أن يبعدوا الدنو من الهلاك عن أنفسهم؛ لأنهم إن لم يجاهدوا؛ لتغلب عليهم أهل الكفر، فأهل الكفر يعيشون في الأرض؛ بمنهج السيطرة والغلبة والجبروت، وحين يجاهدهم المؤمنون، إنما ليوقفوهم عند حدهم[8]؛ فالتحريض على القتال وترغيب المؤمنين في الجهاد، وذلك بإقامة الخطباء المؤثرين، والوعاظ، والأناشيد الحماسية.

---

(1) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري (2/ 223).

(2) تهذيب اللغة، الأزهري (4/ 120).

(3) تفسير القرآن العظيم المنسوب للإمام الطبراني (3/ 99).

(4) اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين الحنبلي الدمشقي النعماني (9/ 562).

(5) كتاب تفسير القرآن، ابن المنذر (2/ 810).

(6) فتح الرحمن في تفسير القرآن، مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي (3/ 133).

(7) تفسير المنار، محمد رشيد رضا (10/ 66).

(8) تفسير الشعراوي (8/ 4793).

فالجهاد: هو قتال الكفار قتالًا ماديًا من أجل إقامة حكم الإسلام، وسببه كون الذين نقاتلهم كفارًا رفضوا الإسلام بعد عرضه عرضًا يُلفت النظر، وهذا ما يُمليه أي مبدأ تعتقده أية أمة، فإنها تهيئ القوة المادية وتكون لديها الروح العسكرية القوية إلى جانب القوة المعنوية، وبناء على هذه القوة تبدأ المعارك والمناورات السياسية الدبلوماسية؛ فتوجد الحالة التي تبلغ بواسطتها الدعوة، وترتفع شخصية الدولة السياسية؛ فإذا حصل الاحتكام المادي كان القتال الذي لا مفر منه؛ وما الحرب الباردة في العالم اليوم، إلا الحالة التي يحاول كل من العسكريين إيجادها لنشر مبدئه، والقوة الإسلامية هي لإزالة الحواجز المادية من أمام الدعوة الإسلامية؛ لجعل الشعوب تعتنق الإسلام، وتكون مع سائر المسلمين أمة واحدة، لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى[1].

وقد يركن المسلمون إلى الراحة والدعة، والرخاء والاسترخاء، والمساكن المترفة، والمراكب الفارهة، والزوجات والأبناء، والأهل والعشيرة، ويتركون الجهاد في سبيل الله مدةً من الزمن، بحيث يأمن المسلمون مضرّتهم، ثم يتسلط الكافرون والظالمون عليهم، والسر في ذلك هو: ترك الجهاد في سبيل الله[2]، لهذا أمر الله المؤمنين بالقتال حتى يكون الدين كل الدين لله، لقوله تعالى: **﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الأنفال: 39]**، أي: فقاتلوهم حتى لا يكون شرك، ولا يعبد إلا الله وحده لا شريك له، فيرتفع البلاء عن عباد الله من الأرض، وهو الفتنة **﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ﴾**، وحتى تكون الطاعة والعبادة كلها لله خالصة دون غيره[3]، و"حَتَّى لَا يُفْتَنَ مُؤْمِنٌ عَنْ دِينِهِ، وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ، أي: وَيَكُونَ الدِّينُ خَالِصًا لِلَّهِ لَا شِرْكَ فِيهِ"[4]، وعن أَبي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي نَفْسَهُ وَمَالَهُ، إِلَّا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ)**[5].

---

(1) في مواجهة الغزو الفكري ثلاثة أفكار في الميزان، سلام حامد (185).

(2) دروس مستفادة من محاضرة عبد الله الجلالي (ص: 19).

(3) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري (11/ 178).

(4) معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي (2/ 292).

(5) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي ﷺ الناس إلى الإسلام والنبوة، وأن لا يتخذ بعضهم بعضًا أربابًا من دون الله (4/ 48) رقم الحديث (2946).

ثانيًا: حث النبي محمد ﷺ على القتال:

جاءت أحاديث كثيرة، حث بها النبي ﷺ على الجهاد وقتال الأعداء، فعَنْ أَنَسٍ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَخَذَ سَيْفًا يَوْمَ أُحُدٍ فَقَالَ: **(مَنْ يَأْخُذُ مِنِّي هَذَا؟)** فَبَسَطُوا أَيْدِيَهُمْ، كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ يَقُولُ: أَنَا، أَنَا، قَالَ: **(فَمَنْ يَأْخُذُهُ بِحَقِّهِ؟)** قَالَ فَأَحْجَمَ الْقَوْمُ، فَقَالَ: سِمَاكُ بْنُ خَرَشَةَ أَبُو دُجَانَةَ: "أَنَا آخُذُهُ بِحَقِّهِ"، قَالَ: "فَأَخَذَهُ فَفَلَقَ بِهِ هَامَ الْمُشْرِكِينَ"[(1)]، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **(مَنْ يَحْفِرْ بِئْرَ رُومَةَ فَلَهُ الجَنَّةُ)**، فَحَفَرَهَا عُثْمَانُ، وَقَالَ: **(مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ العُسْرَةِ فَلَهُ الجَنَّةُ)**، فَجَهَّزَهُ عُثْمَانُ[(2)]، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى ﷺ، قال: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَيَّامِهِ الَّتِي لَقِيَ فِيهَا، انْتَظَرَ حَتَّى مَالَتِ الشَّمْسُ، ثُمَّ قَامَ فِي النَّاسِ خَطِيبًا قَالَ: **(أَيُّهَا النَّاسُ، لاَ تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ العَدُوِّ، وَسَلُوا اللَّهَ العَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الجَنَّةَ تَحْتَ ظِلاَلِ السُّيُوفِ)**، ثُمَّ قَالَ: **(اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الكِتَابِ، وَمُجْرِيَ السَّحَابِ، وَهَازِمَ الأَحْزَابِ، اهْزِمْهُمْ وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ)**[(3)].

التوجيهات التربوية من خلال التحريض على الجهاد في سبيل الله:

1- التحريض على الجهاد: هو من واجبات القائد.

2- الأمر بالثبات، والبشارة بالنصر.

3- لا عبرة بالكثرة العددية في ميدان الحرب والنزال، بل العبرة بالقوة المعنوية، والإعداد المسبق، والأخذ بجميع الوسائل والأسباب[(4)].

4- التأكد على حرية الاعتقاد والتدين بدين الله حتى تزول فتنة المسلم عن دينه بالقتال.

5- الثبات أمام العدو فرض على المسلمين لا اختيار لهم فيه، ما لم يُرَخِّص لهم بخلافه[(5)].

6- التوجيه المعنوي: كإصدار الأفلام الوثائقية والتاريخية، ودعم المقاومة المجاهدة بالمال والخطاب السياسي، والوسائل الإعلامية المتاحة، وبالكتابة والشعر، وإنشاء المنظمات والهيئات والحركات الداعمة، وكل وسيلة ترفع معنويات الأمة، وتحيي قضاياها العامة

---

(1) صحيح مسلم، مسلم، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب من فضائل أبي دجانة سماك ابن خرشة ﷺ (4/ 1917) رقم الحديث (128).

(2) صحيح البخاري، البخاري، باب مناقب عثمان بن عفان أبي عمرٍو القرشي ﷺ (5/ 13).

(3) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الجهاد والسير، بابٌ: كان النبي ﷺ إذا لم يقاتل أول النهار أخر القتال حتى تزول الشمس (4/ 51) رقم الحديث (2965).

(4) انظر: الواضح في علوم القرآن، مصطفى ديب البغا، ومحيى الدين ديب مستو (ص: 293).

(5) انظر: المختصر في تفسير القرآن الكريم، جماعة من علماء التفسير (1/ 185).

وتدفع عدوها عن بلادها[1]، فعَنْ جَابِرٍ ﷺ، وَأَنَسٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(لَصَوْتُ أَبِي طَلْحَةَ فِي الْجَيْشِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ رَجُلٍ)**[2].

7- التوجيه الرباني لرسوله ﷺ؛ بالانتباه للمحور النفسي عند الجند، والتركيز على شحذ همة الرجال، ورفع المعنويات، ودفع الطاقات باتجاه القتال والنصر.

المطلب الثاني: التربية الجهادية للأمم والفرد.

يواجه المسلمون اليوم في بعض الأقطار احتلالًا وغزوًا عسكريًا في عقر دارهم، وغزوًا فكريًا وأخلاقيًا في كل ديارهم، فهي حرب باردة لا يسمع فيها أزيز الطائرات، ولا صوت المدافع والرشاشات، إنها حرب على الشباب المسلم، وقد ساعد الأعداء في ذلك: بطانة السوء والمنافقين من أبناء المسلمين الذين ربوا على عين الغرب، وتسلطوا على أزمة الحكم في أكثر بلدان المسلمين، وحكموا بقوانين الشرق والغرب، ورفضوا الحكم بشرع الله تعالى، ووالوا أعداءه وعادوا أولياءه؛ فبانت الهزيمة الفكرية والعملية اتجاه ديننا، وهذا يعطينا أمل أن نبذل سبل الحراك الجهادي، اتجاه قضية الأمة؛ لتحرير النفس من الميول الشيطاني منها[3] وتشمل على ما يلي:

أولًا: غاية الجهاد في سبيل الله تعالى:

البناء التربوي المؤصَّل، بوسائله الفردية والجماعية، بعيدًا عن المحدثات، والإفادة من التجارب الثرية التي سبق إليها العاملون في حقل الدعوة والتربية والتعليم، مع التركيز على التربية الجهادية وإعداد الأمة؛ لمواجهة التحديات في حاضرها ومستقبلها[4]، ومنطلق ذلك من قوله تعالى: **﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾** [الأنفال: 65]، وقوله تعالى: **﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾** [الأنفال: 39]، وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **(جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَلْسِنَتِكُمْ، وَأَنْفُسِكُمْ، وَأَمْوَالِكُمْ، وَأَيْدِيكُمْ)**[5].

---

(1) انظر: المقدمة في فقه العصر، د. فضل بن عبد الله مراد (2/ 732).

(2) المستدرك على الصحيحين، الحاكم، كتاب معرفة الصحابة ﷺ، ذكر مناقب أبي طلحة زيد بن سهل الأنصاري ﷺ (3/ 397) رقم الحديث (5503)، وقال الحاكم، لم يكتبه بهذا الإسناد، ورواته عن آخرهم ثقاتٌ.

(3) انظر: التربية الجهادية في ضوء الكتاب والسنة، عبد العزيز بن ناصر الجليل (ص: 67).

(4) انظر: افتتاحية موقع المسلم، أ. د. ناصر بن سليمان العمر.

(5) مسند أحمد، أحمد، مسند أنس بن مالكٍ ﷺ، مسند المكثرين من الصحابة (20/ 26)، رقم الحديث (12555)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

ثانيًا: أصول التربية الجهادية للنفس:

الجهاد في سبيل الله تعالى من أعظم وسائل التربية للنفس، وتزكيتها باطنًا وظاهرًا؛ فكم من الأخلاق الفاضلة وأعمال القلوب الزكية لا يمكن إصلاحها والوصول بها إلى كمالها أو قرب كمالها إلا بالجهاد في سبيل الله تعالى، وبدون الجهاد ستبقى هذه الأعمال ضعيفة أو يصعب على العبد تكميلها وهو قاعد[1].

ثالثًا: التربية الجهادية في واقعنا المعاصر:

البيت المسلم يجب أن يعتني بتربية أبنائه تربية جهادية، وهي من الأمور التي نحتاجها في هذا العصر، بمعنى أننا يجب ألَّا نربي أبناءنا على الترف والدعة، وعلى حب اللذة والمتعة، بل على العكس، نعلمهم على الشدة والقوة، والتضحية والفداء، نعلمهم على أن هذا الدين الذي أكرمنا الله به هو رأس مالنا، وأنه يستحق أن نفديه بأرواحنا، وأن نضحي بالغالي والنفيس من أجله[2]، وهذا أمر يشهد له التأريخ كما يشهد له الواقع؛ فما من مكان علت فيه راية الجهاد إلا وشعر المسلمون فيه بالعزة، وخاف أعداء الله الكفرة من تكبيرات المجاهدين وتضحياتهم[3].

وقال بسام بن خليل الصفدي: "إن المسلم بهذه الأيام لا ينقضي عجبه وهو يرى الكفار والمشركين تتحد كلمتهم، ويجتمع صفهم في قتال المسلمين، لا يجمعهم في ذلك دين ولا عقيدة في كثير من الأحيان، أنما هي مصالح وسياسات، فكيف بمن أكرمهم الله بهذا الدين، ومنَّ عليهم بهذه النعمة، يخذل بعضهم بعضا، ويُسلِمون إخوانهم إلى عدوهم، بل يقفون مع الأعداء ضد إخوانهم من الموحدين، فهذا –لعمر الله– الكفر الصُراح، والردة السافرة"[4].

رابعًا: مقارنة بين الجيل الحاضر والجيل الأول:

إن للتربية الجهادية أهمية كبرى في حياة الأمم والأفراد، وحين نجري مقارنة سريعة بين الجيل الحاضر الذي نجده الآن وبين الجيل الأول نجد فرقًا كبيرًا جدًا.

---

(1) انظر: التربية الجهادية في ضوء الكتاب والسنة، عبد العزيز بن ناصر الجليل (ص: 45).

(2) انظر: ما البديل؟، عبدالملك القاسم (12/ 145).

(3) انظر: معوقات الخلافة الإسلامية وسبل إعادتها، د. سعد عبد الله عاشور (ص: 26).

(4) الفتن والملاحم وأشراط الساعة في بلال الشام "دراسة موضوعية في السنة النبوية" (ص: 161).

1- حال الجيل الأول:

فجيل الصحابة ﷺ ومن بعدهم، كان كل فرد يسلم، يحمل على عاتقه هم الدفاع عن الإسلام بالقول والعمل، وباللسان والسنان، ففي مكة حين بايع الرسول ﷺ الأنصار بيعة العقبة الثانية، كانوا يسمون هذه البيعة: بيعة الحرب، فعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ﷺ (ت: 34)، وَكَانَ أَحَدَ النُّقَبَاءِ، قَالَ: "بَايَعْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ بَيْعَةَ الْحَرْبِ، وَكَانَ عُبَادَةُ مِنَ الِاثْنَيْ عَشَرَ الَّذِينَ بَايَعُوا فِي الْعَقَبَةِ الْأُولَى عَلَى بَيْعَةِ النِّسَاءِ، فِي السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي عُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَمَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَلَا نُنَازِعُ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، وَأَنْ نَقُولَ بِالْحَقِّ حَيْثُمَا كُنَّا لَا نَخَافُ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ"[(1)]، وعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَبِثَ عَشْرَ سِنِينَ يَتَّبِعُ الْحَاجَّ فِي مَنَازِلِهِمْ فِي الْمَوْسِمِ وَبِمَجَنَّةٍ وَبِعُكَاظٍ، وَبِمَنَازِلِهِمْ بِمِنًى يَقُولُ: **(مَنْ يُؤْوِينِي، مَنْ يَنْصُرُنِي حَتَّى أُبَلِّغَ رِسَالَاتِ رَبِّي وَلَهُ الْجَنَّةُ؟")** فَلَا يَجِدُ أَحَدًا يَنْصُرُهُ وَيُؤْوِيهِ" وهذا مصيبة لأي داعية يدعوهم إلى الله تعالى، والنصح والإرشاد، ثم تجد من يفر منك، وآخر يحذر منك، وآخر يحاربك، وثلة قليلة تنصرك، "ثُمَّ بَعَثَنَا اللهُ تعالى، فَأْتَمَرْنَا، وَاجْتَمَعْنَا سَبْعُونَ رَجُلًا مِنَّا، فَقُلْنَا: حَتَّى مَتَى نَذَرُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُطْرَدُ فِي جِبَالِ مَكَّةَ، وَيَخَافُ، فَرَحَلْنَا حَتَّى قَدِمْنَا عَلَيْهِ فِي الْمَوْسِمِ، فَوَاعَدْنَاهُ شِعْبَ الْعَقَبَةِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، عَلَامَ نُبَايِعُكَ؟ قَالَ: **(تُبَايِعُونِي عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي النَّشَاطِ وَالْكَسَلِ، وَعَلَى النَّفَقَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَعَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَعَلَى أَنْ تَقُولُوا فِي اللهِ لَا تَأْخُذُكُمْ فِيهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ، وَعَلَى أَنْ تَنْصُرُونِي إِذَا قَدِمْتُ يَثْرِبَ، فَتَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ وَأَزْوَاجَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ وَلَكُمُ الْجَنَّةُ)**، فَقُمْنَا نُبَايِعُهُ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ وَهُوَ أَصْغَرُ السَّبْعِينَ، فَقَالَ: "رُوَيْدًا يَا أَهْلَ يَثْرِبَ"، تصور أنت الآن أمام جماعة يؤمنون لأول مرة، ويبايعون الرسول ﷺ على الإسلام، فيقوم بينهم شاب فتى فيقول لهم بلهجة الواثق العالم الخبير "إِنَّا لَمْ نَضْرِبْ إِلَيْهِ أَكْبَادَ الْمَطِيِّ إِلَّا وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ، إِنَّ إِخْرَاجَهُ الْيَوْمَ مُفَارَقَةُ الْعَرَبِ كَافَّةً، وَقَتْلُ خِيَارِكُمْ، وَأَنْ تَعَضَّكُمُ السُّيُوفُ، فَإِمَّا أَنْتُمْ قَوْمٌ تَصْبِرُونَ عَلَى السُّيُوفِ إِذَا مَسَّتْكُمْ، وَعَلَى قَتْلِ خِيَارِكُمْ، وَعَلَى مُفَارَقَةِ الْعَرَبِ كَافَّةً، فَخُذُوهُ وَأَجْرُكُمْ عَلَى اللهِ، وَإِمَّا أَنْتُمْ قَوْمٌ تَخَافُونَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ خِيفَةً فَذَرُوهُ، فَهُوَ أَعْذَرُ عِنْدَ اللهِ"، قَالَوا: يَا أَسْعَدُ بْنَ زُرَارَةَ أَمِطْ عَنَّا يَدَكَ، فَوَاللهِ لَا نَذَرُ هَذِهِ الْبَيْعَةَ، وَلَا نَسْتَقِيلُهَا، فَقُمْنَا إِلَيْهِ رَجُلًا رَجُلًا يَأْخُذُ عَلَيْنَا بِشُرْطَةِ الْعَبَّاسِ، وَيُعْطِينَا عَلَى ذَلِكَ الْجَنَّةَ[(2)].

---

(1) مسند أحمد، أحمد، تتمة مسند الأنصار، حديث عبادة بن الصامت (37/ 373) رقم الحديث (22700)، وقال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح.

(2) مسند أحمد، أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند جابر بن عبد الله ﷺ (23/ 22) رقم الحديث (14653)، وقال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح.

إذًا: هؤلاء القوم يضعون أقدامهم في طريق الإسلام أول مرة، ولم يمر على دخولهم في الإسلام غير ساعات يسيرة، بل ربما دقائق، ومع ذلك لو دعاهم إلى الجهاد وبذل النفس في سبيل الله، ما تخلف منهم أحد، هذه هي النفس التي نريدها من أبنائنا ومجاهدينا اتجاه دينهم كما قال الشاعر:

ننازل الموت إذا الموت نزل * والموت أشهى عندنا من العسل[1]**

والدلالة التي تعلو على الريب في معركة مؤتة: أن شجاعة المسلمين وبسالتهم، بلغتا حدّا لم تعرفه أمة معاصرة، وقد أكسبهم هذا الروح العالي إقداما، حقّر أمامهم كبرياء الأمم التي عاشت مع التأريخ دهرا تصول وتجول، وحسبك أن جيش مؤتة، لما عاد إلى المدينة قابله الصبية بصيحات الاستنكار يقولون: يا فرّار!، فررتم في سبيل الله[2].

إنَّ أولئك الصغار الأغرار يرون انسحاب خالد ومن معه فرارا، يقابل بحثو التراب، أيّ جيل قويّ نابه، هذا الجيل الذي صنعه الإيمان بالحق؟! أيّ نجاح بلغته رسالة الإسلام في صياغة أولئك الأطفال العظام؟ من اباؤهم؟ من أمهاتهم؟ كيف كان الاباء يربون؟ وكيف كانت الأمهات يدللن؟[3].

2- حالنا اليوم:

أما اليوم فإنك تجد أن كثيرًا من المسلمين، ممن ولدوا في الإسلام ونشأوا وتربوا، وقد يكون الواحد منهم، ابن سبعين أو ثمانين سنة، وهو لا يفقه من أمر الإسلام إلا القليل، ولا يملك من الاستعداد للتضحية في سبيل الإسلام إلا اليسير، وهنا ندرك الفرق الكبير بين الجيل الأول الذي ذاق مرارة الجاهلية وقاساها، ثم دخل في الإسلام عن طواعية واختيار وإصرار، وبين أجيال من ذراري المسلمين، أخذت الإسلام بالوراثة، ولم تفقه من أمره شيئًا، ولذلك لم يكن لديها استعداد للتضحية في سبيل هذا الدين، وهنا تكمن المشكلة.[4]

---

(1) تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، الطبري (4/ 518).

(2) عن أم سلمة ﵂، أنها قالت لامرأة سلمة بن هشام بن المغيرة: "ما لي لا أرى سلمة يحضر الصلاة مع رسول الله ﷺ ومع المسلمين؟" قالت: والله ما يستطيع أن يخرج، كلما خرج صاح به الناس: "يا فرار، أفررتم في سبيل الله ﷺ حتى قعد في بيته فما يخرج، وكان في غزوة مؤتة مع خالد بن الوليد ﵁". انظر: المستدرك على الصحيحين، الحاكم، كتاب المغازي (3/ 45)، وقال الحاكم: هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط مسلمٍ، ولم يخرجاه.

(3) انظر: فقه السيرة، الغزالي (ص: 370).

(4) انظر: التربية الجهادية، سلمان العودة.

خامسًا: مخاطر ترك التربية الجهادية والجهاد:

1- إن المسلمين اليوم يقاسون من الذلة والمهانة وتسلط الأعداء؛ وما ذلك إلا من الإعراض عن الدين وحب الدنيا وترك الجهاد، فعن ثوبانَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: **(يوشِكُ الأُممُ أن تَداعَى عليكم كما تَداعَى الأَكَلَةُ إلى قَصْعَتِها)** فقال قائل: ومن قلَّةٍ نحن يومئذٍ؟ قال: **(بل أنتم يومئذٍ كثيرٌ، ولكنَّكم غُثاءٌ كغثاء السَّيلِ، ولَيَنْزِعَنَّ اللهُ مِن صدورِ عدوِّكم المهابةَ منكم، وليقذفنَّ اللهُ في قلوبِكم الوَهْنَ)**، فقال قائلٌ: يا رسُولَ الله، وما الوهنُ؟ قال: **(حبُّ الدُنيا وكراهيةُ الموتِ)**[1]، ويصف ابن القيم (ت: 751): الذين يهملون الأعمال العظيمة؛ فيقول: "وأما الجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصيحة لله ورسوله وعباده، ونصرة الله ورسوله ودينه وكتابه؛ فهذه الواجبات لا تخطر ببالهم فضلًا عن أن يريدوا فعلها، وفضلًا عن أن يفعلوها، وأقل الناس دينًا وأمقتهم إلى الله من ترك هذه الواجبات، وإن زهد في الدنيا جميعها، وقَلَّ أن ترى منهم من يَحْمَرُّ وجهه ويمعَّره لله ويغضب لحرماته، ويبذل عرضه في نصرة دينه"[2].

2- ترك الجهاد في سبيل الله، سبب للهلاك في الدنيا والآخرة، إضعافًا لعقيدة الولاء والبراء، وهذا ما يفهم من قوله تعالى: **﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾** [البقرة: 195].

3- بترك الجهاد، يفشو الشرك والظلم ويعلو الكفر وأهله، ويستعبد الناس بعضهم بعضًا، ولا يخفى ما في ذلك من الشقاء والتعاسة والفساد الكبير على الناس بقوله تعالى: **﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾** [الحج: 40].

4- ترك الجهاد فيه تفويت لمصالح عظيمة في الدارين؛ منها الأجر العظيم الذي أعده الله للمجاهدين والشهداء في الآخرة، ومنها الحياة العزيزة في الدنيا، وإقامة شرع الله تعالى.

سادسا: أهمية المرأة في تعزيز التربية الجهادية:

دور المرأة في هذه المرحلة يجب أن يكون الحفاظ على الأسرة بتربية النشء التربية الجهادية الصحيحة، حتى تستطيع أن ترسل المجاهدين إلى ساحات الوغى، وميادين القتال،

---

(1) سنن أبي داود، أبو داود، أول كتاب الملاحم، باب في تداعي الأمم على الإسلام (6/ 355) رقم الحديث (4297)، وقال شعيب الأرنؤوط: حديث حسن.

(2) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: 146).

وهو أحد الأدوار البارزة التي لعبتها المرأة المسلمة؛ فكم من أم احتضنت ابنها، ورعت جهاده، وباركت سعيه، ووقفت تودعه، بكل عظمة وجرأة وشموخ وإباء، على أعتاب تنفيذ عملية، دون أن يبدر عنها أي تردد، أو يخالجها تراجع أو نكوص، إنها الأم المؤمنة التي تستودع أبناءها عند ربها في جنات ونهر، في مقعد صدق عند مليك مقتدر[1].

التوجيهات التربوية من خلال التربية الجهادية للأمم والفرد:

1- وحدة صف المسلمين واجتماع كلمتهم: حيث إن استقراء التأريخ يدل على أن الجهاد في سبيل الله تعالى يوحد صفوف المسلمين، ويضيق أبواب الخلاف، وما من وقت كان المسلمون يقارعون فيه أعداءهم الكفار، إلا وكانوا فيه في غاية الإخاء والاتحاد، وما كانوا ينتهون من غزوة أو معركة إلا ويدخلون في أخرى، ولم يجد الخلاف إليهم سبيلا، والعكس من ذلك يحدث عندما يعطل الجهاد، وينشغل المسلمون بعضهم ببعض[2].
2- الاهتمام بالتربية الإيمانية والجهادية والعقلية والنفسية والمالية والإعلامية والجسمية بالتدريب على جميع الأسلحة.
3- تربية أبنائنا تربية جهادية، نعلمهم على الشدة والقوة، والتضحية، لا على الترف والدعة، وعلى حب اللذة والمتعة.
4- بالتربية الجهادية يصلح المجتمع، وتعز الأمة، وتستغل طاقات الشباب؛ بما يخدم المصالح الدينية والدنيوية.
5- المرأة لها دور كبير في الحفاظ على الأسرة؛ بتربية النشء، التربية الجهادية.

المطلب الثالث: الأمر بالإعداد للجهاد.

بعد الحديث عن خيانة العهد والغدر من اليهود والمنافقين وبعض المشركين، جاءت الآيات تسلية للنبي ﷺ على ما بدأه به أعداؤه من الخيانة، مثل ما فعلت قريظة، وما فعل عبد الله بن أبي سلول، وغيرهم من فلول المشركين الذين نجوا يوم بدر، وطمأنة له وللمسلمين بأنهم سينالون منهم، ويأتون على بقيتهم، وفيها أيضا تهديد للعدو بأن الله سيمكن منهم المسلمين، وقد قام النبي ﷺ بالإعداد بما يلي[3].

---

(1) انظر: المرأة الفلسطينية في دائرة الاستهداف الصهيوني، م. إسماعيل عبد اللطيف الأشقر، وأ. مؤمن محمد غازي بسيسو (ص: 222).

(2) انظر: التربية الجهادية في ضوء الكتاب والسنة، عبد العزيز بن ناصر الجليل (ص: 46).

(3) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (10/ 53).

أولًا: الحث على الإعداد بالرمي:

كان النبي ﷺ يحث أصحابه على إتقان الرمي والفروسية واستعمال الأسلحة والتدريب عليها، وبهذا قال الرازي (ت:606): "إن الاستعداد للجهاد بالنبل والسلاح وتعليم الفروسية والرمي فريضة، إلا أنه من فروض الكفايات"[1]، فعن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ، يَقُولُ: **﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾** [الأنفال: 60]، **(أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ)**[2]، قال السدي (ت: 127): "القوة السلاح"، وذهب الطبري إلى عموم اللفظة، والْخَيْل والمركوب في الجملة، والمحمول عليه من الحيوان والسلاح كله، والملابس الباهية، والآلات والنفقات كلها داخلة في القوة، ولما كانت الخيل هي أصل الحروب وأوزارها، والتي عقد الخير في نواصيها، وهي أقوى القوة وحصون الفرسان خصها الله بالذكر تشريفا لها[3].

وفضل الرمي عظيمٌ ومنفعته عظيمةٌ للمسلمين، ونكايته شديدةٌ على الكافرين، فعن سَلَمَةَ ابْنِ الأَكْوَعِ ﵁، قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى نَفَرٍ مِنْ أَسْلَمَ يَنْتَضِلُونَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **(ارْمُوا بَنِي إِسْمَاعِيلَ، فَإِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ رَامِيًا ارْمُوا، وَأَنَا مَعَ بَنِي فُلاَنٍ)** قَالَ: فَأَمْسَكَ أَحَدُ الفَرِيقَيْنِ بِأَيْدِيهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(مَا لَكُمْ لاَ تَرْمُونَ؟)**، قَالُوا: كَيْفَ نَرْمِي وَأَنْتَ مَعَهُمْ؟ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **(ارْمُوا فَأَنَا مَعَكُمْ كُلِّكُمْ)**[4]، وعَنْ عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ ﵁ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **(مَنْ رَمَى الْعَدُوَّ بِسَهْمٍ، فَبَلَغَ سَهْمُهُ الْعَدُوَّ، أَصَابَ أَوْ أَخْطَأَ، فَعَدْلُ رَقَبَةٍ)**[5]، وهذا يتطلب إعداد القوة علما وعملا ودراية وخبرة، ويجب على المسلمين أن يكونوا سباقين في كل الميادين، وإلا كانوا كلهم آثمين لتقصيرهم فيما أوجبه ﷻ عليهم في هذه الآية[6].

---

(1) التفسير الكبير (15/ 499).

(2) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الرمي والحث عليه، وذم من علمه ثم نسيه (3/ 1522) رقم الحديث (167).

(3) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية (2/ 545).

(4) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب التحريض على الرمي (4/ 38) رقم الحديث (2899).

(5) سنن ابن ماجه، ابن ماجة، أبواب الجهاد، باب الرمي في سبيل الله (4/ 90) رقم الحديث (2812)، وقال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح.

(6) انظر: أسباب النصر في سورة الأنفال، عبد الحميد محمود طماز (ص: 78).

ثانيًا: الحث على إعداد الخيل وما يوازيها في زمننا:

الله ﷻ يخاطب الناس بما يعقلون في عصر تنزيل الآيات، ولهذا لم يذكر ما نتسمَّى به في عصرنا من الأسلحة الخفيفة والثقيلة؛ لأن الأمر بالمستطاع موجه إلى الأمة في كل زمان ومكان، كسائر خطابات التشريع، حتى ما كان منها واردا في سبب معين، ومن قواعد الأصول: "أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب"[1]، فالواجب على المسلمين في هذا العصر بنص القرآن، صنع المدافع بأنواعها، والبنادق والدبابات والطيائرات والمناطيد وإنشاء السفن الحربية بأنواعها، ومنها الغواصات التي تغوص في البحر، ويجب عليهم تعلم الفنون والصناعات التي يتوقف عليها، وغيرها من الأسلحة الفتاكة[2].

ورباط الخيل في سبيل الله تعالى لها فضلٌ عظيمٌ ومنزلةٌ شريفةٌ، وقد كان لعروة البارقي سبعون فرسًا معدةٌ للجهاد[3]، وعن عُرْوَةُ البَارِقِيُّ ﷺ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **(الخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الخَيْرُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ: الأَجْرُ وَالمَغْنَمُ)**[4]، وعن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ يَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **(مَنِ احْتَبَسَ فَرَسًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِيمَانًا بِاللَّهِ وَتَصْدِيقًا بِوَعْدِهِ، فَإِنَّ شِبَعَهُ وَرِيَّهُ وَرَوْثَهُ وَبَوْلَهُ فِي مِيزَانِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ)**[5]، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **(الخَيْلُ لِثَلاَثَةٍ: لِرَجُلٍ أَجْرٌ، وَلِرَجُلٍ سِتْرٌ، وَعَلَى رَجُلٍ وِزْرٌ، فَأَمَّا الَّذِي لَهُ أَجْرٌ: فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَأَطَالَ فِي مَرْجٍ أَوْ رَوْضَةٍ، فَمَا أَصَابَتْ فِي طِيَلِهَا ذَلِكَ مِنَ المَرْجِ أَوِ الرَّوْضَةِ كَانَتْ لَهُ حَسَنَاتٍ، وَلَوْ أَنَّهَا قَطَعَتْ طِيَلَهَا فَاسْتَنَّتْ شَرَفًا أَوْ شَرَفَيْنِ كَانَتْ أَرْوَاثُهَا وَآثَارُهَا حَسَنَاتٍ لَهُ، وَلَوْ أَنَّهَا مَرَّتْ بِنَهَرٍ، فَشَرِبَتْ مِنْهُ وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يَسْقِيَهَا كَانَ ذَلِكَ حَسَنَاتٍ لَهُ، وَرَجُلٌ رَبَطَهَا فَخْرًا وَرِئَاءً، وَنِوَاءً لِأَهْلِ الإِسْلاَمِ فَهِيَ وِزْرٌ عَلَى ذَلِكَ)** وَسُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺعَنْ الحُمُرِ، فَقَالَ: **(مَا أُنْزِلَ عَلَيَّ فِيهَا إِلَّا هَذِهِ الآيَةُ الجَامِعَةُ الفَاذَّةُ): ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾** [الزلزلة: 8][6]، وعَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ، قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَيُّ العَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: **(إِيمَانٌ بِاللَّهِ، وَجِهَادٌ فِي سَبِيلِهِ)**، قُلْتُ: فَأَيُّ الرِّقَابِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: **(أَعْلاَهَا ثَمَنًا، وَأَنْفَسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا)**، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ

---

(1) الفروق، القرافي (1/ 180).

(2) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا (10/ 53).

(3) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (8/ 36).

(4) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الجهاد والسير، بابٌ: الجهاد ماضٍ مع البر والفاجر (4/ 28) رقم الحديث (2852).

(5) المرجع نفسه (4/ 28)، رقم الحديث (2853).

(6) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الجهاد والسير، بابٌ: الخيل لثلاثةٍ (4/ 29) رقم الحديث (2860).

أَفْعَلْ؟ قَالَ: (**تُعِينُ ضَايِعًا، أَوْ تَصْنَعُ لِأَخْرَقَ**)،: قَالَ: فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ؟ قَالَ: (**تَدَعُ النَّاسَ مِنَ الشَّرِّ، فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ تَصَدَّقُ بِهَا عَلَى نَفْسِكَ**)[1]، وعَنْ نَافِعٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ﵄، (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَابَقَ بَيْنَ الخَيْلِ الَّتِي أُضْمِرَتْ مِنَ الحَفْيَاءِ، وَأَمَدُهَا ثَنِيَّةُ الوَدَاعِ، وَسَابَقَ بَيْنَ الخَيْلِ الَّتِي لَمْ تُضْمَرْ مِنَ الثَّنِيَّةِ إِلَى مَسْجِدِ بَنِي زُرَيْقٍ)[2].

لكن السؤال الذي يطرح نفسه لِمَ خص الرمي والخيل بالذكر؟

الجواب: إنَّ الخيل لما كانت أصل الحروب وأوزارها التي عقد الخير في نواصيها، وهي أقوى القوة وأشد العدة وحصون الفرسان، وبها يجال في الميدان، خصها بالذكر تشريفًا، وأقسم بغبارها تكريمًا، فقال: ﴿**وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا**﴾ [العاديات: 1]، ولما كانت السهام، من أنجع ما يتعاطى في الحروب والنكاية في العدو وأقربها تناولًا للأرواح، خصها رسول الله ﷺ بالذكر لها والتنبيه عليها[3].

ثالثًا: الحث على إعداد القوة بإرهاب العدو:

تلفت الآيات إلى إعداد أسباب القوة التي تجعل عدوهم يهابهم، ويحافظ على عهوده ومواثيقه معهم، وذلك بإعداد القوة من عزة ومنعة ورهبة، ﴿**تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ**﴾ [الأنفال: 60]، يعني تخيفون به ﴿**عَدُوَّ اللَّهِ**﴾، أي: عدوكم من اليهود وقريشٍ وكفار العرب، ﴿**وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ**﴾، يعني فارس والروم، قاله السدي (ت: 127)، وقيل: الجن، وهو اختيار الطبري، وقيل: المراد بذلك كل من لا تعرف عداوته، ﴿**وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ**﴾، أي: تتصدقوا، وقيل: تنفقوه على أنفسكم أو خيلكم، ﴿**فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ**﴾، في الآخرة، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة، إلى أضعاف كثيرة، ﴿**وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ**﴾[4]، وهي القوة العلمية والعسكرية التي يمكن أن يواجه بها أقصى ضربات العدو؛ بقوة

---

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب العتق، ابابٌ: أي الرقاب أفضل (3/ 144) رقم الحديث (2518).

(2) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الصلاة، بابٌ: هل يقال مسجد بني فلانٍ؟ (1/ 91) رقم الحديث (420).

(3) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (8/ 37).

(4) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (8/ 38).

المهاجمة والانقضاض عليه والإثخان به وتدميره، وأن يوقع بهم أفدح الخسائر، وهذا لا يكفي بل لا بد من احتلال مواقعهم واستئصال ما تبقى من قوتهم[1].

فلا بد للإسلام من قوة ينطلق بها في الأرض لتحرير الإنسان من عبودية العباد، ومن الظلم المجحف على الإسلام، باسم وصف الإرهاب المنبوذ على مستوى الإنسانية، بل أن ديننا يأمرنا أن نسعى في أن نرهب أعدائنا بعزة الإسلام، وأن نرهب أعداء هذا الدين، فلا يفكروا في الاعتداء على دار الإسلام التي تحميها تلك القوة الإيمانية، بل وأن يبلغ الرعب بهؤلاء الأعداء أن لا يفكروا في الوقوف في وجه المد الإسلامي، وهو ينطلق لتحرير الإنسان كله في الأرض كلها.

ويرى الباحث أن الإسلام بدأ يعود إلى قوته وعزته؛ لأن الشعوب الإسلامية عانت من الانحلال الأخلاقي، وبدأ يتوجه إلى مشروع المد الإسلامي؛ لتطبيق الإسلام كمنهج حياة، وخاصة الشعب الفلسطيني الذي بدأ بإعداد العدة أمام العدو منذ زمن بالعلم والسلاح؛ فكم كانت غزة تفتقر إلى طلبة العلم والعلماء وغيرها، وكم صار لها باع طويل من طلبة العلم والعلماء في شتى المجالات، والشهادات العليا في جميع التخصصات، والجامعات العامة والخاصة بتعليم دولي، والمؤسسات، وغيرها من جوانب الارتقاء في الجانب المدني.

وكذلك بدأت المقاومة الفلسطينية بصد العدوان الصهيوني الذي أثبت بعد الحروب، أنه أوهن من بيت العنكبوت، وذلك أولًا بالسلاح الأبيض، ثم السلاح الخفيف؛ لينتقل الآن إلى صواريخ تدك العدو، ناهيك عن الأنفاق والوحدات البحرية؛ للصد والنيل من العدو من فوق الأرض ومن تحتها، ومن البحر والجو، وهذا يؤكد أنه لا يجوز للعصبة المسلمة القعود عن سبب من أسباب القوة والرقي؛ لمواجهة التحديات أمام النصر أو الشهادة في سبيل الله تعالى.

رابعًا: فوائد إرهاب العدو يفيد أمورا كثيرة:

1- أنهم لا يقصدون دخول دار الإسلام.
2- أنه إذا اشتد خوفهم فربما التزموا من عند أنفسهم جزية.
3- أنه ربما صار ذلك داعيا لهم إلى الإيمان.
4- أنهم لا يعينون سائر الكفار.

---

(1) انظر: الدراسات التحليلية لمقاصد وأهداف الحرب التاسع من القرآن الكريم (الأنفال "41-75" والتوبة "1-33)، منال عوني عاشور، (ص: 98)،

التوجيهات التربوية من خلال الأمر بالإعداد للجهاد:

1- الاستعداد الدائم لمواجهة وإرهاب الأعداء، بجميع أوجه الإعداد المادي والمعنوي والفني والمالي، بما يناسب كل عصر وزمان ومنعه من التفكير في العدوان على الأمة والمقدسات.

2- التربية على الجندية، وإعداد عدة القتال، وذلك بالمستطاع، بل بأقصى ما يستطاع[1]، حتى يعلم كل أحد ينتمي إلى الإسلام، أن العزة لهذه الأمة مربوطة بالجهاد في سبيل الله[2].

3- إضعاف العدو يكون: بقوة الرمي أولًا، ثم الهجوم عليه ثانيا للقضاء عليه.

4- الاستعداد للجهاد بالتعلم على السلاح والفروسية والرمي فريضة، إلا أنه من فروض الكفايات، والتحذير من نسيانه.

5- لا يخلو المسلمون من أعداء، ما داموا بحق مسلمين، لأن قوى الشر من إنس وجن كلها عدو لهم.

6- الإسلام يمنع ويعاقب بأشد العقوبات في مسألة أمن وسلامة المجتمع؛ فيقطع يد من يرهب الناس ويأخذ أموالهم[3].

7- الإنفاق الضروري للتسليح؛ لأن تحقيق النصر والإعداد الملائم لا يكون إلا بالمال.

المطلب الرابع: حكم التولي يوم الزحف.

نهى الله تعالى المسلمين المجاهدين عن أن يفروا من المعركة فقال الله تعالى: **﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ (15) وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الأنفال: 15، 16]**، وجعل النبي محمد ﷺ التولي من الزحف من الموبقات، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ)**، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: **(الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ**

---

(1) انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة (6/ 3174).

(2) انظر: الوقت وأهميته في حياة المسلم، علي بن نايف الشحود (2/ 119).

(3) انظر: التربية الإسلامية وتحديات العصر، عبد الرحمن بن عبد الله الفاضل (ص: 58).

الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ الغَافِلاَتِ)[1]، "فالفرار كبيرةٌ موبقةٌ بظاهر القرآن والحديث وإجماع الأكثر من الأئمة"[2]، وأما الهرب من الزحف، إذا زاد عدد الأعداء عن ضعف المسلمين فهو مباح[3]، فعن عبد الله بن عمر ﷺ قال: (كنتُ في سريَّةٍ في سرايا رسول الله ﷺ فحاص الناس حيْصةً، وكنت فيمن حاص[4]، فقلنا: كيف نصنع وقد فَرَرنا من الزحف وبُؤنا بالغضب؟!، ثم قلنا: لو دخلنا المدينةَ فبِتْنا، ثم قلنا: لو عَرَضْنا أنفسَنا على رسول الله ﷺ فإن كانت له توبةٌ، وإلا ذهبنا، فأتيناه قبل صلاة الغداة، فخرج فقال: **(مَن القومُ؟)**، قال: فقلنا: نحن الفرَّارون!، قال: **(لا، بل أنتم العَكَّارون**[5]**، أنا فِئتُكم، وأنا فِئَةُ المسلمين)**، قال: فأتيناه حتى قبّلنا يدَه)[6].

اعلم رحمك الله: أنه من معوقات النصر والفتن المهلكة، التولي يوم الزحف، حيث أمر الله تعالى عباده بالثبات عند لقاء العدو، وعدم الفرار إلا بحالات ثلاث:

أولا: التحرُّف للقتال: قال الله تعالى: ﴿**وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**﴾ **[الأنفال: 16]**، أي: ومن يولهم حين تلقونهم ظهره إلا متحرفا لمكان رآه أحوج إلى القتال فيه، أو لضرب من ضروبه رآه أنكى بالعدو؛ كأن يوهم خصمه أنه منهزم منه ليغريه باتباعه حتى إذا انفرد عن أنصاره كرّ عليه فقتله، أو منتقلا إلى فئة من المؤمنين في جهة غير التي كان فيها، ليشدَّ أزرهم وينصرهم على عدو تكاثر جمعه عليهم؛ فصاروا أحوج إليه ممن كان معهم[7].

ثانيا: التحيز إلى فئة: قال الله تعالى: ﴿**أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**﴾ **[الأنفال: 16]**، أي: إلى جماعة أخرى من المؤمنين، في جهة

---

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا، إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا**﴾ [النساء: 10] (4/ 10) رقم الحديث (2766).

(2) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية (2/ 510)، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي (7/ 380)

(3) انظر: التفسير المنير، الزحيلي (9/ 279).

(4) انهزم وانحرف، انظر: الفائق في غريب الحديث، الزمخشري (1/ 343).

(5) العكار الذي يحمل في الحروب تارة بعد تارة، انظر: غريب الحديث، ابن الجوزي (2/ 120).

(6) مسند أحمد، أحمد، مسند بني هاشم، مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب ﷺ (5/ 46) رقم الحديث (5384)، وقال أحمد محمد شاكر: إسناده صحيح.

(7) انظر: تفسير المراغي (9/ 179).

غير الجهة التي كان فيها، ليشد أزرهم، وينصرهم على عدو تكاثر جمعه عليهم، فصاروا أحوج إليهم ممن كان معهم[1]، ومعنى ﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ﴾، أي: أن يكون رجع القهقرى ليلتحق بطائفة من أصحابه فيتقوى بهم.

والفئة: الجماعة من الناس، وتطلق على مؤخرة الجيش، لأنها يفيء إليها من يحتاج إلى إصلاح أمره أو من عرض له ما يمنعه من القتال من مرض أو جراحة أو يستنجد بهم، فهو تول لمقصد القتال، وليس المراد أن ينحاز إلى جماعة مستريحين؛ لأن ذلك من الفرار، ويدخل في معنى التحيز إلى الفئة: الرجوع إلى مقر أمير الجيش للاستنجاد بفئة أخرى، وكذلك القفول إلى مقر أمير المصر الذي وجه الجيش للاستمداد بجيش آخر إذا رأى أمير الجيش ذلك من مصلحة المسلمين[2].

ثالثا: أن يكون عدد الكفار زائدًا عن ضعف عدد المسلمين: يجوز الفرار أثناء الحرب إذا كان العدو يزيد على المثلين، فإن كان مثلين فما دونهما؛ فإنه يحرم الفرار[3] لقوله تعالى: **﴿الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾** [الأنفال: 66]، قال الشافعي: "إذا غزا المسلمون فلقوا ضعفهم من العدو، حرم عليهم أن يولوا إلا متحرفين لقتال أو متحيزين إلى فئة، وإن كان المشركون أكثر من ضعفهم، لم أحب لهم أن يولوا، ولا يستوجبون السخط عندي من الله، لو ولوا عنهم على غير التحرَّف للقتال أو التحيز إلى فئة"[4].

وقال ابن قدامة (ت: 620): "وإذا كان العدو أكثر من ضعف المسلمين، فغلب على ظن المسلمين الظفر، فالأولى لهم الثبات، لما في ذلك من المصلحة، وإن انصرفوا جاز، وإن غلب على ظنهم الهلاك في الإقامة، والنجاة في الانصراف؛ فالأولى لهم الانصراف، وإن ثبتوا جاز، لأن لهم غرضًا في الشهادة[5]، وروي عن الإمام أحمد (ت: 241) أنه سئل عن الفرار من الزحف، فقال: "لا يفر رجل من رجلين فإن كانوا ثلاثة، فلا بأس"[6].

---

(1) انظر: حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، الهرري (10/ 372).

(2) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (9/ 290).

(3) انظر: فقه السنة، سيد سابق (2/ 655).

(4) الأم، الشافعي (4/ 179).

(5) المغني (9/ 319).

(6) زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج الجوزي (2/ 195).

التوجيهات التربوية من خلال حكم التولي يوم الزحف:

1- جعل الله ثلاث حالات جاز فيها للمجاهدين الفرار من المعركة وهي: التحريف للقتال، والتحيز إلى فئة، ومما زاد على الضعف.

2- الإسلام جعل الفرار من المعركة بدون عذر من الموبقات المهلكات، لما في ذلك من أثر سلبي على الأمة معنويا وماديا[1].

3- تربية الأصحاب ﷺ على بيع النفس في سبيل الله تعالى[2].

4- أيام الشدائد لا بد لها من تضحيات في النفس والمال والولد.

5- لا تجوز شهادة من فر من الزحف، ولا يجوز لهم الفرار وإن فر إمامهم[3].

6- الصحبة في الجهاد مهمة، وخاصة إذا صحب المسلم أخًا شجاعًا، قوي الإيمان؛ فإنه يقوي به ويثبته عند اللقاء؛ بخلاف إذا صحب إنسانًا جبانًا يخاف من خيال نفسه، فإنه مدعاة للخوف والهرب، وإن لم تبدأ المعركة.

7- كثرة الاستغفار، والتوبة إلى الله تعالى، وعدم الرجوع إلى الكبيرة وإن فر من الزحف فعن بِلَالِ بْنِ يَسَارِ بْنِ زَيْدٍ ﷺ، مَوْلَى النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي، يُحَدِّثُنِيهِ عَنْ جَدِّي، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **(مَنْ قَالَ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيَّ الْقَيُّومَ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، غُفِرَ لَهُ، وَإِنْ كَانَ قَدْ فَرَّ مِنَ الزَّحْفِ)**[4].

---

(1) انظر: منهجيات الإصلاح والتغير في سورتي الأنفال والتوبة (دراسة موضوعية)، عبد المؤمن إبراهيم الفقي (ص: 100).

(2) انظر: من هدي سورة الأنفال، المصري (ص: 226).

(3) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (7/ 382).

(4) سنن أبي داود، أبو داود، بابٌ في الاستغفار، باب تفريع أبواب الوتر (2/ 85) رقم الحديث (1517)، وقال الألباني: صحيح، انظر: صحيح وضعيف سنن أبي داود (ص: 2).

المبحث الثالث: توجيهات تربوية سياسية.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: علاقة المسلمين بغيرهم في السلم والحرب

المطلب الثاني: أحكام الأسرى في الإسلام

المطلب الثالث: ألوان مكر المشركين.

المبحث الثالث: توجيهات تربوية سياسية.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: علاقة المسلمين بغيرهم في السلم والحرب.

المسلمون لا بد لهم أن يعايشوا غيرهم، من الكفار المعاهدين أو الذميين أو المستأمنين أو الحربيين، وكل صنف من هؤلاء له أحكام منها:

أولًا: المعاهدون: وهم الذين يسكنون في بلادهم، وبينهم وبين المسلمين عهد وصلح وهدنة، وذلك ككفّار قريش وقت صلح الحديبية[1]، وككفار الدول الكافرة في عصرنا هذا، التي بينها وبين الحاكم المسلم، الذي يخضع المسلم لسلطانه عهود وسفارات، فيجوز أن يصالح المسلمون الكفار على السلم، وترك الحرب إذا كان في ذلك مصلحة للمسلمين، قال الله تعالى: **﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾** [الأنفال: 61][2]، فيصالح المسلمون أعداءهم بشرطين اثنين:

1- تحقق الضرورة والمصلحة.
2- أن لا يكون الصلح مؤبدًا[3].

"وإن بدءوا بخيانةٍ، وعلم ملكهم بها، قاتلهم من غير نبذٍ؛ لأنهم قد نقضوا العهد لما كان باختيار ملكهم"[4]، لقوله تعالى: **﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ (58) وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾** [الأنفال: 58، 59]، أي: فناجزهم بالحرب، وأعلمهم قبل حربك إياهم أنك قد فسخت العهد بينك وبينهم، بما كان منهم من ظهور أمارة الغدر والخيانة منهم، حتى تصير أنتَ وهم على سواء في العلم بأنك لهم محارب، فيأخذوا للحرب آلتها، وتبرأ من الغدر[5]، وقال ابن عاشور (ت:1393): "لما كان طلب السلم والهدنة من العدو، قد يكون خديعة حربية؛ ليغروا المسلمين بالمصالحة، ثم يأخذوهم على غرة، أيقظ الله رسوله لهذا الاحتمال؛ فأمره بأن يأخذ الأعداء على ظاهر حالهم، ويحملهم

---

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الصلح، بابٌ: كيف يكتب هذا: ما صالح فلان بن فلانٍ، وفلان بن فلانٍ، وإن لم ينسبه إلى قبيلته أو نسبه (3/ 184) رقم الحديث (2698).

(2) انظر: بداية المجتهد، ابن رشد (1/ 388).

(3) انظر: الثبات والشمول في الشريعة الإسلامية، د. عابد بن محمد السفياني (ص: 563).

(4) الاختيار لتعليل المختار، عبد الله بن محمود الموصلي البلدحي (4/ 121).

(5) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري (14/ 25).

على الصدق، لأنه الخلق الإسلامي، وشأن أهل المروءة، ولا تكون الخديعة بمثل نكث العهد؛ فإذا بعث العدو كفرهم على ارتكاب مثل هذا التسفل؛ فإن الله تكفل؛ للوفي بعهده، أن يقيه شر خيانة الخائنين"[1] لقوله تعالى: **﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾** [الأنفال: 62].

ثانيًا: الذِّمِّيون: وهم الكفار الذين يسكنون بلاد المسلمين، وصالحهم المسلمون على أن يدفعوا للمسلمين الجزية[2]؛ فيجوز السماح للكافر الموجود أصلًا في بلاد المسلمين، أو في بلاد يحكمها المسلمون؛ بالاستمرار في سكنى بلاد المسلمين؛ سوى جزيرة العرب، كما سيأتي في حال دفعهم الجزية للمسلمين لقوله تعالى: **﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (39) وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾** [الأنفال: 39، 40]، وقوله تعالى: **﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾** [التوبة: 29]، **فالجزية:** هي المال المقدر المفروض على الكافر إذا أقر في بلده على دينه من أجل حمايته؛ بقدر معين يحدده ولي الأمر، شريطة أن يكون من أهل الكتاب، وتكون مفروضة عليه في السنة [3].

ثالثًا: المستأمنون: وهم الذين يدخلون بلاد المسلمين بأمان من ولي الأمر، أو من أحد من المسلمين، فيجوز السماح للمشرك بدخول بلاد المسلمين، والإقامة فيها فترة مؤقتة للتجارة أو للعمل ونحوهما، إذا أمن شرهم وضررهم على المسلمين، قال الله تعالى: **﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْلَمُونَ﴾** [التوبة: 6]، وهذا الأمان يعرف الآن بـ"**تأشيرة الدخول**"، إذا دخل إلى دولة إسلامية بعقد أمان، فإنه يخرجه من نطاق أهل الحرب، إلى نطاق أهل العهد بقوله تعالى: **﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾** [الممتحنة: 8]، ويستثنى من ذلك جزيرة العرب، فلا يجوز دخولهم لها إلا للحاجة، ولا يسمح لهم بالاستيطان فيها، فعَنْ ابْنَ عَبَّاسٍ ﷺ، يَقُولُ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ **(أَخْرِجُوا**

---

(1) انظر: التحرير والتنوير (10/ 61).

(2) انظر: اختلاف الدارين وآثاره في أحكام الشريعة الإسلامية، عبد العزيز بن مبروك الأحمدي (1/ 137).

(3) انظر: شرح زاد المستقنع، الشنقيطي (138/ 14).

المُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ العَرَبِ)[1]؛ لكن إن كانت هناك حاجة تدعو إلى دخولهم لهذه الجزيرة، فلا بأس، كما أقر النبي ﷺ يهود خيبر على البقاء فيها للعمل للحاجة الماسة لعملهم فيها، ثم أجلاهم عمر ﷺ، لما زالت الحاجة إليهم[2].

رابعًا: الحربيون: وهم من عدا الأصناف الثلاثة السابقة من الكفار، وهم قسمان:

1- قسم بيننا وبينهم حرب قائمة.

2- قسم محايد: فهؤلاء لا مانع من الإعراض عنهم في بعض الأزمنة، إذا رأى ولي الأمر المصلحة في ذلك، فيشرع للمسلمين جهادهم وقتالهم بحسب الاستطاعة[3]، قال الله تعالى: **﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: 62]**، وقال تعالى: **﴿فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِيناً﴾** [النساء: 91][4].

ويرى فقهاء المسلمين في علاقة المسلمين بغيرهم، هل هي الحرب أم السلم، رأيين:

الأول: أن الأصل في علاقة المسلمين بغيرهم هو الحرب، وبهذا قال كثير من علماء الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة، واستدل أصحاب هذا القول بقوله تعالى: **﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾** [الحج: 39]، وقوله وتعالى: **﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ﴾** [البقرة: 216] وكذلك قوله تعالى: **﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾** [الأنفال: 39]، فهذه الآيات وما شابهها مما لم يُذكر، تدل على وجوب قتال الكفار مطلقًا دون قيد أو شرط، فعن ابْنِ عُمَرَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **(أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا**

---

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الجزية، باب إخراج اليهود من جزيرة العرب (4/ 99) رقم الحديث (3168).

(2) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الشروط، باب إذا اشترط في المزارعة إذا شئت أخرجتك (3/ 193) رقم الحديث (2730).

(3) انظر: مراتب الإجماع، ابن حزم (ص: 124).

(4) انظر: تسهيل العقيدة الإسلامية، ابن جبرين (ص: 596، 600).

الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلاَمِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ)[1]، وهذا يدل على أن الأمر بقتال الناس هو من أجل الدخول في الإسلام.

الثاني: أن أصل علاقة المسلمين بغيرهم هو السلم، واستدل أصحاب هذا الرأي بقوله تعالى: **﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾** [الأنفال: 61]، فالآية تحث المسلمين على قبول السلم من الكفار حين اللجوء إليه، وقوله تعالى: **﴿فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ [النساء: 90]**، فهذه الآيات وما شابهها مما لم يُذكر، تدل على الأمر بقبول السلم من الكفار إذا جنحوا إليه، وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى ﷺ، قال: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **(أَيُّهَا النَّاسُ، لاَ تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ العَدُوِّ، وَسَلُوا اللَّهَ العَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الجَنَّةَ تَحْتَ ظِلاَلِ السُّيُوفِ)**، ثُمَّ قَالَ: **(اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الكِتَابِ، وَمُجْرِيَ السَّحَابِ، وَهَازِمَ الأَحْزَابِ، اهْزِمْهُمْ وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ)**[2]، وجملة معناه: النهي عن تمنى المكروهات والتصدى للمحذورات، ولذلك سأل السلف العافية من الفتن والمحن؛ لأن الناس مختلفون في الصبر على البلاء[3].

والذي يترجح لدى الباحث: كما قال الزحيلي: "إن الأصل في علاقات المسلمين بغيرهم هو السلم، والحرب عارض لدفع الشر، وإخلاء طريق الدعوة ممن وقف أمامها، وتكون الدعوة إلى الإسلام بالحجة والبرهان، لا بالسيف والسنان"[4].

التوجيهات التربوية من خلال علاقة المسلمين بغيرهم في السلم والحرب:

1- المعاهدات بين المسلمين وغيرهم جائزة، ويجب الوفاء بها، ما لم يطرأ ما يقتضى نقضها.

2- المسلم يعاهد ليصون عهده؛ فإذا خاف الخيانة من غيره، نبذ العهد القائم جهرة وعلانية، ولم يخن ولم يغدر ولم يغش ولم يخدع وصارح الآخرين؛ بأنه نفض يده من عهدهم، فليس بينه وبينهم أمان[5].

---

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الإيمان، بابٌ: **﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم﴾** [التوبة: 5] (1/ 14) رقم الحديث (25).

(2) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الجهاد والسير، بابٌ: كان النبي ﷺ إذا لم يقاتل أول النهار أخر القتال حتى تزول الشمس (4/ 51) رقم الحديث (2965).

(3) انظر: شرح صحيح البخارى، ابن بطال (10/ 292).

(4) انظر: الولاء والبراء والعداء في الإسلام، أبو فيصل البدراني (ص: 66).

(5) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (1542/3).

3- بدء المسلمين بالصلح جائز، ما دام ذلك لجلب مصلحة لهم أو لدفع مفسدة عنهم.
4- قبول المسلمين لبعض الضيم جائز، ما دام في ذلك دفع لضرر أعظم.
5- الإسلام يؤثر السلم على الحرب.
6- يجب على المسلمين الاستعداد بكل ما يحقق الإرهاب للعدو من أصناف الأسلحة والأعلام والسياسة.
7- ينقض عهد الذمي بإسلامه، أو التحاقه بدار الحرب، أو امتناعه عن دفع الجزية، أو قتل مسلم، أو التجسس على المسلمين، ونحو ذلك[1].
8- ينقض عهد المستأمن بانقضاء المدة، أو إسلامه، أو التحاقه بدار الحرب، أو قتل مسلم، أو التجسس على المسلمين، أو نبذ الأمان[2].
9- من السياسة الحربية النافعة أن يضرب القائد عدوه بعنف وشدة ليكون عبرة لغيره من الأعداء.

المطلب الثاني: أحكام الأسرى في الإسلام

أولًا: الأسرى لغة وشرعًا:

1- **الأسير لغة:** الأسر في اللغة: هو الشَّد، والعصْب، والإمساك، والحبس، وهو مأخوذ من قول العرب: أسرت القتب، بمعنى شددته[3]، ومنه الأسير لأنه يشد بالقد، أي الإسار[4]، وكما تأتي هذه الكلمة، **الأسر**: بمعنى شدة الخلق، وتقويته[5]، "وأسره الله أسرًا خلقه خلقًا حسنًا، وقال تعالى: **﴿وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ﴾** [الإنسان: 28] أي: "قوينا خلقهم"[6]، ومنه أسرة الرجل، رهطه الذين يتقوى بهم[7].

---

(1) انظر: المبدع في شرح المقنع، ابن مفلح (3/ 389).
(2) انظر: البناية شرح الهداية، بدر الدين العينى (5/ 499).
(3) انظر: الطراز الأول والكناز لما عليه من لغة العرب المعول، ابن معصوم المدني (7/ 28).
(4) انظر: المعجم الاشتقاقي المؤصل، د. محمد حسن حسن جبل (2/ 990).
(5) انظر: تاج العروس، الزبيدي (10/ 48).
(6) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الحموي (1/ 14).
(7) انظر: مختار الصحاح، الرازي (ص: 16)، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي (25/2)، والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (ص: 38).

وقال أبو عمرو بن العلاء[1]: "الأسرى هم غير الموثقين عندما يؤخذون، والأسارى هم الموثقون ربطًا"[2].

2- **الأسرى شرعًا:** هم الرجال المقاتلون من الكفار إذا وقعوا في قبضة المسلمين أحياءً[3].

ثانيًا: تربية الله وعتابه لنبيه ﷺ وصحابته:

بعد أن ذكر ﷻ ما ينبغي أن يكون عليه المؤمنون في حال الغزو والجهاد، أمام أعدائهم الكافرين من الصبر والثبات على القتال، ومن تفضيل السلم إذا جنح العدو إليها، ذكر بعد ذلك أحكام الأسرى؛ لأن أمورهم يفصل فيها بعد القتال غالبا، كما وقع في وقعة بدر، وكما يقع في كل زمان، فقال تعالى: **﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾** [الأنفال: 67]، أي: ما كان من شأن نبي من الأنبياء ولا من سنته في الحرب، أن يكون له أسرى يتردد أمره فيهم بين المنّ والفداء إلا بعد أن يثخن في الأرض[4]، **﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾**، فيه عتاب من الله تعالى لنبيه ﷺ وصحابته، ممن وافقوا على أخذ الفدية، تريدون عرض الدنيا الفاني الزائل، والله يريد لكم ثواب الآخرة الباقي بما يشرعه لكم، لإعلاء كلمة الحق وإقامة العدل[5]، كما قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ "بَدْرٍ" وَالْتَقَوْا؛ فَهَزَمَ اللَّهُ الْمُشْرِكِينَ، وَقُتِلَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ رَجُلًا، وَأُسِرَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ رَجُلًا، واسْتَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعَلِيًّا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَؤُلَاءِ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةُ وَالْإِخْوَانُ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُمُ الْفِدْيَةَ، فَيَكُونَ مَا أَخَذْنَا مِنْهُمْ قُوَّةً لَنَا عَلَى الْكُفَّارِ، وَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ لِلْإِسْلَامِ فَيَكُونُوا لَنَا عَضُدًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ **(مَا تَرَى يَا ابْنَ الْخَطَّابِ)**، قَالَ: قُلْتُ وَاللَّهِ مَا أَرَى مَا رَأَى أَبُو بَكْرٍ وَلَكِنْ أَنْ تُمَكِّنَنِي مِنْ فُلَانٍ قَرِيبٍ لِعُمَرَ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ، وَتُمَكِّنَ عَلِيًّا مِنْ عَقِيلٍ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ، وَتُمَكِّنَ حَمْزَةَ مِنْ فُلَانٍ أَخِيهِ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ، حَتَّى يَعْلَمَ اللَّهُ تعالى أَنَّهُ لَيْسَ فِي قُلُوبِنَا هَوَادَةٌ لِلْمُشْرِكِينَ، هَؤُلَاءِ صَنَادِيدُهُمْ

---

(1) **أَبُوْ عَمْرٍو عمار بن العريان التميمي ثم المازني البصري بْنِ العَلَاْءِ:** شيخ القراء والعربية، كان مولده في نحو سنة سبعين للهجرة، برز في الحروف، وفي النحو، واشتهر بالفصاحة، والصدق، وسعة العلم، وحدث عنه شعبة، وحماد بن زيد، والأصمعي، انظر: الكنى والأسماء، مسلم (1/ 564)، ومشاهير علماء الأمصار، أبو حاتم الدارمي (ص: 242) وسير أعلام النبلاء، الذهبي (6/ 407).

(2) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (8/ 48).

(3) انظر: الأحكام السلطانية، الماوردي (ص:67)، ومعجم لغة الفقهاء، محمد قلعه جي وحامد قنيبي (ص: 67).

(4) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا (10/ 72).

(5) انظر: تفسير المراغي (10/ 36).

وَأَئِمَّتُهُمْ وَقَادَتُهُمْ، فَهَوِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَلَمْ يَهْوَ مَا قُلْتُ، فَأَخَذَ مِنْهُمُ الْفِدَاءَ؛ فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ قَالَ عُمَرُ ﷺ: غَدَوْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ؛ فَإِذَا هُوَ قَاعِدٌ وَأَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، وَإِذَا هُمَا يَبْكِيَانِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي مَاذَا يُبْكِيكَ أَنْتَ وَصَاحِبُكَ، فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءً بَكَيْتُ، وَإِنْ لَمْ أَجِدْ بُكَاءً تَبَاكَيْتُ لِبُكَائِكُمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ **(أَبْكِي لِلَّذِي عَرَضَ عَلَيَّ أَصْحَابُكَ مِنَ الْفِدَاءِ، لَقَدْ عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابُكُمْ أَدْنَى مِنَ الشَّجَرَةِ لِشَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ﴾** إِلَى قَوْلِهِ: **﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ﴾** مِنَ الْفِدَاءِ **﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾**[1].

﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، أي: يجعل أولياءه يغلبون أعداءه، ويتمكنون منهم قتلا وأسرا، ويطلق لهم أخذ الفداء، ولكنه يؤخر ذلك إلى أن يكثروا ويعزّوا[2]، ثم قال تعالى: **﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾** [الأنفال: 68]، أي: لولا كتاب من الله سبق في علمه الأزلي ألا يعذبكم والرسول فيكم وأنتم تستغفرونه من ذنوبكم، لمسكم بسبب ما أخذتم من الفداء عذاب عظيم، لكن رحمة الله واسعة على عباده وفيهم نبيهم ﷺ، ثم أباح لهم أكل ما أخذوه، وعدّه من جملة الغنائم التي أباحها لهم في أول السورة فقال تعالى: **﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا﴾** [الأنفال: 69]، أي: فكلوا مما غنمتم من الفدية حال كونه حلالا بإحلاله لكم، طيبا في نفسه لا خبث فيه[3]، لكن **﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾**، في أن تعودوا إلى أكل شيء من أموال الناس؛ كفارا كانوا أو مؤمنين من قبل أن يحلّه لكم ربكم[4]، **﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾**، ثم ختم بفاصلة تبين مدى أن الله غفور لذنبكم، بأخذ الفداء وإيثار جمهوركم؛ لعرض الدنيا على ما يقتضيه إيثار الآخرة من طلب الإثخان أولا، ولإعزاز الحق وأهله بإذلال الشرك وكبت حزبه، رحيم بكم إذ أباح لكم ما أخذتم، وأباح لكم الانتفاع به[5].

وقال تعالى: **﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾** [الأنفال: 70]، أي: يا أيها النبي قل للأسرى الّذين أخذتم منهم الفداء: إن يكن في قلوبكم خير يعلمه الله؛ فسيُخلِفُ الله لكم خيرا مما أخذه المؤمنون منكم،

---

(1) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدرٍ، وإباحة الغنائم (3/ 1383) رقم الحديث (58)، وأسباب النزول، الواحدي (ص: 240).

(2) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري (2/ 225).

(3) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري (14/ 71).

(4) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا (10/ 81).

(5) انظر: حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، الهرري (11/ 95).

ويغفر لكم ما كان من الشرك والسيئات[1]، وفى ذلك من الحضّ على الإسلام والدعوة إليه ما لا يخفى فطمعهم بالمال ليؤلف قلوبهم إلى دينه ورحمته، ثم بين لهم ما يقع في نفوسهم من خيانة الكفار: **﴿وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ﴾**، أي: وإن يريدوا خيانتك؛ بإظهار الميل إلى الإسلام والرغبة عن قتال المسلمين، فلا تخف مما عسى أن يكون من خيانتهم وعودتهم إلى القتال؛ فإنهم قد خانوا الله من قبل، فنقضوا الميثاق الذي أخذه على البشر بما أقامه على وحدانيته من الدلائل العقلية والكونية، وبما آتاهم من العقل الذي يتدبرون به سنن الله في خلقه[2]، **﴿فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾**، أي: فمكنك أنت وصحبك منهم بنصرك عليهم ببدر، مع التفاوت العظيم بين قوتك وقوتهم، وعددك وعددهم، وهكذا سيمكنك ممن يخونونك من بعد، **﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾** [الأنفال: 71]، فهو يعلم ما يستحقونه من عقاب **﴿حَكِيمٌ﴾**، يفعل ما يفعل بحسب ما تقتضيه حكمته البالغة، فينصر المؤمنين ويظهرهم على الكافرين[3].

ثالثًا: معاملة الأسرى في الإسلام:

1-أدلة من القرآن الكريم:

وضع القرآن للمسلمين منهجًا قويمًا حتى في الحروب، ووضع لهم فيها ضوابط يسيرون عليها، ونهاهم عن تعدّي هذه الضوابط، ولم يُجزْ لهم ما يسمى: "الغاية تبرر الوسيلة"، ولهذا كان للإسلام منهجٌ رحيمٌ حتى في الحرب، قال الله تعالى: **﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾** [البقرة: 190]، وهذا منهج عام، أما ما يتعلق بالأسرى على وجه الخصوص، فقال تعالى: **﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾** [الإنسان: 8].

2- أدلة من السنة النبوية:

ولنا في سيرة رسول الله ﷺ وصحابته عدة حوادثَ ووقائع، وأذكر منها على سبيل المثال لا الحصر، فعن أَبَي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: (بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ خَيْلًا قِبَلَ نَجْدٍ، فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ ثُمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ، فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي المَسْجِدِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: **(مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟)** فَقَالَ: عِنْدِي خَيْرٌ يَا مُحَمَّدُ، إِنْ تَقْتُلْنِي تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ المَالَ فَسَلْ مِنْهُ مَا شِئْتَ، فَتُرِكَ حَتَّى كَانَ الغَدُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: **(مَا عِنْدَكَ يَا**

---

(1) انظر: تيسير التفسير، القطان (2/ 115).

(2) انظر: حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، الهرري (11/ 97).

(3) انظر: تفسير المراغي (10/ 40).

ثُمَامَةُ؟) قَالَ: مَا قُلْتُ لَكَ: إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، فَتَرَكَهُ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الغَدِ، فَقَالَ: **(مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟)** فَقَالَ: عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ، فَقَالَ: **(أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ)**، فَانْطَلَقَ إِلَى نَخْيلٍ قَرِيبٍ مِنَ المَسْجِدِ، فَاغْتَسَلَ ثُمَّ دَخَلَ المَسْجِدَ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، يَا مُحَمَّدُ، وَاللَّهِ مَا كَانَ عَلَى الأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الوُجُوهِ إِلَيَّ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ، فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيَّ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ، فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ البِلاَدِ إِلَيَّ، وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذَتْنِي وَأَنَا أُرِيدُ العُمْرَةَ، فَمَاذَا تَرَى؟ فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ، فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قَالَ لَهُ قَائِلٌ: صَبَوْتَ، قَالَ: لاَ، وَلَكِنْ أَسْلَمْتُ مَعَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلاَ وَاللَّهِ، لاَ يَأْتِيكُمْ مِنَ اليَمَامَةِ حَبَّةُ حِنْطَةٍ، حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ)[1].

3- سير وتراجم العظماء الفاتحين:

ولنا في سير وتراجم الفاتحين من فعل صلاح الدين الأيوبي (ت: 589) مع الصليبيين: لَمَّا أسر صلاحُ الدين الأيوبي عددًا من جنود الجيش الصليبي، وكان لا يوجد عنده ما يكفيهم من الطعام، أطلق سراحَهم لئلا يموتوا جوعًا، ورأى أن يقتلَهم محاربين أفضلَ من أن يقتلَهم في الأَسر جائعين[2].

رابعًا: حكم الأسرى في الإسلام:

1_ أقوال فقهاء الإسلام:

وأمام هذه الآراء المختلفة، نعرض آراء كلِّ فريق، ثم نذكر أدلتهم.

أ- **مذهب الحنفية**: أن الإمام أو نائبَه في الجهاد مخيَّر بين أمرين: إما القتل وإما الاسترقاق، وليس له أن يمنَّ عليهم بدون مقابل أو بمقابل وبهذا قال أبو حنيفة (ت: 150): "يكون الإمام مخيرًا بين شيئين: القتل أو الاسترقاق، وليس له المنُّ ولا المفاداةُ بالمال"[3]، والإمام بالخيارِ في الرجال من أُسارى المشركين بين أن يقتلهم وبين أن يسترقَّهم[4]، ولقوله تعالى: ﴿**فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ**﴾ [الأنفال: 12]، وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: **(قَتَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ**

---

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة، وحديث ثمامة بن أثالٍ (5/ 170) رقم الحديث (4372).

(2) انظر: الخلاصة في أحكام أهل الذمة، علي بن نايف الشحود (1/ 9).

(3) انظر: الأحكام السلطانية، الماوردي (ص: 207).

(4) انظر: منحة السلوك في شرح تحفة الملوك، بدر الدين العينى (ص: 342).

بَدْرٍ ثَلَاثَةً صَبْرًا، قَتَلَ النَّضْرَ بْنَ الْحَارِثِ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ، وَقَتَلَ طُعَيْمَةَ بْنَ عَدِيٍّ مِنْ بَنِي نَوْفَلٍ، وَقَتَلَ عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ)[1]، وعن عَطِيَّةَ الْقُرَظِيَّ قال: "عُرِضْنَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ قُرَيْظَةَ، فَكَانَ مَنْ أَنْبَتَ قُتِلَ، وَمَنْ لَمْ يُنْبِتْ، خُلِّيَ سَبِيلُهُ، فَكُنْتُ فِيمَنْ لَمْ يُنْبِتْ، فَخُلِّيَ سَبِيلِي"[2]؛ فاستدلوا على هذا بفعل النبي ﷺ، لأن هؤلاء الأسرى يعتبرون غنيمة حصل عليها المسلمون عنوة وقهرًا بإيجاد الخيل والركاب[3].

ب- **مذهب المالكية:** ذهب المالكية إلى أن الإمام مخيَّر فيهم بخمسة أمور: القتل أو الفداء أو الاسترقاق أو الجزية أو المن[4]، قال الحطاب[5]: "كالنظر في الأسرى بقتلٍ، أو مَنٍّ، أو فداء، أو جزية، أو استرقاق"[6]، **وأدلتهم** هي الأدلة التي استدل بها أصحابُ المذاهب السابقة.

ت- **مذهب الشافعي وأحمد بن حنبل:** أن الإمام مخيرٌ في الأسرى بين أحد أربعة أمور: إما القتل، وإما الاسترقاق، وإما الفداء بمال أو أسرى، وإما أن يمن عليهم، فذهب الشافعي: إلى أن الإمام، أو من استنابه الإمام عليهم في أمر الجهاد، مخيرٌ فيهم إذا أقاموا على كفرهم في الأصلح من أحد أربعة أشياء: إما القتل، وإما الاسترقاق، وإما الفداء بمال أو أسرى، وإما المن عليهم بغير فداءٍ[7]، وعند الحنابلة: ويخير الأمير في الأسرى بين القتل

---

(1) المعجم الأوسط، الطبراني، من اسمه عليّ، باب العين (4/ 135)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: وفيه عبد الله بن حماد بن نمير ولم أعرفه، **وبقية رجاله ثقات**.

(2) مسند أحمد، أحمد، أول مسند الكوفيين، حديث عطية القرظي (31/ 67) رقم الحديث (18776)، وقال شعيب الأرنؤوط: **إسناده صحيح**.

(3) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، أبو بكر بن مسعود الكاساني الحنفي (7/ 117).

(4) انظر: شرح مختصر خليل، الخرشي (3/ 150).

(5) **محمد الرعيني الحطاب:** ولد في صفر عام (861 هـ)، بطرابلس ونشأ بها، هو الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد الرعيني الأندلسي الأصل الطرابلسي المولد المالكي، نزيل مكة ويعرف هناك بالحطاب، بدأ حياته العلمية بحفظ القرآن الكريم، ثم حفظ الرائية والجزرية وتفقه شيئًا يسيرًا، تلقى علوم القراءات واللغة العربية والفقه وغيرها من العلوم، وقد فتح الله عليه في آخر عمره، وانقطع بمنزله عدة سنين وهو يدرس فيه، توفي بعد معاناة قاسية من المرض ليلة السبت في (950/2/12 هـ)، انظر: إمتاع الفضلاء بتراجم القراء فيما بعد القرن الثامن الهجري، إلياس بن أحمد حسين، والشهير بالساعاتي، وبن سليمان بن مقبول علي البرماوي (2/ 305).

(6) انظر بتصرف: مختصر خليل، خليل بن إسحاق المصري (ص: 89)، ومواهب الجليل لشرح مختصر الخليل، الحطاب (4/ 555).

(7) انظر: الأحكام السلطانية، الماوردي (ص: 207).

والاسترقاق والمن والفداء بمسلمٍ أو بمال[1]، لقوله تعالى: ﴿**فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ**﴾ [التوبة: 5]، وهذا دليل عامٌ على جواز القتل في الحرب أو الأسر، وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: (قَتَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ ثَلَاثَةً صَبْرًا، قَتَلَ النَّضْرَ بْنَ الْحَارِثِ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ، وَقَتَلَ طُعَيْمَةَ بْنَ عَدِيٍّ مِنْ بَنِي نَوْفَلٍ، وَقَتَلَ عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ)[2].

3- الترجيح:

باختصار أقول: إن ولي الأمر أو من ينوب عنه من قادة الجيوش ينظر: فما كان فيه تحقيق مصلحة للإسلام والمسلمين، قدمه على غيره، وما كان فيه تحقيق مصلحةٍ أولى من الأخرى قدمه، وبهذا قال أبو يوسف (ت: 182) صاحب أبي حنيفة (ت: 150): "الأمر في الأسرى إلى الإمام؛ فإن كان أصلح للإسلام وأهله عنده قتل الأسرى قتل، وإن كانت المفاداة بهم أصلح فادى بهم بعض أَسارى المسلمين"[3].

خامسًا: واجب المسلمين اتجاه فكاك الأسرى:

1- من أدلة القرآن الكريم:

إن النصوص الشرعية العامة التي تحث على تناصر المسلمين وتعاونهم لا شك أنها تتناول نصرة أسرى المسلمين من باب أولى ومن تلك النصوص:

أن المسلمين أمة واحدة كما قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَاْ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ**﴾ [الأنبياء: 92] وقال تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾ [الحجرات: 10]، أي: في الدين والحرمة، لا في النسب، ولهذا قيل: أخوة الدين أثبت من أخوة النسب؛ فإن أخوة النسب تنقطع بمخالفة الدين، وإخوة الدين لا تنقطع بمخالفة النسب[4]، وعن عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ﷺ، أَخْبَرَهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (**الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**)[5]، **قال النووي (ت: 676)**: قال العلماء: "الخذل ترك الإعانة

---

(1) انظر: الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، المرداوي (10/ 80).

(2) المعجم الأوسط، الطبراني، من اسمه عليّ، باب العين (4/ 135)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: وفيه عبد الله بن حماد بن نمير ولم أعرفه، **وبقية رجاله ثقات**.

(3) الخراج، أبو يوسف الأنصاري (ص: 214).

(4) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (16/ 322).

(5) صحيح مسلم، مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم (4/ 1996) رقم الحديث (58).

والنصر، ومعناه: إذا استعان به في دفع السوء ونحوه لزمه إعانته إذا أمكنه ولم يكن له عذر شرعي"[1]، ومن ذلك خذلان المسلم لأخيه: فإن المؤمن مأمور أن ينصر أخاه[2]، كما عَنْ أَنَسٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا)** فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا، أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟ قَالَ: **(تَحْجُزُهُ، أَوْ تَمْنَعُهُ، مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ)**[3].

وقال الله تعالى: ﴿**وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ**﴾ [البقرة: 85]، قال القرطبي (ت: 671): "ولعمرُ الله لقد أعرضنا نحن عن الجميع بالفتن؛ فتظاهر بعضنا على بعض! ليس بالمسلمين، بل بالكافرين!، حتى تركنا إخواننا أذلاء صاغرين يجري عليهم حكم المشركين، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، قال علماؤنا: فداء الأسارى واجب وإن لم يبق درهم واحد"[4].

وقال الله تعالى: ﴿**وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَآءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَّنَا مِن لَّدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَّنَا مِن لَّدُنْكَ نَصِيراً**﴾ [النساء: 75]، قال ابن العربي[5]: "قال علماؤنا: أوجب الله ﷻ في هذه الآية القتال؛ لاستنقاذ الأسرى من يد العدو مع ما في القتال من تلف النفس، فكان بذل المال في فدائهم أوجب، لكونه دون النفس وأهون منها"[6]، وقال القرطبي (ت: 671): "فيه حَضٌّ على الجهاد: وهو يتضمّن تخليص المستضعَفين من أيدي الكَفَرة المشركين الذين يسومونهم سوء العذاب، ويفتنونهم عن الدّين؛ فأوجب تعالى الجهاد لإعلاء كلمته، وإظهار دينه، واستنقاذ المؤمنين الضّعفاء من عباده، وإن كان في ذلك تَلف النفوس، وتخليص الأسارى واجب على جماعة المسلمين إما بالقتال وإما بالأموال، وهذا لا خلاف فيه"[7].

---

(1) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (16/ 120).

(2) انظر: جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، ابن رجب الحنبلي (2/ 273).

(3) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الإكراه، باب (9/ 22) رقم الحديث (6952).

(4) الجامع لأحكام القرآن (2/ 22).

(5) **محمد بن عبد الله بن محمد بن المعافري الأندلسي الإشبيلي، أبو بكر ابن العربي، قاض:** [468- 543هـ]، من كبار فقهاء المالكية، بلغ رتبة الإجتهاد في علوم الدين، وبرع في الأدب، ولد في إشبيلية، وأقبل على نشر العلم والتأليف، مات بقرب فاس وحمل إليها ودفن بها، انظر: معجم المفسرين، عادل نويهض (2/ 558).

(6) أحكام القرآن (1/ 583).

(7) انظر: الجامع لأحكام القرآن (5/ 279).

2- من الأدلة في السنة النبوية:

عَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(فُكُّوا العَانِيَ، يَعْنِي: الأَسِيرَ، وَأَطْعِمُوا الجَائِعَ، وَعُودُوا المَرِيضَ)**[1]، قال ابن بطال[2]: "فكاك الأسير واجب على الكفاية، وبه قال الجمهور، وقال إسحاق بن راهويه[3] (ت: 237): "من بيت المال"[4]، وعَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ ﷺ، قَالَ: قُلْتُ لِعَلِيٍّ ﷺ: (هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ مِنَ الوَحْيِ إِلَّا مَا فِي كِتَابِ اللَّهِ؟ قَالَ: "لاَ وَالَّذِي فَلَقَ الحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، مَا أَعْلَمُهُ إِلَّا فَهْمًا يُعْطِيهِ اللَّهُ رَجُلًا فِي القُرْآنِ، وَمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ"، قُلْتُ: وَمَا فِي الصَّحِيفَةِ؟ قَالَ: العَقْلُ، وَفَكَاكُ الأَسِيرِ، وَأَنْ لاَ يُقْتَلَ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ)[5]، وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: قَالَ لِي عُمَرُ ﷺ حِينَ طُعِنَ: (اعْلَمْ أَنَّ كُلَّ أَسِيرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي أَيْدِي الْمِشْرِكِينَ فِكَا كُهُ مِنْ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ)[6].

غير ذلك فإن فكاك الأسرى، كان عند الخلفاء من أوجب الواجبات، فهذا عبدالله بن حذافة ﷺ عندما أسرته الروم في زمن عمر بن الخطاب ﷺ(ت: 23)؛ فأرادوه على الكفر فأبى، فقال له ملك الروم: قَبِّل رأسي وأطلقك، قال: لا، قال: قَبِّل رأسي وأطلقك ومن معك من المسلمين، فقَبَّل رأسه فأطلق معه ثمانون أسيرًا؛ فقدم بهم على عمر، فقال عمر: "حق على كل مسلم أن يقبل رأس عبدالله، وأنا أبدأ ففعلوا"[7].

---

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب فكاك الأسير (4/ 69) رقم الحديث (3046).

(2) **أبو الحسن علي بن خلف بن بطال البكري، القرطبي، ثم البلنسي، ويعرف: بابن اللجام،** شارح (صحيح البخاري)، وكان من أهل العلم والمعرفة، عني بالحديث العناية التامة؛ شرح (الصحيح) في عدة أسفار، رواه الناس عنه، واستقضي بحصن لورقة، توفي: في صفر، سنة تسع وأربعين وأربع مائة، انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (18/ 47)، وقلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، أبو محمد الطيب الهجراني (5/ 455).

(3) **إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظليّ التميمي المروزي، أبو يعقوب ابن راهويه:** (161 - 238 هـ = 778 - 853 م) وهو عالم خراسان في عصره، وهو أحد كبار الحفاظ. طاف البلاد لجمع الحديث وأخذ عنه الإمام أحمد ابن حنبل والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وغيرهم، وله تصانيف، منها (المسند)، واستوطن نيسابور وتوفي بها، الأعلام، الزركلي (1/ 292).

(4) شرح صحيح البخاري (5/ 210).

(5) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب فكاك الأسير (4/ 69) رقم الحديث (3047).

(6) إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، البوصيري، كتاب الجهاد، باب فداء الأسارى (5/ 173) رقم الحديث (4468)، وقال البوصيري: **حديثٌ حسنٌ.**

(7) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر (4/ 52).

3- سير العظماء في التأريخ الإسلامي:

من مآثر العظماء في ذلك: ما كان من الملك المنصور[1]، أحد ملوك المسلمين بالأندلس، وكان من رجال الدهر رأيًا وحزمًا ودهاءً وشجاعةً إقدامًا، ومن مفاخره: أنه قدم من غزوة فتعرَّضت له امرأةٌ عند القصر فقالت: يا منصور يفرح الناس وأبكي؟! إن ابني أسير في بلاد الروم، فثنى عنانه، وأمر الناس بغزو الجهة التي فيها ابنُها[2].

4- مذاهب العلماء في ذلك:

أ- **قول الأحناف: قال الكمال بن الهمام**[3]: "إن إنقاذ الأسير واجب على الكل من المشرق والمغرب"[4].

ب- قول المالكية: قال ابن العربي (ت: 543): قال مالكٌ (ت: 179) وجميع العلماء: "فإنا لله وإنا إليه راجعون على ما حل بالخلق في تركهم إخوانهم في أسر العدو، وبأيديهم خزائن الأموال، وفضول الأحوال، والعدة والعدد، والقوة والجلد"[5].

ت- قول الشافعية: قال الخطيب الشربيني[6]: إن فك الأسرى مستحبٌ، وحمل البلقيني[7] استحباب فك الأسرى على ما إذا لم يعاقبوا، فإن عوقبوا وجب[8].

---

(1) **هشام المؤيد بالله بن المستنصر**، صاحب الأندلس، بايعوه صبيا، فقام بتشييد الدولة، وغزا نيفا وخمسين غزوة، وتوفي مبطونا شهيدا وهو بأقصى الثغر، سنة (93هـ)، انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (17/ 123).

(2) سير أعلام النبلاء، الذهبي (17/ 126).

(3) **الكمال بن الهمام (790- 861 هـ):** هو محمد بن عبد اواحد، المعروف بابن الهمام، إمام من علماء الحنفية، عارف بأصول الديانات والتفسير والفرائض والفقه، ولد بالإسكندرية، ونبغ في القاهرة، وجاور بالحرمين، ثم كان شيخ الشيوخ بمصر، انظر: تراجم موجزة للأعلام، موقع وزارة الأوقاف المصرية (1/ 482).

(4) حاشية رد المختار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار، ابن عابدين (4/ 126).

(5) أحكام القرآن (2/ 440).

(6) **الخطيب شمس الدين الشربيني القاهري الشافعي**، أخذ عن عميرة، والمحلي، والرملي، وغيرهم، وأجازوه بالإفتاء، والتدريس، فدرس، وأفتى في حياة أشياخه، وانتفع به خلائق لا يحصون، وشرح كتاب المنهاج والتنبيه شرحين عظيمين، توفي 977هـ، انظر: الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، نجم الدين الغزي (3/ 72).

(7) **رسلان بن أبي بكر بن رسلان بن نصير بن صالح، القاضي بهاء الدين أبو الفتح البلقيني الشافعي** (756 – 803 هـ)، كان فقيهًا فاضلًا، ناب في الحكم، وشارك في عدة علوم، وهو ابن أخي شيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقيني، انظر: المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، أبو المحاسن الحنفي، (5/ 351).

(8) المهمات في شرح الروضة والرافعي، الإسنوي (8/ 453)، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، الخطيب الشربيني (6/ 88)، وحاشيتا قليوبي وعميرة، القليوبي وعميرة (4/ 239).

ث- **قول الحنابلة:** قال ابن قدامة (ت:620): "ويجب فداء أسرى المسلمين إذا أمكن، وبهذا قال عمر بن عبد العزيز (ت: 101) ومالك (ت: 179) وإسحاق[1].

ج- **قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: 728):** "فكاك الأسارى من أعظم الواجبات، وبذل المال الموقوف وغيره في ذلك من أعظم القربات"[2].

وهذا واجب الدول والجماعات والأفراد، كلٌ على قدر طاقته، فهذا بماله من الصدقات والزكوات، وهذا بجاهه، وذاك بقوته وسلطانه، ولا يعذر أحد بالتخلف عن مناصرة هؤلاء الأسرى، فهذا ما تفترضه الأخوة الإيمانية، والعقيدة الإسلامية، والطبيعة الإنسانية.

والواقع يشهد "أن ما أخذ بالقوة لا بد أن يسترد إلا بالقوة"؛ فالأسرى الفلسطينيون والمسلمون في سجن غونتنامو الأمريكي، وغيرها من السجون في مشارق الأرض ومغاربها من الأعداء والمنافقين، إنما أخذوا بالقوة، وعندما استطاع المجاهدون في فلسطين من أسر صهيوني، قامت الدنيا وما قعدت من أجله، لكن التضحية التي قدمتها المقاومة والشعب الفلسطيني من أجل الحفاظ على أسر صهيوني واحد، كانت كفيلة بإخراج أكثر من ألف أسير وأسيرة بصفقة سميت "صفقة وفاء الأحرار[3]" غالبهم محكومون بأحكام عالية.

وها نحن الآن ننتظر بصفقة جديدة "**صفقة وفاء الأحرار2**" بعد أن أسر إخواننا المجاهدون في "غزة" أكثر من واحد، وما ذلك على الله بعزيز، ويقولون متى هو، قل عسى أن يكون قريبا أن نرى إخواننا الأسرى محررين من قيد أعداء الإسلام في كل مكان، بين أهليهم وأزواجهم وأبنائهم وآبائهم وأمهاتهم ومحبيهم.

سادسا: الحث على الدعاء للأسرى:

فقد كان من دعاء النبي ﷺ في الصلاة والناس تؤمن على دعائه ﷺ، كما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: بَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي العِشَاءَ إِذْ قَالَ: "سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، ثُمَّ قَالَ قَبْلَ أَنْ يَسْجُدَ:

---

(1) المغني (9/ 284).

(2) مجموع الفتاوى (28/ 642).

(3) صفقة تبادل الأسرى بين حركة المقاومة الإسلامية (حماس)، والاحتلال الإسرائيلي 2011 أو صفقة شاليط أو صفقة وفاء الأحرار كما يسميها الفلسطينيون، تدعوها إسرائيل بـ إغلاق الزمن، تعد إحدى أضخم عمليات تبادل الأسرى العربية الإسرائيلية، كانت مميزة؛ لأن الفلسطينيون استطاعوا الحفاظ على الجندي الإسرائيلي أسيرا لنحو 5 سنوات، رغم خوض إسرائيل حربين على قطاع غزة، تشمل الصفقة: أن تفرج إسرائيل عن 1027 أسيرًا فلسطينيًا مقابل أن تفرج حركة حماس عن الجندي الأسير الإسرائيلي "جلعاد شاليط"، وقد أعلن عن التوصل لهذه الصفقة في 11 أكتوبر 2011 بوساطة مصرية، انظر: https://ar.wikipedia.org/wiki/

(اللَّهُمَّ نَجِّ عَيَّاشَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ، اللَّهُمَّ نَجِّ سَلَمَةَ بْنَ هِشَامٍ، اللَّهُمَّ نَجِّ الوَلِيدَ بْنَ الوَلِيدِ، اللَّهُمَّ نَجِّ المُسْتَضْعَفِينَ مِنَ المُؤْمِنِينَ، اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا سِنِينَ كَسِنِي يُوسُفَ)[1].

التوجيهات التربوية من خلال أحكام الأسرى في الإسلام:

1- أهمية القتال من أجل الحفاظ على عزة المسلم من أن يُأسر أو يذل.
2- تَعلم أحكام الأسري من منظور فقهي، وكيفية التعامل معه في السلم والحرب.
3- الاهتمام بقضية الأسرى وذويهم في المجتمع الفلسطيني.
4- توعية الخطباء والمعلمين والمثقفين والكتاب بقضية الأسرى.
5- استنفار الأمة لأسير واحد؛ فكيف بأسرى المسلمين.
6- الاهتمام بإعطاء الأسير حقوقه في الغنيمة والميراث والحقوق المالية وحفظها.
7- ترسيخ مبدأ الشورى في قضايا الأمة.

المطلب الثالث: ألوان مكر المشركين.

لما ذكَّر الله تعالى المؤمنين بنعمه عليهم بقوله: ﴿**وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ**﴾ [الأنفال: 26]؛ فكذلك ذكَّر رسوله بنعمه عليه، وهو دفع كيد المشركين، ومكر الماكرين عنه[2] بقوله تعالى: ﴿**وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ**﴾ [الأنفال: 30]، فبين تعالى أساليب المشركين في كل مكان وزمان:

أولًا: السجن أو القتل أو الإبعاد:

وفي أيامنا هذه: تشتد هجمة الأعداء، ويتجدد مكرهم، وتتوحد قواهم لضرب المسلمين وحصارهم، ويتفنن أولئك الأعداء في كل عصرٍ، بما يتناسب من وسائل الحرب والعداء.

والمسلمون كلما دهمتهم الخطوب رجعوا إلى كتاب الله، فوجدوا فيه الشفاء والهدى والنور والضياء، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ فِي قَوْلِهِ: ﴿**وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ [الأنفال: 30]، قَالَ: تَشَاوَرَتْ قُرَيْشٌ بِمَكَّةَ، ودَخَلُوا فِي دَارِ النَّدْوَةِ يَأْتَمِرُونَ بِالنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالُوا: لاَ يَدْخُلْ مَعَكُمْ أَحَدٌ لَيْسَ

---

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿**فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوًا غفورًا**﴾ [النساء: 99] (6/ 48) رقم الحديث (4598).
(2) انظر بتصرف: التفسير الكبير، الرازي (15/ 477).

مِنْكُمْ، فَدَخَلَ مَعَهُمُ الشَّيْطَانُ، فِي صُورَةِ شَيْخٍ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَيْسَ عَلَيْكُمْ مِنْ هَذَا عَيْنٌ، هَذَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ، قَالَ: فَتَشَاوَرُوا، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: أَرَى أَنْ تُرْكِبُوهُ بَعِيرًا، ثُمَّ تُخْرِجُوهُ، فَقَالَ الشَّيْطَانُ: بِئْسَ مَا رَأَى هَذَا، هُوَ هَذَا قَدْ كَانَ يُفْسِدُ مَا بَيْنَكُمْ وَهُوَ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، فَكَيْفَ إِذَا أَخْرَجْتُمُوهُ فَأَفْسَدَ النَّاسَ، ثُمَّ حَمَلَهُمْ عَلَيْكُمْ يُقَاتِلُوكُمْ، فَقَالُوا: نِعْمَ مَا رَأَى هَذَا الشَّيْخُ، فَقَالَ قَائِلٌ آخَرَ: فَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلُوهُ فِي بَيْتٍ وَتُطَيِّنُوا عَلَيْهِ بَابَهُ، وَتَدَعُوهُ فِيهِ حَتَّى يَمُوتَ، فَقَالَ الشَّيْطَانُ: بِئْسَ مَا رَأَى هَذَا، أَفَتَرَى قَوْمَهُ يَتْرُكُونَهُ فِيهِ أَبَدًا، لاَ بُدَّ أَنْ يَغْضَبُوا لَهُ، فَيُخْرِجُوهُ، فَقَالَ أَبو جَهْلٍ: أَرَى أَنْ تُخْرِجُوا مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ رَجُلًا، ثُمَّ يَأْخُذُوا أَسْيَافَهُمْ، فَيَضْرِبُونَهُ ضَرْبَةً وَاحِدَةً، فَلاَ يُدْرَى مَنْ قَتَلَهُ فَتَدُونَهُ، فَقَالَ الشَّيْطَانُ: نِعَمَ مَا رَأَى هَذَا، فَأَطْلَعَ اللهُ نَبِيَّهُ ﷺ عَلَى ذَلِكَ، فَخَرَجَ هُوَ وَأَبو بَكْرٍ ؓ إِلَى غَارٍ فِي الْجَبَلِ، يُقَالُ لَهُ: ثَوْرٌ، وَنَامَ عَلِيٌّ عَلَى فِرَاشِ النَّبِيِّ ﷺ، وَبَاتُوا يَحْرُسُونَهُ، يَحْسِبُونَ أَنَّهُ النَّبِيَّ ﷺ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا قَامَ عَلِيٌّ لِصَلاَةِ الصُّبْحِ بَادَرُوا إِلَيْهِ، فَإِذَا هُمْ بِعَلِيٍّ، فَقَالُوا: أَيْنَ صَاحِبُكَ؟ قَالَ: لاَ أَدْرِي، فَاقْتَصُّوا أَثَرَهُ، حَتَّى بَلَغُوا الْغَارَ، ثُمَّ رَجَعُوا فَمَكَثَ فِيهِ هُوَ وَأَبو بَكْرٍ ؓ ثَلاَثَ لَيَالٍ[1]، أي: إن كلمتهم قد اتفقت على إيقاع الأذى بك بإحدى خلال ثلاث: إما الحبس الذي يمنعك من لقاء الناس ودعوتهم إلى الإسلام، وإما القتل بطريق لا يكون ضررها عظيما عليهم، وإما الإخراج والنفي من الوطن[2].

وَالْمَكْرُ: التَّدْبِيرُ فِي الْأَمْرِ فِي خِفْيَةٍ، ﴿**وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ**﴾، "هُوَ جَزَاؤُهُمْ بِالْعَذَابِ عَلَى مَكْرِهِمْ مِنْ حَيْثُ لَا يشعرون"[3]، جزاء وفاقا، والمعنى أي: اذكر يا محمد نعمتي عندك بمكري بمن حاول المكر بك من مشركي قومك، بإثباتك، أو قتلك، أو إخراجك من وطنك، حتى استنقذتك منهم وأهلكتهم، فامض لأمري في حرب من حاربك من المشركين، ولا يرعبنك كثرة عددهم، فإن ربك خير الماكرين بمن كفر به، وعبد غيره، وخالف أمره ونهيه[4]، وهذا يدل على صدق دعوتك، وتأييد ربك لك في وقت المحنة العصيبة، وهذا فيه تذكير لمكر قريش، حين كان بمكة؛ ليشكر نعمة الله في خلاصة من مكرهم واستيلائه عليهم[5].

---

(1) المصنف، عبد الرزاق الصنعاني، كتاب المغازي (5/ 54) رقم الحديث (10484)، وقال علوي السقاف: والحديث حسنه ابن كثير في البداية والنهاية، وابن حجر في الفتح، انظر: تخريج أحاديث وآثار كتاب في ظلال القرآن، علوي بن عبد القادر السقاف (ص: 240).

(2) انظر: تفسير المراغي (9/ 198).

(3) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (7/ 397).

(4) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري (11/ 141).

(5) انظر: روح البيان، حقي (3/ 338).

ثانيًا: بث الشبهات والتشويه:

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال: 31]، هو ما يسمونه في هذ الزمان، فن الدعاية السوداء، وتلطيخ وتشويه سمعة الدعاة؛ بافتعال التهم والزج بهم في كل قضية يرون أنها يمكن أن تكرِّه الجماهير في دعوتهم وفيما يقولونه، وتتفاوت فنون هذه الدعاية من اتهامات؛ بالعمالة للصهاينة ولـ أمريكا أو الشرق، والتهم لا تقتصر على جانب واحد، ولكن هذه سنة الله ﷻ في ابتلاء الدعاة، وليبتلي الأمة أيضًا؛ ليرى هل تسمع للمرجفين والمبطلين، أم أنها تقف عند حدود ما أمر الله ﷻ من التحري ومن التثبت.

وليس معنى ذلك أن الدعاة معصومون، ولكن تشويه الدعاة وتحطيم سمعتهم، لما يحملونه من منهج مستقيم من الكتاب والسنة، فهم يريدون بضعيف الإيمان، أن يشك بالدين، وحملته، وهذا هو الذي يريده أعداء الله ﷻ لأن الدين لا يقوم إلا على قادة، وإذا دُمر القيادة، فلا شك أن من بعدهم سوف يسقط، وما تعرض له العلماء والمشايخ ومن عنده غيرة لدين الله تعالى في كل زمان وخاصة زماننا ليس ببعيد، عن كل بصير القلب والإيمان.

ومن مكر أهل الباطل وخصوم الدعوة، استخدام سلاح المال لإغراء النفوس الضعيفة للقضاء على الدعوة والدعاة، ولذلك رصدوا مائة ناقة لمن يأتي بأحد المهاجرين حيًا أو ميتًا، فتحرك الطامعون ومنهم سراقة، الذي عاد بعد هذه المغامرة الخاسرة ماديًا بأوفر ربح وأطيب رزق، وهو رزق الإيمان، وأخذ يعمي الطريق على الطامعين الآخرين الذين اجتهدوا في الطلب، وهكذا يرد الله عن أوليائه والدعاة[1].

ثالثًا: الحصار الفكري:

تعطيل عقول المسلمين وحصارهم فكريًا، من خلال إشغالهم بأكبر قدر ممكن من المشاكل، وويلات الحصار وتبعاته، حتَّى يستنفذوا طاقتهم وأفكارهم الإبداعية في وضع حلول لمشكلاتهم وقضاياهم الطارئة والمتلاحقة، بدلًا من تسخير هذه الطاقات والأفكار في العمل الناجح، بدلًا من توجيهها لصناعة المستقبل وتطوير الصناعات، ومواكبة التكنولوجيا والتقدم العلمي المُذهل، وكذلك حرمانهم من النهوض في مجال الإنتاج والمنافسة العالمية مع الدول

(1) انظر: دروس وعبر من الهجرة النبوية، علي بن نايف الشحود (ص: 111).

المتطورة تكنولوجيا، وتحجيمهم من الغوص في البحث العلمي، ومشاركة دول العالم وعلمائهم في ذلك[1].

رابعًا: عاقبة الماكرين:

من تأمل في آيات القرآن وجده يعرض لأمم مكرت فحلت بها عقوبة الله في الدنيا، وما ينتظرها في الآخرة أشد وأخزى، وهذا محمدٌ ﷺ عندما مكر به في خفاء الليل البهيم، جاء مكر الله بهم فقال تعالى: **﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾** [الأنفال: 30]، ثم ذكر من الأمم الماضية ومصيرهم بقول تعالى: **﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾** [النحل: 26]، وأولئك الذين ضلوا عن الطريقِ الحق، ومن يُضللِ اللهُ فما لهُ من هاد، ذلك كلَّهُ في قوله تعالى: **﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾** [الرعد: 33]، والنتيجةُ المرتقبةُ لهؤلاء: **﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾** [الرعد: 34]، فهم إن أصابتهم قارعةٌ فيها، أو حلت قريبًا من دارهم فهو الرعبُ والقلقُ والتوقعُ، وإلاَّ فجفافُ القلبِ من نورِ الإيمانِ عذاب، وحيرةُ القلبِ بلا طمأنينةِ الإيمان عذاب، ومواجهةُ كل حادثٍ بلا إدراكٍ للحكمةِ الكبرى وراءَ الأحداثِ عذاب، **﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾** [الرعد: 34][2]، قَالَ الله تعالى **﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾** [فاطر: 43]، وَقَالَ الله تَعَالَى في المخادعين: **﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾** [الأنفال: 62]، وقوله: **﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾** [النساء: 142]، أي: يعاملون عمل المخادع على خداعهم، وذلك أنهم يعطون نورًا كما يعطى المؤمنون؛ فإذا مضوا على الصراط أطفئ نورهم وبقوا في الظلمة[3]، وعَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ)** قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ: **﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾** [هود: 102][4]، وهذا وعيد شديد وتهديد لكل كافر ماكر، وتسلية للنبي ﷺ، وأمان له من مكرهم[5].

---

(1) انظر: الحصار وسبل مواجهته في ضوء القرآن الكريم "دراسة موضوعية"، سامي جبر اشتيوي (ص: 55).

(2) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (2063/4).

(3) انظر: الكبائر، الذهبي (ص: 235).

(4) صحيح البخاري، البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: **﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾** [هود: 102] (6/ 74) رقم الحديث (4686).

(5) انظر: التفسير المنير، الزحيلي (13/ 193).

خامسًا: تثبيت النبي محمد ﷺ ومن معه:

الصادقون في إيمانهم، قد ينالهم بأسٌ من مكر الماكرين، وقد يتعرضون للأذى من كيد الكائدين، وذلك ليبتلي المؤمنين ويمحصهم، ويمحق الكافرين، ويكشف المنافقين، إنها البأساء والضراء، يمتحن بها المسلمون للثبات على الإسلام وإن هوجم، وللصبر على الحق وإن طردوا، والفتنة بالباطل وإن علت رايته مدةً من الزمن، والنصرة للمسلمين وإن كانوا قلةً مضطهدون.

إن مما يؤنس المؤمنين ويصبرهم ويكثر قلتهم، ويقوي ضعفهم، أنهم لا يخوضون المعركة مع الكافرين وحدهم، بل الله معهم، وهو حسيبهم وناصرهم، والمدافع عنهم والمنتقم من أعدائهم، تجدون مصداق ذلك في عددٍ من آيات القرآن: قال الله تعالى: **﴿والله خير الماكرين﴾** [الأنفال: 30]، ثم بعد ذلك يتأكد عندنا عقاب الكفار في قوله تعالى: **﴿ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾** [الأنفال: 18]، أما المؤمنون فإن الله يدافع عنهم بقوله تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾** [الحج: 38][1].

وتمضي هذه الرعاية في كلِّ أحوال الرسول ﷺ، وهو يتلقَّى الإيذاء الشديد من قريش، والعدوان والمطاردة، والكيد والتآمر، والمكر من اليهود ومن قريش ومن الأحزاب كلها، حين تجمَّعت والتقت على حربه: **﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾** [الطور: 48]، وتمتد هذه الرعاية الحانية إلى التوجيه والتثبيت في مواقف الشدَّة والكيد والمكر، مع كلِّ مرحلة من مراحل الدعوة[2].

سادسا: جواز المكر بالأعداء:

المكر والخداع في الحرب من أنواع المكر الحسن، ولكن المكر في هذه المرة جاء من قبل المخلوقين، بإذن وتأييد من الخالق، في الوقت الذي حرَّم الله ﷻ فيه التولي يوم الزحف لما فيه من خطر على المسلمين، وخذلان لهم، وتمكين للعدو من رقابهم بقوله تعالى: **﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ﴾** [الأنفال: 15][3]، فرخص لهم برحمته ومنه باستخدام الحيلة والمكر في الحرب، تحقيقا، لمصلحة المؤمنين، وجاء الأذن بالتحريف أو التحيز إلى فئة وقت القتال: **﴿وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾** [الأنفال: 16]، وعن جَابرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه،

---

(1) انظر: مكر الأعداء في القرآن الكريم (27/ 246).

(2) انظر: من مواقف قريش المضادة للدعوة الإسلامية في مكة (1/ 219).

(3) انظر: المكر، إيمان عبد الوهاب (ص: 67).

قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **(الحَرْبُ خَدْعَةٌ)**[1]، عن عبدِ الرحمن بن كعب ابن مالكٍ عن أبيه ﷺ: أن النبيَّ ﷺ كان إذا أراد غزوةً وَرَّى غيرَها، وكانَ يقولُ: **(الحربُ خَدْعَةٌ)**[2]، فالمكر صرف الغير عما يقصده بحيلةٍ، ومنه المحمود والمذموم، وهو أخص من الحيلة[3]، وبالجملة فمقابلة الفاسد بالفاسد، والمكر بالمكر، والخداع بالخداع، قد يكون حسنًا، بل مأمورًا به، وأقل درجاته أن يكون جائزًا[4].

اعلم رحمك الله: إذا كان الله هو غاية الغايات؛ فالمعرفة به أجل العبادات، وإذا كان الموت حقا؛ فالركون إلى الدنيا غرور، وإذا كان القدر حقا؛ فالحرص على الدنيا باطل، وإذا كان الغدر في النفوس طبعا؛ فالثقة بكل أحد عجز، وإذا كان الله عدلا في أحكامه؛ فعقوبات الخلق بما كسبت أيديهم[5].

التوجيهات التربوية من خلال ألوان مكر المشركين:

1- ثبات النبي محمد ﷺ ومن معه في مواقف الشدة والكيد والمكر، مع كل مراحل الدعوة.
2- العداء والمكر سنة جاريةٌ، وقدرٌ إلهيٌ، ليميز الخبيث من الطيب.
3- المكر والعداء يتعاون عليهما شياطين الإنس والجن، ليهدموا قلعة الإسلام.
4- المكر مع غروره تصغي إليه أفئدة من لا يؤمنون، فليحذر المؤمن.
5- **المكرُ السيئُ يحيقُ بأهله،** قال كعب ﷺ لابن عباس: (إن في التوراة "من حفر حفرة لأخيه وقع فيها، فقال ابن عباس: أنا أوجدك هذا في كتاب الله تعالى: **﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾** [فاطر: 43])[6].
6- والعاقبة للمكر والماكرين، وهي الهلاك والتدمير عاجلًا في الدنيا ومؤجلًا في الآخرة.
7- الكفار شاهدوا الآيات العظام من جهة النبي ﷺ؛ فما زادوا إلا كفرا وعنادا وعداوة، فهم أشد الناس في ذلك[7].

---

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الجهاد والسير، بابٌ: الحرب خدعةٌ (4/ 64) رقم الحديث (3030).

(2) سنن أبي داود، أبو داود، أول كتاب الجهاد، باب المكر في الحرب (4/ 273) رقم الحديث (2637)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(3) الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية (18/ 329).

(4) انظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية (5/ 425).

(5) انظر: روح البيان، حقي (3/ 340).

(6) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية (4/ 443).

(7) انظر: روح البيان، حقي (3/ 340).

المبحث الرابع: الأساليب التي جاءت بها التوجيهات التربوية المنثورة في هذا الفصل

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أسلوب الجدل

المطلب الثاني: أسلوب الأمر

المبحث الرابع: الأساليب التي جاءت بها التوجيهات التربوية المنثورة في هذا الفصل.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أسلوب الجدل.

وفيه نوعان:

أولًا: الجدل لغة وشرعا:

1- **الجدل لغة:** من جدل: وهو من باب استحكام الشيء في استرسالٍ يكون فيه، وامتداد الخصومة ومراجعة الكلام[1]، وهو شدة الخصومة[2].

2- **الجدل شرعًا:** دفع المرء خصمه عن إفساد قوله: بحجة، أو شبهة، أو يقصد به تصحيح كلامه، وهو الخصومة في الحقيقة[3].

ثانيًا: الجدل المذموم على نوعين:

وجود الجدل في حياة الإنسان مسألة بدهية، لا تحتاج إلى الاستدلال في إثباتها وتأكيدها، ولم تخل أمة من الأمم قديمها وحديثها منه[4]، وقد نبه عليها ﷻ فقال: **﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾** [الكهف: 54]، وقال الزجاج: "كل ما يعقل من الملائكة والجن يجادل، والإنسان أكثر هذه الأشياء جدلا"[5].

والجدل في الدين لا يليق وهو محرم، أما المحاورة والمذاكرة والمدارسة؛ فهي مطلوبة دومًا إلى أن تقوم الساعة؛ فإن كانت المحاورة والمذاكرة ليست إلا جدالًا ونزاعًا وقولًا بالباطل لا دليل ولا برهان؛ فذاك عمل المسرفين الكافرين الجاهلين الذين يغرفون بما لا يعرفون، ويقولون الباطل ويكذبون على الله ورسله[6]، والإغراق في الجدل مع أصحاب الأهواء، وإضاعة الوقت

---

(1) مقاييس اللغة، ابن فارس (1/ 433).

(2) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري (4/ 1653).

(3) التعريفات، الجرجاني (ص: 74).

(4) انظر: الدعوة إلى الله بالمجادلة، د. إبراهيم بن صالح الحميدان (ص: 7).

(5) معاني القرآن وإعرابه (3/ 296).

(6) انظر: تفسير المنتصر، الكتاني (288/ 2).

في ذلك، يضعف الهمة ويغفل عن جوانب أخرى كثيرة، وقد يتأثر بهم ويسقط معهم[1]، وبهذا يقول الجويني[2] (ت: 323): "الجدال ما يكون محمودًا مرضيًّا، ومنه ما يكون مذمومًا محرمًّا؛ فالمذموم منه ما يكون لدفع الحق، أو لتحقيق العناد، أو ليلبس الحق بالباطل، أو لما لا يطلب به تعرف ولا تقرب، أو للمماراة وطلب الجاه إلى غير ذلك من الوجوه المنهي عنها، وهي التي نص الله ﷻ في كتابه على تحريمها، فقال: **﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾** [الزخرف: 58]، وغيرهما من الآيات)[3].

من خلال تتبع الآيات التي ذكرت في سياق التوجيهات، تبين أن الجدل منه مذمومٌ وآخر محمودٌ كما يلي:

1- **جدلُ الكفّارِ:** وهو ما كان على غيرِ هدًى، أو كان لدحْضِ الحقّ، أو مفرَّغًا مِنَ العلمِ والحجّةِ، أو كان لتثبيتِ باطلٍ والدّعوةِ إليه، ويدلّ على هذا المعنى مِنَ الجدلِ المنهيّ عنه جملةٌ مِنَ الأدلّةِ القرآنيّةِ منها:

أ- عندما طال الجدل بينهم وبين رسول الله ﷺ قالوا: **﴿اللهم إن كَانَ هذا هُوَ الحق مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السمآء أَوِ ائتنا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾** [الأنفال: 32]، بدل أن يقولوا: فاهدنا إليه، وذلك بعد أن قالوا في القرآن أنه أساطير الأولين **﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾** [الأنفال: 31]، وهذا من الجدل الباطل في قول مشركي قريش[4].

ب- فكان الرد من الله تعالى بعدم اتباع الهوى الضلال، أمر المؤمنين بحسم باب الأهواء[5] فقال تعالى: **﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾** [الأنفال: 21]، أي: اعلم أن الأمر الذي شرف به الآدمي وفضل غيره هو معرفة خالقه،

---

(1) انظر: من أسباب تساقط الشباب، أحمد العميرة (ص: 687).

(2) **عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجُوَيْني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين**، ولد في جوين (من نواحي نيسابور) (419 - 478 هـ = 1028 - 1085 م)، وهو من أعلم المتأخرين، من أصحاب الشافعيّ، وكان يحضر دروسه أكابر العلماء. له مصنفات كثيرة، منها، انظر: الأعلام للزركلي (4/ 160).

(3) سلسلة الآداب، المنجد (5/ 20).

(4) انظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر (5/ 892).

(5) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي (8/ 228).

واستعمال العقل فيما يقربه إليه، وسماع الوعظ الذي يزجره عن غيه، فإذا فقد هذا كان كالبهائم أو أضلّ[1].

2- **جدلُ المسلمين:** وهو على نوعين، منه المذموم، ومنه المحمود:

أ- الجدل المذموم عند المسلمين:

هو القائم على طريقة أهل الأهواء والبدع، والذي يكون سببًا في التحول والانتقال من الإيمان إلى الكفر، ومن الهدى إلى الضلال، ومن السنة إلى البدعة، قال الله تعالى في المنافقين: **﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾** [الأنفال: 49]، وقال عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ: (مَنْ جَعَلَ دِينَهُ غَرَضًا لِلْخُصُومَاتِ، أَكْثَرَ التَّنَقُّلَ)[2].

ب- الجدل المحمود عند المسلمين: وهو على ثلاثة أنواع:

- **الجدل للوصول إلى التنازع:** فقد عابهم الله تعالى بكونهم من أهل الجدل، وذلك يدل على أن الجدل مذموم ما لم يحقق أهدافه من المشورة كما قال تعالى: **﴿وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾** [الأنفال: 46]، فنهى عن المنازعة[3].
- **الْجَدَلُ فِي الْحَقِّ بَعْدَ ظُهُورِهِ:** كَقَوْلِهِ تعالى: **﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ﴾** [الأنفال: 6].
- **الجدل الممدوح:** وهو تقرير الحق ودعوة الخلق إلى سبيل الله، والذب عن دين الله تعالى[4] كقوله تعالى: **﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾** [الأنفال: 67]، فهذه معاتبة من الله لرسوله وللمؤمنين يوم بدر، إذ أسروا المشركين وأبقوهم لأجل الفداء، وكان رأي: عمر بن الخطاب ﵁ (ت: 23) في هذه الحال، قتلهم واستئصالهم. فإذا أثخنوا، وبطل شرهم، واضمحل أمرهم، فحينئذ لا بأس بأخذ الأسرى منهم وإبقاءهم[5]، وقوله تعالى: **﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ [الأنفال: 1]**، فافتتحت السورة

---

(1) انظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ابن عجيبة (2/ 317).

(2) سنن الدارمي، الدارمي، باب من قال: العلم: الخشية وتقوى الله (1/ 342)، وقال حسين سليم أسد الداراني: إسناده صحيح، والتحول، انظر: مختار الصحاح، الرازي (ص: 318).

(3) اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين الحنبلي الدمشقي النعماني (3/ 405).

(4) انظر: التفسير الكبير، الرازي (5/ 320).

(5) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي (ص: 326).

بسؤالهم عن الأنفال وأخبروا أنها لله ورسوله، يحكم فيها ما يشاء **﴿فاتقوا الله﴾** واحذروا الأهواء التي أهلكت من قص عليكم ذكره **﴿وأصلحوا ذات بينكم﴾** برفع التنازع، وسلموا لله ولرسوله، وإلا لم تكونوا سامعين وقد أمرتم أن تسمعوا السماع الذي عنه ترجى الرحمة[1].

المطلب الثاني: أسلوب الأمر.

وفيه مطلبان:

أولًا: الأمر لغة واصطلاحا:

1- **تعريف الأمر لغة:** من أمر، وهو خمسة أصول: الأمر من الأمور، والأمر ضد النهي، والأمر النماء والبركة بفتح الميم، والمعلم، والعجب[2].
2- **تعريف الأمر اصطلاحا:** "هو طلب الفعل على جهة الاستعلاء"[3].

ثانيًا: الآيات الواردة في السورة بأسلوب الأمر:

1- عن أبي سعيد بن المعلى، قال: كنت أصلي في المسجد، فدعاني رسول الله ﷺ فلم أجبه، فقلت: يا رسول الله، إني كنت أصلي، فقال: "ألم يقل الله: **﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾** [الأنفال: 24]، ثُمَّ قَالَ لِي: **(لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ فِي القُرْآنِ، قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ)**، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ، قُلْتُ لَهُ: "أَلَمْ تَقُلْ لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي القُرْآنِ"، قَالَ: **﴿الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: 2]، هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي، وَالقُرْآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ)**[4]، وهذا فيه أن الأمر يقتضي الفور، وفيه استعمال صيغة العموم في الأحوال كلها[5]، قال الخطابي (ت: 388): "فيه دليل على أن الخصوص والعموم إذا تقابلا كان العام منزلا على الخاص"[6]، وهذه الآية

---

(1) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي (8/ 228).

(2) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (1/ 137).

(3) درج الدرر في تفسير الآي والسور، الجرجاني (2/ 35).

(4) صحيح البخاري، البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ما جاء في فاتحة الكتاب (6/ 17) رقم الحديث (4474).

(5) انظر: الأساليب النبوية في التعليم، علي بن نايف الشحود (ص: 211).

(6) أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري) (3/ 1797).

تدل على أن الأمر يفيد الوجوب؛ لأنها تدل على أنه لا بد من الإجابة في كل ما دعاه الله إليه.

2- قال الله تعالى: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾ **[الأنفال: 1]**، تأتي خصوصية هذه المجموعة من الآيات، في كون الأسئلة فيها قد صدرت من المسلمين موجهةً إلى النبي ﷺ، وهي أسئلة عن أمور تتعلق بالشريعة الإسلامية حلالها وحرامها، كما افتتح الجواب فيها جميعا بفعل الأمر "قل"، أي: أن الجواب صادر عن الله ﷻ، وقد أمر النبي ﷺ بنقل ذلك الجواب إليهم، والاستفهام في هذه الآيات جميعا استفهام حقيقي، أي: أن السائل غير عالم عما يسأل عنه[1].

3- "الأمر بالشيء نهي عن ضده، والنهي عن الشيء أمر بضده"[2]، ولا خلاف أن صيغة الأمر "افعل"، مغايرة الصيغة النهي "لا تفعل"؛ فيكون الأمر بالشيء نهيا عن ضده من جهة المعنى لا من جهة اللفظ، فالطلب له تعلق واحد بأمرين هما: فعل الشيء، والكف عن ضده، باعتبار الأول هو أمر، وباعتبار الثاني هو نهي؛ فإذا قال له: اسكن؛ فهذا أمر بالسكون نهي عن ضده وهو الحركة لقوله تعالى:﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (45) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (46) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ**﴾ [الأنفال: 45، 46، 47]، هذه الآيات تضمنت الأمر بجهاد الأعداء، والإرشاد إلى الأسباب التي ينبغي للجيوش والمجاهدين الأخذ بها، فمن أعظمها وأهمها أمران: الصبر، وهو الثبات التام وإبداء كل مجهود في تحصيل ذلك، والثاني: التوكل على الله، والتضرع إليه، والإكثار من ذكره، فمتى اجتمع الأمران على وجه الكمال والتكميل فقد أتى المجاهدون بالأسباب الوحيدة للنصر والفلاح، فليبشروا بنصر الله وليثقوا بوعده[3].

4- قال الله تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (70) وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾ [الأنفال: 70، 71]، في هاتين

(1) انظر: أساليب الجواب في القرآن الكريم، الساعدي (ص: 58).

(2) ميزان الأصول في نتائج العقول، السمرقندي (1/ 235).

(3) انظر: تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، السعدي (1/ 110).

الآيتين أمر للنبي ﷺ بمخاطبة الأسرى وتبشيرهم وإنذارهم: فإذا حسنت نياتهم وطهرت قلوبهم؛ فالله معوضهم خيرا مما أخذ منهم من الفداء، وغافر لهم ما أسلفوه وهو الغفور الرحيم، أما إذا أضمروا الخيانة لعهد النبي ﷺ؛ فليذكروا أنهم خانوا الله من قبل بوقوفهم موقف الكفر والأذى؛ فمكّن الله المسلمين منهم فنكلوا بهم، وهو العليم بكل شيء، الحكيم الذي يأمر بما فيه الصواب والحكمة[1].

5- قال الله تعالى: **﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾** [الأنفال: 39]، وهو أمر للمسلمين، وبيان لموقفهم الذي يقفونه من المشركين، وهو الجدّ في قتالهم، وأخذهم بالبأساء والضراء حتى تتكسر شوكتهم، وتضعف قوتهم، فلا تكون لهم يد على المؤمنين، ولا قوة على الوقوف في سبيل الله، وصدّ الناس عنه، وفتنتهم في دينهم، وحتى يكون الدين كله لله، لا شريك له مما يشرك به المشركون، وهذا الأمر الموجه للمسلمين هو احتراس من أن يهادنوا المشركين، ويدعوا أمرهم إلى الله، ليقضى فيهم قضاءه الذي قضاه في الظالمين من قبلهم[2]، والأمر بالقتال حتى يُسلموا، أو يلتزموا ما يؤدي بهم إلى الإسلام؛ يتبين أن القتال بأي دافع آخر كالوطنية والقومية ليس قتالًا في سبيل الله[3].

6- قال الله تعالى: **﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّنْ قُوَّةٍ﴾** [الأنفال: آية 60]، هذا الأمر كأنه يقول: أعدوا ما يكون في المستطاع من القوة كائنًا ما كان، مهما تطورت القوة، ومهما بلغت، فالمتواكلون العجزة الذين لا يعدون القوة متمردون على نظام السماء، مخالفون لأمر خالق السماوات والأرض: **﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾** [النور: 63]، ومن نظر في القرآن وجده جامعًا بين الأمرين: الأمر بالقوة والتقدم، مع المحافظة على الآداب الروحية[4].

---

(1) انظر: التفسير الحديث، دروزة محمد عزت (7/ 94).

(2) انظر: التفسير القرآني للقرآن، الخطيب (5/ 610).

(3) انظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي (2/ 473).

(4) انظر: العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، الشنقيطي (2/ 185).



الحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على من جاء بالهدى والبينات، وعلى آله وصحابته والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين:

أما بعد: فهذا ما ادخرت وسعا في الإصابة والسداد، حتى انتهيت من التوجيهات والأساليب المستنبطة من سورة الأنفال بأهم النتائج والتوصيات:

أهم النتائج:

1- المسلمون ملة واحدة، إذا لم يتوحدوا، توحدت عليهم ملة الكفر المتعددة، لهدم قلعة الإسلام.
2- ليس كل نزاع أو خلاف شرا؛ فخلاف الصحابة ﷺ كانت له نتائج تربوية في كل الخير.
3- العبرة بالقوة المعنوية، والإعداد المسبق، والأخذ بجميع الوسائل والأسباب؛ فالحديث عن الهزيمة المسبقة للخصم، تهزم معنوياته إلى درجة أنه يدرك الهلاك؛ فيقذف الله في قلوب أعداءه الرعب من مسيرة شهر، وكفى بهذا الشعور في تحطيم المعنويات.
4- لا يمكن أن تتم المصالحة الحقيقية بين الجماعات الإسلامية والأحزاب والفئات في العصر الحديث؛ إلا إذا تألفت قلوبهم بالحب والمحبة والألفة والمودة، وإلا كانت المصالح الدنيوية هي التي تجمعهم.
5- المسلم المجاهد لا بد له أن يحمل في جعبته سيفان: سيف بلسانه: يقصف به أهل البدع، وسيف في يده: يقاتل به الأعداء.
6- اهتمت السورة بإثبات أركان الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر خيره وشره.
7- اهتمت السورة بالنداء الإيماني على اختلاف الأوامر والنواهي.
8- اجتمع في المعذبين: الكفر بوجود الله ووحدانيته، وإنكار النعم التي أنعم الله بها عليهم.
9- بيان صلاة الأتقياء وصلاة المشركين، مع التفريق بين دعاء المؤمنين: بالتودد إلى الله، ودعاء الكافرين: بالتكبر على الله تعالى.
10- السبب جزء من التوكل، فمن طعن في التوكل، فقد طعن في الإيمان لأنه مقرون به.
11- كل هذه التغيرات التي حصلت مع رسوله ﷺ وصحابته الكرام، يرجع إلى سبب واحد، هو أنهم أردوا أن يغيروا واقع أمتهم الأليم؛ فغيرهم الله تعالى إلى الإيمان بالفضيلة والعزة.

12- القتال أمان من الفتن، لأن غاية القتال أن لا يكون شرك، ليتحقق للمسلمين حرية العقيدة، وحرية أدائهم لشعائرهم الدينية.

13- حياة المرء بالعلم من إنارة العقول بالاعتقاد الصحيح، والخلق الكريم، والدلالة على أن صلاح الفرد، أصل لصلاح الأسرة، وبهما معا يصلح المجتمع.

14- الخدعة في الحرب، لا في العهد والعهود والمواثيق والأمانات.

15- الخوف إذا تملك الإنسان فإنه ينهار في المعركة، فيهرب أو يختبئ، أو ربما لا يخرج للقتال من الأصل؛ فتنبع الشجاعة من غرائز فطرية، وتقويها التربية الجهادية.

16- جعل الله ثلاث حالات جاز فيها للمجاهدين الفرار من المعركة وهي: التحريف للقتال، والتحيز إلى فئة، ومما زاد على الضعف.

17- المكر والعداء يتعاون عليه شياطين الإنس والجن فيزين لهم مكرهم، ويموه الأباطيل فيتمادى في الضلال حتى يعمي أرباب الغفلة عن شهود صواب الرشد، وفي النهاية ﴿**وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ**﴾ [فاطر: 43].

18- توعية الخطباء والمثقفين بقضية وأحكام الأسرى، وكيفية التعامل معهم.

19- ختم الله السورة بالحض على الجهاد، وبذكر الموالاة؛ ليعلم كل فريقٍ وليه الذي يستعين به، وصلة الأرحام.



5- اعتماد القرآن الكريم منهجًا للحياة ابتداءً بالعقيدة والعبادة وانتهاءً بخلافة إسلامية، لذلك لا بد من فهم القرآن فهمًا تامًا.

6- محاولات استغلال الطاقات البشرية من خلال الكتابة والشعر والأناشيد، وإصدار الأفلام الوثائقية والتاريخية، وإنشاء كل وسيلة تربوية ترفع معنويات الأمة، وتحيي قضاياها العامة، وتدفع عدوها عن بلادها.

7- السبيل إلى تحرير الأقصى وأمة الإسلام: هو بالتعبئة الإيمانية والجهادية والعقلية والنفسية والمالية والإعلامية والعلمية والعسكرية.

8- الاهتمام والتأليف والبحث عن التوجيهات التربوية وأساليبها في القرآن كله، والعمل على نشرها لطلبة العلم.

فإنني إذ أضع رحالي في بحثي المتواضع، الذي عشت معه في سورة الأنفال.

أسأل الله العلي العظيم كما أعانني على تدبرها وتأملها وتفكرها، في مواضيعها ومعانيها وألفاظها وتوجيهاتها وأساليبها، أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن يأجرني ويتجاوز عني جهلي وتقصري وخطائي وزللي.

وأسأله تعالى أن يغفر لي ولوالدي ولأهلي ومشايخي وأمة الإسلام

اللهم إنا نسألك علما نافعا ورزقا طيبا وعملا متقبلا

اللهم علمنا ما ينفعنا وأنفعنا بما علمتنا وزدنا علما

اللهم يا معلم إبراهيم علمنا ويا مفهم سليمان فهمنا

وآخر دعوانا إن الحمد لله رب العالمين

وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحابته والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

الفهارس العامَّة للبحث

1- فهرس الآيات القرآنية.

2- فهرس الأحاديث النبوية

3- فهرس الأعلام والتراجم.

4- فهرس المصادر والمراجع

الفهارس، وتتضمن:

فهرس الآيات القرآنية.

طرف الآية	رقم لآية	رقم الصفحة
الفاتحة		
الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ	2	229
البقرة		
خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ	7	45
وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ	42	50
وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ	85	214
فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ	148	65
وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ	171	44
وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا	190	210
وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ	195	99، 99
كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا	216	54، 205
كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ	249	1
وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ	250	129، 124
وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي	260	60
سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ	285	25، 44

آل عمران		
رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا	8	46
قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ	12	182
وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ	68	121
لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ	92	98، 106
وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ	103	49، 100، 103، 103
وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ	117	75
وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ	133	65
سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ	151	171
فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ	159	113
إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ	160	115
إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا	173	60، 117
النساء		
وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ	36	153
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ	71	113
وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ	75	214
وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ	83	44
فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ	90	206

فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ	91	205
وَالصُّلْحُ خَيْرٌ	128	152
يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ	142	222
المائدة		
فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ	24	76، 159
وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ	51	40
الأعراف		
قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ	32	174
وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ	176	28
أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ	179	44
الأنفال		
يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ	1	16، 71، 71، 87، 118، 141، 143، 150، 228، 230، 42، 42، 50، 28، 26، 24، 20، 20
إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُم	2	23، 138، 58، 59، 59، 63، 65، 76، 97،

		112
الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ	3	55، 94، 97، 23، 65
أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ	4	80، 56، 88، 23، 65
كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ	5	71، 81
يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ	6	24، 228، 26، 54، 81
وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ	7	143
لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ	8	81
إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ	9	47، 47، 54، 72، 73، 127، 128
إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ	12	73، 170، 182، 211
ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ	13	50، 78، 79
ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ	14	79، 51، 88، 182
يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ	15	25، 89، 164، 198، 223
وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا	16	198، 79،

		164، 199، 199، 223
وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى	17	78
ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ	18	182، 222
وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ	19	55، 55، 55، 164
يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ	20	112، 25، 44، 77، 90، 164
وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ	21	165، 227
إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ	22	163
وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ	23	163
يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ	24	25، 45، 47، 72، 77، 78، 90، 229
وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ	25	23، 79، 138، 144، 144، 162
وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ	26	23، 36، 37، 126، 136، 218
يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ	27	25، 90
وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ	28	80، 145

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ	29	25، 55، 80، 90، 110، 110، 119
وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ	30	55، 219، 219، 221، 222
وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ	31	63، 76، 162، 220، 227
وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ	32	77، 130، 130، 227
وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ	33	26، 55، 55، 62، 77، 106، 111
وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ	34	36، 96، 120، 130
وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً	35	26، 55، 97
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ	36	26، 56، 79، 182
لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ	37	79
قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ	38	55، 88، 107، 140
وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا	39	55، 109، 142، 146،

فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ		186، 188، 204، 205، 231
وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ	40	204، 37، 147
وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ	41	71، 141، 153، 163
لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ	42	83
إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ	43	49
يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ	45	23، 171، 230، 25، 47، 58، 58، 90، 122، 122، 128
وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ	46	23، 47، 228، 47، 122، 48، 122، 49، 230، 77، 122، 124، 150، 165، 166
وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ	47	23، 47، 71، 230، 166
وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ	48	173، 175،

		182، 23
إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ	49	114، 115، 116، 175، 228
وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ	50	79، 172،
ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ	51	74
كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ	52	25، 75، 76، 79، 80، 163
ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ	53	133، 137، 140
كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ	54	75، 76، 80، 80، 163
إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ	55	78، 156
الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ	56	78، 155
فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ	57	182
وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ	58	157، 203
وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ	59	203، 182
أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ	60	22، 98، 98، 183، 194، 196، 26، 27، 30، 56، 79، 82، 86، 88

وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ	61	26، 113، 150، 203، 206
وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ	62	116، 204، 205، 222
وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ	63	50، 100، 106، 150
يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ	64	37، 116
يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ	65	22، 125، 125، 142، 172، 177، 185، 188
الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ	66	125، 172، 124، 125، 142، 200
مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ	67	26، 26، 78، 208، 228
لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ	68	83، 209
فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ	69	26، 118، 209
يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى	70	209، 230
وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ	71	230، 78،

عَلِيمٌ حَكِيمٌ		210،
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ	72	26، 153، 156، 27، 34، 34، 39، 39، 40
وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ	73	26، 34، 35، 37، 40، 41، 102، 147، 148
حَقًّا وأولئك هُمُ الْمُؤْمِنُونَ لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ	74	27، 65، 80، 109، 153
وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ	75	35، 39، 40، 153، 153،
التوبة		
بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ	1	30
فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ	5	147، 213
وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ	6	204
مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ	17	96
قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ	29	204
إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ	40	114

وَلَوْ أَرادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً	46	30
الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ	67	41
وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ	100	35، 110
وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ	105	67
أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا	124	60
هود		
وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ	102	222
يوسف		
وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا	36	141
يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ	39	141
مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ	40	141
يَاصَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا	41	141
الرعد		
إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ	11	136
الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ	28	59
بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ	33	221
لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ	34	221، 221
إبراهيم		

لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ	7	د
وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ	22	174
الحجر		
وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ	98،97	59
النحل		
قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ	26	221
وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ	125	50
الإسراء		
وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا	24	34
الكهف		
وَزِدْنَاهُمْ هُدًى	13	60
وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا	54	226
مريم		
وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى	76	60
الأنبياء		
بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ	5	63
وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ	38	131
وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً	72	14

إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ	92	213
الحج		
إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا	38	55، 222
أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ	39	205
وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ	40	192
إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ	83	213
النور		
فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ	63	231
الفرقان		
فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا	52	170
القصص		
فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ	79	174
العنكبوت		
وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ	148	65
الروم		
فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا	30	12
الأحزاب		
بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ	19	115

وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا	22	60
سبأ		
وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ	39	98
فاطر		
وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ	43	108، 221، 224، 233
الزمر		
فَبَشِّرْ عِبَادِ (17) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ	17، 18	44
اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ	23	59
الشورى		
قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى	23	154
الزخرف		
فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ	43	48
مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ	58	227
الجاثية		
وَيْلٌ لكل أَفَّاكٍ أَثِيمٍ	7، 8	44
محمد		
إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ	7	1، 47
وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ	17	60

الفتح		
لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ	4	60
تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ	16	146
الحجرات		
وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ	7	174
إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ	10	49، 152، 213
ق		
وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ	16	46
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ	37	44
الذاريات		
وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ	55	60
وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56)	56، 57	43
الطور		
وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ	48	223
القمر		
سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ	45	66، 182
بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ، وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ	46	128
فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ(54) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ	54، 55	66

الرحمن		
الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ	1، 2	178
الحديد		
إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا	18	98
الحشر		
وَمَآ أَفَآءَ الله على رَسُولِهِ مِنْهُمْ	6	15
لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ	8، 9	35
كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ	16	174
الممتحنة		
لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ	8	204
الطلاق		
وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا	2، 3	116
وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ	3	114
المدثر		
وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا	31	60
الإنسان		
وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا	8	210
وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ	28	207

المطففين		
وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ	26	65
وقوله تعالى: كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ	14	45
الأعلى		
فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى (9) سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى	8- 10	60
الليل		
فَأَما مَن أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى	5- 10	82، 98
الزلزلة		
فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ	8	195
العاديات		
وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا	1	196
الشرح		
أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ	1	59

فهرس الأحاديث النبوية.

بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ سَبْعًا هَلْ تُنْظَرُونَ إِلاَّ إِلَى فَقْرٍ	الترمذي	حسن غريب	46
احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ	أحمد	صحيح	47
عَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ	ابن ماجة	صحيح	48
تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ	مالك	حسن	48، 66
نُصِرْتُ بِالصَّبَا، وَأُهْلِكَتْ عَادٌ بِالدَّبُورِ	مسلم	صحيح	49
الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا	البخاري	صحيح	49
مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ	مسلم	صحيح	49
يا أبا جهل بن هشام يا أمية بن خلف	مسلم	صحيح	53
بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم	مسلم	صحيح	65
اجْلِسْ بِنَا نُؤْمِنْ سَاعَةً	البخاري	صحيح	60
إِنَّ مِنْ أَكْمَلِ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا	الترمذي	حديث حسن	60
الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً	البخاري	صحيح	60
قَالَ: لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ	مسلم	صحيح	61
وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ	مسلم	صحيح	61
إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا	الترمذي	حسن غريب	62
كان فيهم أمانان: نبيُّ الله والاستغفار	الترمذي	حسن غريب	62، 107
إِنَّ الشَّيْطَانَ قَالَ: وَعِزَّتِكَ يَا رَبِّ لَا أَبْرَحُ أُغْوِي عِبَادَكَ مَا دَامَتْ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ	الحاكم	صحيح الإسناد	63
اللهُمَّ الرَّفِيقَ الْأَعْلَى	البخاري	صحيح	66

مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ، أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ	البخاري	صحيح	66
قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ	مسلم	صحيح	66
أَيُّهَا الْمَلِكُ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ	أحمد	إسناده حسن	67، 134
"فَنَدَبَنَا عُمَرُ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْنَا النُّعْمَانَ بْنَ مُقَرِّنٍ	البخاري	صحيح	68، 135
طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ	البخاري	صحيح	68
بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ	مسلم	صحيح	70
مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ العُلْيَا	البخاري	صحيح	71، 147
اللهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي	مسلم	صحيح	72، 127
هَذَا جِبْرِيلُ، آخِذٌ بِرَأْسِ فَرَسِهِ، عَلَيْهِ أَدَاةُ الحَرْبِ	البخاري	صحيح	73
صَدَقْتَ، ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ	مسلم	صحيح	73، 128
مَا تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيكُمْ، قَالَ:	البخاري	صحيح	73
هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمْ رَبُّكُمْ حَقًّا	البخاري	صحيح	75
إِذَا رَأَيْتُ أُمَّتِي تَهَابُ فَلَا تَقُولُ لِلظَّالِمِ يَا ظَالِمُ	الحاكم	صحيح الإسناد	76
لاَ نَقُولُ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى:فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا	البخاري	صحيح	88
أمرنا رسولُ الله ﷺ يوماً أن نَتَصَدَّقَ	أبو داود	حسن	77
وَيْحَكِ، أَوَهَبِلْتِ، أَوَ جَنَّةٌ وَاحِدَةٌ هِيَ	البخاري	صحيح	81
اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ	البخاري	صحيح	82
يَسِّرَا وَلاَ تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلاَ تُنَفِّرَا، وَتَطَاوَعَا وَلاَ تَخْتَلِفَا	البخاري	صحيح	87

كَانَتِ الْعَرَبُ تَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرَاةً	مسلم	صحيح	95
انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا	البخاري	صحيح	102، 214
يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ، أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمُ اللَّهُ بِي	البخاري	صحيح	102
الْمُؤْمِنُ يَأْلَفُ وَيُؤْلَفُ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْلَفُ	الطبراني	حسن	103
اقْرَءُوا الْقُرْآنَ مَا ائْتَلَفَتْ قُلُوبُكُمْ	البخاري	صحيح	103
ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي الأَرْضِ	البخاري	صحيح	104
خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ	مسلم	صحيح	104
الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ	البخاري	صحيح	104
بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، أَيْنَ سُوقُكُمْ	البخاري	صحيح	104
مَنْ أَحْسَنَ فِي الْإِسْلَامِ لَمْ يُؤَاخَذْ بِمَا عَمِلَ	البخاري	صحيح	108
الْإِسْلَامُ يَجُبُّ مَا قَبْلَهُ وَالتَّوْبَةُ تَجُبُّ مَا كَانَ قَبْلَهَا	أحمد	حسن	108
المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ	البخاري	صحيح	110
مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا	البخاري	صحيح	113
أَقْبَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى إِذَا كُنَّا بِذَاتِ الرِّقَاعِ	مسلم	صحيح	114
مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ	البخاري	صحيح	121
إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ	البخاري	صحيح	121
الصَّبْرُ نِصْفُ الإِيمَانِ وَالْيَقِينُ الإِيمَانُ	الطبراني	رواة الصحيح	123
أَيُّهَا النَّاسُ، لاَ تَمَنَّوْا لِقَاءَ العَدُوِّ، وَسَلُوا اللَّهَ العَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا	البخاري	صحيح	123، 187، 206

لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ [الأنفال: 65]، شَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ	البخاري	صحيح	125
وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا	أحمد	صحيح	126
اللَّهُمَّ إِنِّي أَنْشُدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ	البخاري	صحيح	128
اللهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ	مسلم	صحيح	129
اللهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ، اللهُمَّ لَا قَابِضَ لِمَا بَسَطْتَ	أحمد	رجاله ثقات	129
قال الله تعالى على لسان أَبي جَهْلٍ: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ﴾ [الأنفال: 32]،	البخاري	صحيح	130
كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ	البخاري	صحيح	135
وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالمَعْرُوفِ	الترمذي	حسن	139
لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ	البخاري	صحيح	139
إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الْمُنْكَرَ لَا يُغَيِّرُونَهُ	ابن ماجه	صحيح	139
إِنَّ اللهَ لَا يُعَذِّبُ الْعَامَّةَ بِعَمَلِ الْخَاصَّةِ	الطبراني	رجاله ثقات	139
أَتَاهُ رَجُلاَنِ فِي فِتْنَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ فَقَالاَ	البخاري	صحيح	146
فَعَلْنَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَانَ الإِسْلاَمُ قَلِيلًا	البخاري	صحيح	146
أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ	البخاري	صحيح	146، 186، 205
يَا أُسَامَةُ، أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ	البخاري	صحيح	147
آخى رَسُول الله ﷺ بَين أَصْحَابه وَورث بَعضهم من بعض حَتَّى نزلت	الطبراني	رجاله رجال الصحيح	153

فكان الأعرابيُّ لا يرثُ المُهاجِرَ، ولا يرثُه المهاجرُ	أبو داود	حسن صحيح	153
هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ أَيْنَ ذَهَبَ؟ إِنَّمَا كَانَ الْمُهَاجِرُونَ	الحاكم	صحيح	153
إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ، أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الْآخَرِ، كِتَابُ اللهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ	أحمد	صحيح بشواهده	154
ابْدَأْ بِنَفْسِكَ فَتَصَدَّقْ عَلَيْهَا	مسلم	صحيح	154
يَا رَسُولَ اللهِ، "امْضِ لِمَا أُمِرْتَ بِهِ فَنَحْنُ مَعَكَ	البخاري	صحيح	159
فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، لَوْ سِرْتَ بِنَا إِلَى بَرْكِ الْغِمَادِ	أحمد	إسناده صحيح	160
جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ، وَأَنْفُسِكُمْ، وَأَلْسِنَتِكُمْ	أحمد	إسناده صحيح	170، 188
أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ قَبْلِي	البخاري	صحيح	171
كَرَمُ الْمُؤْمِنِ تَقْوَاهُ، وَدِينُهُ حَسَبُهُ، وَمُرُوءَتُهُ خُلُقُهُ	مالك	حسن صحيح	177
فَمَا تَعُدُّونَ الصُّرَعَةَ فِيكُمْ	مسلم	صحيح	178
شَاهَتِ الْوُجُوهُ	أحمد	رجاله ثقات	178
يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى	ابو داود	حسن	179، 192
أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَخَذَ سَيْفًا يَوْمَ أُحُدٍ فَقَالَ	مسلم	صحيح	187
لَصَوْتُ أَبِي طَلْحَةَ فِي الْجَيْشِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ رَجُلٍ	الحاكم	رواته ثقات	188
بَايَعْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ بَيْعَةَ الْحَرْبِ	أحمد	صحيح	190
مَنْ يُؤْوِينِي، مَنْ يَنْصُرُنِي حَتَّى أُبَلِّغَ رِسَالَاتِ رَبِّي	أحمد	صحيح	190
أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ	مسلم	صحيح	194
ارْمُوا بَنِي إِسْمَاعِيلَ، فَإِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ رَامِيًا ارْمُوا	البخاري	صحيح	194

الحديث	المصدر	الحكم	الصفحة
مَنْ رَمَى الْعَدُوَّ بسَهْمٍ، فَبَلَغَ سَهْمُهُ الْعَدُوَّ	ابن ماجة	صحيح	194
الخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الخَيْرُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ	البخاري	صحيح	195
مَنِ احْتَبَسَ فَرَسًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِيمَانًا بِاللَّهِ	البخاري	صحيح	195
سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَيُّ العَمَلِ أَفْضَلُ؟	البخاري	صحيح	195
أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَابَقَ بَيْنَ الخَيْلِ الَّتِي أُضْمِرَتْ	البخاري	صحيح	196
اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ	البخاري	صحيح	198
لا، بل أنتم العَكَّارون، أنا فِئتُكم، وأنا فِئَةُ المسلمين	أحمد	إسناده صحيح	199
أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيَّ الْقَيُّومَ	أبو داود	صحيح	201
أَخْرِجُوا المُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ العَرَبِ	البخاري	صحيح	204
لَمَّا كَانَ يَوْمُ "بَدْرٍ" وَالْتَقَوْا؛ فَهَزَمَ اللَّهُ الْمُشْرِكِينَ	مسلم	صحيح	208
بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ خَيْلًا قِبَلَ نَجْدٍ	البخاري	صحيح	260، 210
عُرِضْنَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ قُرَيْظَةَ	أحمد	إسناده صحيح	212
قَتَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ ثَلَاثَةً صَبْرًا	الطبراني	رجاله ثقات	213، 211
الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ	مسلم	صحيح	213
فُكُّوا العَانِيَ، يَعْنِي: الأَسِيرَ، وَأَطْعِمُوا الجَائِعَ	البخاري	صحيح	215
قُلْتُ لِعَلِيٍّ ﷺ: هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ	البخاري	صحيح	215
اعْلَمْ أَنَّ كُلَّ أَسِيرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي أَيْدِي	البوصيري	حسن	215
اللَّهُمَّ نَجِّ عَيَّاشَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ	البخاري	صحيح	218

تَشَاوَرَتْ قُرَيْشٌ بِمَكَّةَ، ودَخَلُوا فِي دَارِ النَّدْوَةِ	الصنعاني	صحيح	219
إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ	البخاري	صحيح	222
الحَرْبُ خَدْعَةٌ	البخاري	صحيح	223
مَنْ جَعَلَ دِينَهُ غَرَضًا لِلْخُصُومَاتِ، أَكْثَرَ التَّنَقُّلَ	الدارمي	إسناده صحيح	228
لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ فِي القُرْآنِ	البخاري	صحيح	229

فهرس الأعلام والتراجم.

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1- **الإبانة الكبرى،** ابن بطة أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العكبري المعروف بابن بطة العكبري (ت: 387هـ)، تحقيق: رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل، والوليد بن سيف النصر، وحمد التويجري، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، عدد الأجزاء: 9.

2- **اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر،** أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، الناشر: طبع بإذن رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية برقم 951/ 5، وتاريخ 1406/8/5، ط1، 1407هـ-1986م، عدد الأجزاء: 3.

3- **إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس،** ابن زيدان عبد الرحمن بن محمد السجلماسي (ت: 1365)، تحقيق: الدكتور علي عمر، بقسم التأريخ والحضارة الإسلامية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة- جمهورية مصر العربية، ط1، 1429 هـ- 2008 م، عدد الأجزاء: 5.

4- **إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة،** أبو العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايماز بن عثمان البوصيري الكناني الشافعي (ت: 840هـ)، تقديم: فضيلة الشيخ الدكتور أحمد معبد عبد الكريم، تحقيق: دار المشكاة للبحث العلمي بإشراف أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: دار الوطن للنشر، الرياض، ط1، 1420هـ- 1999م، عدد الأجزاء: 9 (8 ومجلد فهارس).

5- **الإتقان في علوم القرآن،** عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1394هـ- 1974 م، عدد الأجزاء: 4.

6- **الآثار التربوية لدراسة اللغة العربية،** خالد بن حامد الحازمي، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، طالعدد (121)، 1424هـ، عدد الأجزاء: 1.

7- **آثار المثل الأعلى**- دراسة عقدية- (ماجستير)، د. عيسى بن عبد الله السعدي، فرع جامعة أم القرى بالطائف، كلية التربية- قسم الدراسات الإسلامية.

8- **الأحكام السلطانية،** أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت: 450هـ)، دار الحديث – القاهرة، عدد الأجزاء: 1.

9- **الأحكام الشرعية الكبرى،** عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسين بن سعيد إبراهيم الأزدي، الأندلسي الأشبيلي، المعروف بابن الخراط (ت: 581هـ)، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة، مكتبة الرشد- السعودية- الرياض، ط1، 1422هـ- 2001م، عدد الأجزاء: 5.

10- **أحكام القرآن،** القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (ت: 543هـ)، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط3، 1424 هـ- 2003 م، عدد الأجزاء: 4.

11- **اختلاف الدارين وآثاره في أحكام الشريعة الإسلامية** (دكتوراه منشورة)، عبد العزيز بن مبروك الأحمدي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1424هـ- 2004م، عدد الأجزاء: 2.

12- **الاختيار لتعليل المختار،** عبد الله بن محمود بن الموصلي البلدحي، مجد الدين أبو الفضل الحنفي (ت: 683هـ)، عليها تعليقات: الشيخ محمود أبو دقيقة، الناشر: مطبعة الحلبي- القاهرة (وصورتها دار الكتب العلمية- بيروت، وغيرها)، تاريخ النشر: 1356 هـ- 1937 م، عدد الأجزاء: 5.

13- **أخطاء ابن خلدون في كتابه المقدمة** (دراسة نقدية تحليلية هادفة)، (دكتوراه غير منشورة)، د. خالد كبير علال، جامعة الجزائر-، دار الإمام مالك ط1،-البليدة-الجزائر--1426هـ-2005م.

14- **الأخلاق الإسلامية وأسسها،** عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني(ت: 1423)، دار القلم سورية، ط6، 1423هـ، عدد الأجزاء: 2.

15- **أخلاق القرآن الصبر،** د. عبد الوهاب عزام، مجلة الرسالة، أحمد حسن الزيات باشا (ت: 1388هـ)، عدد الأعداد: 1025 عددا (على مدار 21 عاما).

16- **الآداب الشرعية والمنح المرعية،** محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الرامينى ثم الصالحي الحنبلي (ت: 763هـ)، الناشر: عالم الكتب، عدد الأجزاء: 3.

17- **ارتباط النفاق بالعقلانية والإصلاح،** محمد جلال القصاص موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة، علي بن نايف الشحود، بدون طبعة، بدون سنة النشر.

18- **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: 982هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

19- **الأساس في التفسير**، سعيد حوى (ت 1409 هـ)، دار السلام – القاهرة، ط6، 1424 هـ، عدد الأجزاء: 11.

20- **أساليب الجواب في القرآن الكريم** (ماجستير منشورة)،، مهدي راضي عبد السادة الساعدي، مجلس كلية الآداب في جامعة بغداد، إشراف: الأستاذ الدكتور: فائز طه عمر، 1423هـ- 2002م.

21- **الأساليب النبوية في التعليم**، جمع وإعداد: علي بن نايف الشحود، دار المعمور، ط1، 1430 هـ- 2009 م

22- **أسباب النصر في سورة الأنفال**، عبد الحميد محمود طماز، دار القلم والدار الشامية، ط1، 1412هـ – 1992م، عدد الأجزاء: 1.

23- **أسباب نزول القرآن**، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: 468هـ)، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، الناشر: دار الإصلاح – الدمام، ط2، 1412 هـ- 1992 م، عدد الأجزاء: 1.

24- **الاستقامة**، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: 728هـ)، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود- المدينة المنورة، ط1، 1403، عدد الأجزاء: 2.

25- **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت: 463هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1412 هـ- 1992 م، عدد الأجزاء: 4.

26- **أسرار ترتيب القرآن**، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، الناشر: دار الفضيلة للنشر والتوزيع، عدد الأجزاء: 1.

27- **الأسلوب**، أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، ط12، 2003، عدد الأجزاء: 1.

28- **الإصابة في تمييز الصحابة**، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: 852هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1415 هـ، عدد الأجزاء: 8.

29- **إصلاح الشعوب أولا**، عيد بطاح الدويهيس، بدون طبعة، بدون سنة النشر.

30- **إصلاح المنطق**، ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (ت: 244هـ)، تحقيق: محمد مرعب، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1423 هـ- 2002 م، عدد الأجزاء: 1.

31- **إصلاح ذات البين**، سلمان بن يحي المالكي، موسوعة البحوث والمقالات العلمية، جمع وإعداد: علي بن نايف الشحود، بدون طبعة، بدون سنة النشر.

32- أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، عبد الرحمن النحلاوي، الناشر: دار الفكر، ط25، 1428هـ-2007م، عدد الأجزاء: 1.

33- **أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان**، مؤسسة الرسالة، ط9، 1421هـ-2001م، عدد الأجزاء: 1.

34- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت: 1393هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، عام النشر: 1415 هـ- 1995 مـ، عدد الأجزاء: 7.

35- **اعتقاد أهل السنة**، عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن جبرين، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، بدون طبعة، بدون سنة النشر.

36- **أعلام الحديث** (شرح صحيح البخاري) أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي (ت 388 هـ)، تحقيق: د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، الناشر: جامعة أم القرى (مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي)، ط1، 1409 هـ- 1988 م، عدد الأجزاء: 4.

37- **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين بن قيم الجوزية (ت: 751هـ)،تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1411هـ- 1991م، عدد الأجزاء: 4.

38- **الأعلام**، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: 1396هـ)، دار العلم للملايين، ط15، 2002 م، عدد الأجزاء: 8.

39- افتتاحية موقع المسلم، أ. د. ناصر بن سليمان العمر، عام النشر: 1424/3/5، بدون طبعة، بدون سنة النشر.

40- **الاقتداء بالصالحين من السلف الصالح**، موقف القرآن الكريم من اليهود والنصارى، جمع وإعداد: علي بن نايف الشحود، بدون طبعة، بدون سنة النشر.

41- **الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء**، سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الكلاعي الحميري، أبو الربيع (ت: 634هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1420 هـ، عدد الأجزاء: 2.

42- **الأم**، الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (ت: 204هـ)، الناشر: دار المعرفة – بيروت، بدون طبعة، 1410هـ-1990م، عدد الأجزاء: 8.

43- **إمتاع الفضلاء بتراجم القراء فيما بعد القرن الثامن الهجري**، إلياس بن أحمد حسين- الشهير بالساعاتي- بن سليمان بن مقبول علي البرماوي، تقديم: فضيلة المقرئ الشيخ محمد تميم الزعبي، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1421 هـ- 2000 م، عدد الأجزاء: 2.

44- **الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف** (المطبوع مع المقنع والشرح الكبير)، علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان بن أحمد المرداوي (ت: 885 هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، ود. عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة- جمهورية مصر العربية، ط1، 1415 هـ- 1995 م، عدد الأجزاء: 30.

45- **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: 685هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط1- 1418 هـ، عدد الأجزاء: 5.

46- **الأنوار الساطعات لآيات جامعات أو البرهان المحكم في أن القرآن يدي للتي هي أقوم**، عبد العزيز بن محمد السلمان، ط4، تاريخ النشر 1411، عدد الأجزاء: 2.

47- **آيات التقوى في القرآن الكريم**، الدكتور: حسين علي خليف الجبوري، تاريخ النشر 17 نوفمبر 2011.

48- **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط5، 1424هـ-2003م، عدد الأجزاء: 5.

49- **أيسر التفاسير**، أسعد حومد، سنة النشر: 1419 – 2009، ط 4، عدد الصفحات: 1617. عدد الأجزاء: 3.

50- **البحث الدلالي في إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود** (ت 982 هـ)، (دكتوراه غير منشور)، زينب عبد الحسين بلال السلطاني، مجلس كلية التربية للبنات في جامعة بغداد، إشراف: الأستاذ الدكتور كريم حسين ناصح الخالدي، بدون طبعة، بدون سنة النشر.

51- **بحر العلوم**، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت: 373هـ)، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ط 1، 1413هـ، 1993م، عدد الأجزاء: 2.

52- **البحر المحيط في التفسير**، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: 745هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، 1420 هـ، عدد الأجزاء: 10.

53- **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2002 م- 1423 هـ، عدد الأجزاء: 8.

54- **بداية المجتهد ونهاية المقتصد**، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد (ت: 595هـ)، الناشر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط4، 1395هـ-1975م، عدد الأجزاء: 2.

55- **البداية والنهاية**، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: 774هـ)، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1408، هـ- 1988 م، عدد الأجزاء: 14.

56- **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع**، علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي (ت: 587هـ)، دار الكتب العلمية، ط2، 1406هـ- 1986م، عدد الأجزاء: 7.

57- **بدائع الفوائد**، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، عدد الأجزاء: 4.

58- **بذل المجهود في حل سنن أبي داود**، الشيخ خليل أحمد السهارنفوري (ت: 1346 هـ)، اعتني به وعلق عليه: الأستاذ الدكتور تقي الدين الندوي، مركز الشيخ أبي الحسن الندوي للبحوث والدراسات الإسلامية، الهند، ط1، 1427 هـ- 2006 م، عدد الأجزاء: 14.

59- **البرهان في تناسب سور القرآن**، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (ت: 708هـ)، تحقيق: محمد شعباني، دار النشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغرب، عام النشر: 1410 هـ- 1990 م، عدد الأجزاء: 1.

60- **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: 817هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية- لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، عدد الأجزاء: 6.

61- **بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية**، تقي الدين أبو العباس أحمد ابن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: 728هـ)، تحقيق: موسى الدويش، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط3، 1415هـ-1995م، عدد الأجزاء: 1.

62- **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية - لبنان- صيدا، عدد الأجزاء: 2.

63- **البناية شرح الهداية**، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (ت: 855هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت، لبنان، ط1، 1420 هـ- 2000 م، عدد الأجزاء: 13.

64- **بيان المعاني [مرتب حسب ترتيب النزول]**، عبد القادر بن ملا حويش السيد محمود آل غازي العاني (ت: 1398هـ)، مطبعة الترقي - دمشق، ط1، 1382 هـ- 1965 م.

65- **تاج العروس من جواهر القاموس**، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (ت: 1205هـ)، تحقيق: مجموعة من تحقيقين، الناشر: دار الهداية، عدد الأجزاء: 20.

66- **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت: 748هـ)، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2003 م، عدد الأجزاء: 15.

67- **تاريخ الأمم والملوك**، محمد بن جرير الطبري أبو جعفر، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1407، عدد الأجزاء: 5.

68- **تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري**، محمد بن جرير بن يزيد ابن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: 310هـ)، وصلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، ت: (369هـ)، الناشر: دار التراث - بيروت، ط2، 1387 هـ، عدد الأجزاء: 11.

69- **تاريخ دمشق**، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت: 571هـ)، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: 1415 هـ- 1995 م، عدد الأجزاء: 80.

70- **تتمة الأعلام للزركلي،** محمد خير رمضان يوسف، ط2، 1422 هـ.، الناشر: دار ابن حزم، بيروت، عدد الأجزاء: 3.
71- **تحذير أهل الإيمان عن الحكم بغير ما أنزل الرحمن،** أبو هبة الله إسماعيل بن إبراهيم الخطيب الحسني الإسعردي الأزهري السلفي، الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط3، 1407هـ، عدد الأجزاء: 1.
72- **التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد،** محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: 1393هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، 1984 هـ، عدد الأجزاء: 30.
73- **تخريج أحاديث وآثار كتاب في ظلال القرآن،** لسيد قطب، علوي بن عبد القادر السقاف، دار الهجرة للنشر والتوزيع، ط2، 1416 هـ- 1995 م، عدد الأجزاء: 1.
74- **تراجم موجزة للأعلام،** موقع وزارة الأوقاف المصرية.
75- **التربية الإسلامية وتحديات العصر،** عبد الرحمن بن عبد الله الفاضل، تاريخ النشر: 1427هـ، 2007م، جامعة أم القرى، عدد الأجزاء: 1.
76- **التربية الجهادية في الإسلام من خلال سورة الأنفال،** (رسالة ماجستير)، بعنوان: للباحث: أحمد تالي إدريس، إشراف د/ عنتر لطفي محمد، سنة الحصول: 1989 – 1410، كلية التربية، جامعة أم القرى مكة، السعودية.
77- **التربية الجهادية في ضوء الكتاب والسنة،** عبد العزيز بن ناصر الجليل، تاريخ النشر: 1425هـ، 2004م، ط1، عدد الأجزاء: 1.
78- **التربية الجهادية،** سلمان العودة، موقع إسلام ويب.
79- **التربية الذاتية من الكتاب والسنة،** د. هاشم علي الأهدل، المفصل في شرح آية لا إكراه في الدين، علي بن نايف الشحود، بدون طبعة، بدون سنة النشر.
80- **التربية السلوكية في ضوء القرآن الكريم،** أ. د. مصطفى رجب، البحوث التربوية في مجلة البيان، جمع وإعداد: علي بن نايف الشحود، بدون طبعة، بدون سنة النشر.
81- **التربية العقدية للعسكرية في القرآن الكريم،** الأستاذ المساعد: خالد بن إبراهيم الدبيان، تاريخ النشر، 1427هـ-2006م، عدد الأجزاء: 1.
82- **التربية القيادية،** منير الغضبان، دار الوفاء، ط4، الجزء الأول، 1426هـ – 2005م.
83- **تزكية النفوس،** أحمد فريد، دار العقيدة للتراث – الإسكندرية، 1413 هـ- 1993 م، عدد الأجزاء: 1.

84- **تسهيل العقيدة الإسلامية**، عبد الله بن عبد العزيز بن حمادة الجبرين، دار العصيمي للنشر والتوزيع، ط2، عدد الأجزاء: 1.
85- **التسهيل لعلوم التنزيل**، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت: 741هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، ط1، 1416 هـ، عدد الأجزاء: 2.
86- **تصحيح المفاهيم في جوانب العقيدة** (السنة الحادية عشرة، العدد الثاني)، أبو أحمد محمد أمان بن علي جامي علي (ت: 1415هـ)، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط11، العدد الثاني غرة ذي الحجة عام 1398هـ-1978م، عدد الأجزاء: 1.
87- **التعيين في شرح الأربعين**، سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي الصرصري، أبو الربيع، نجم الدين (ت: 716 هـ)، تحقيق: أحمد حاج محمد عثمان، الناشر: مؤسسة الريان (بيروت- لبنان)، المكتبة المكية (مكة- المملكة العربية السعودية)، ط1، 1419 هـ- 1998 م، عدد الأجزاء: 1.
88- **تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن**، محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الحسني الحسيني الإيجي الشافعي (ت: 905هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1424 هـ- 2004 م، عدد الأجزاء: 4.
89- **التفسير البسيط**، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: 468هـ)، أصل تحقيقه في (15) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ط1، 1430 هـ25، عدد الأجزاء: 24.
90- **التفسير التربوي للقرن الكريم**، أنور الباز، دار النشر للجامعات- مصر، 1428هـ – 2007م، عدد الأجزاء: 3.
91- **تفسير التستري**، أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التستري (ت: 283هـ)، جمعها: أبو بكر محمد البلدي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1423 هـ، عدد الأجزاء: 1.
92- **تفسير الجلالين**، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (ت: 864هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: 911هـ)، الناشر: دار الحديث – القاهرة، ط1، عدد الأجزاء: 1.
93- **التفسير الحديث "مرتب حسب ترتيب النزول"**، دروزة محمد عزت، الناشر: دار إحياء الكتب العربية – القاهرة، ط1383 هـ، عدد الأجزاء: 10.

94- **تفسير السلمي وهو حقائق التفسير**، أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى الأزدي السلمي، تحقيق سيد عمران، الناشر دار الكتب العلمية، 1421 هـ- 2001 م، مكان النشر: لبنان- بيروت، عدد الأجزاء 2.

95- **تفسير السدي الكبير**، إسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير أبو محمد، تحقيق: محمد عطا يوسف، الناشر: دار الوفاء، سنة النشر: 1414 - 1993، عدد المجلدات: 1.

96- **تفسير الشعراوي**، محمد متولي الشعراوي (ت: 1418هـ)، الناشر: مطابع أخبار اليوم، عدد الأجزاء: 20.

97- **تفسير الشيخ أحمد حطيبة**، الشيخ الطبيب أحمد حطيبة، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.

98- **تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي)**، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (ت: 660هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم - بيروت، ط1، 1416هـ- 1996م، عدد الأجزاء: 3.

99- **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت: 1354هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990 م، عدد الأجزاء: 12.

100- **تفسير القرآن العزيز**، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زمنين المالكي (ت: 399هـ)، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة- محمد بن مصطفى الكنز، الناشر: الفاروق الحديثة- مصر- القاهرة، ط1، 1423هـ- 2002م، عدد الأجزاء: 5.

101- **تفسير القرآن العظيم المنسوب للإمام الطبراني**، الناشر: دار الكتاب الثقافي- الأردن - إربد، ط1، 2008م، عدد الأجزاء: 6.

102- **تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم**، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت: 327هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز- المملكة العربية السعودية، ط3،- 1419 هـ، عدد الأجزاء: 9.

103- **تفسير القرآن العظيم**، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: 774هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ- 1999 م، عدد الأجزاء: 8.

104- **تفسير القرآن الكريم (ابن القيم)**، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين بن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، الناشر: دار ومكتبة الهلال – بيروت، ط1، 1410 هـ، عدد الأجزاء: 1.

105- **تفسير القرآن الكريم «سورة سبأ»**، محمد بن صالح العثيمين، الناشر: مؤسسة الشيخ محمد ابن صالح العثيمين الخيرية، المملكة العربية السعودية، ط1، 1436 هـ، عدد الأجزاء: 1.

106- **تفسير القرآن الكريم**، محمد أحمد إسماعيل المقدم. دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية http://www.islamweb.net، [الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس- 204 درسا]، تاريخ الإضافة: 18 مايو 2011 م.

107- **تفسير القرآن الكريم**، محمد المنتصر بالله بن محمد الكتاني الإدريسي الحسني (ت: 1419هـ)، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، http://www.islamweb.net، [الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس- 357 درسا.

108- **تفسير القرآن، أبو المظفر**، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت: 489هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض – السعودية، ط1، 1418هـ- 1997م.

109- **التفسير القرآني للقرآن**، عبد الكريم يونس الخطيب (ت: بعد 1390هـ)، دار الفكر العربي – القاهرة، ط1، تاريخ النشر: 1390هـ- 1970م، عدد الأجزاء:5.

110- **تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)**، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت: 333هـ)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية- بيروت، لبنان، ط1، 1426 هـ- 2005 م، عدد الأجزاء: 10.

111- **التفسير المأمون على منهج التنزيل والصحيح المسنون**، الأستاذ الدكتور مأمون حموش، المدقق اللغوي: أحمد راتب حموش، الناشر: (المؤلف)، ط1، 1428 هـ- 2007 م، عدد الأجزاء: 8.

112- **تفسير الماوردي = النكت والعيون**، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت: 450هـ)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، عدد الأجزاء: 6.

113- **تفسير المراغي**، أحمد بن مصطفى المراغي (ت: 1371هـ)، مطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط1، 1365 هـ- 1946 م، عدد الأجزاء: 30.

114- **التفسير الميسر**، نخبة من أساتذة التفسير، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – السعودية، ط2، 1430هـ- 2009 م، عدد الأجزاء: 1.

115- **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ط1، (1393 هـ = 1973 م)-(1414 هـ = 1993 م)، عدد الأجزاء: 10 مجلدات.

116- **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، ط1، عدد الأجزاء: 15.

117- **التفسير الوسيط**، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر – دمشق، ط1، 1422 هـ، عدد الأجزاء: 3.

118- **تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**، الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، ط1، 1421 هـ- 2001 م، عدد الأجزاء: 33 (32 ومجلد للمقدمة).

119- **تفسير عبد الرزاق**، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (ت: 211هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت.، ط1، سنة 1419هـ، عدد الأجزاء: 3.

120- **تفسير غريب القرآن**، كاملة بنت محمد بن جاسم بن علي آل جهام الكواري، الناشر: دار ابن حزم، ط1، 2008، عدد الأجزاء: 1.

121- **تفسير مجاهد**، أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (ت: 104هـ)، تحقيق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، ط1، 1410 هـ- 1989 م، عدد الأجزاء: 1.

122- **تفسير مقاتل بن سليمان**، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي، تحقيق: أحمد فريد، دار الكتب العلمية- لبنان- بيروت، 1424 هـ- 2003 م، ط1، عدد الأجزاء3.

123- **تكملة معجم المؤلفين**، وفيات، محمد خير بن رمضان بن إسماعيل يوسف، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط1، 1418 هـ- 1997 م، عدد الأجزاء: 1.

124- **التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية،** الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني (ت: 650 هـ)، مطبعة دار الكتب، القاهرة، عدد الأجزاء: 6.

125- **التناسق الموضوعي في سورة الأنفال** (ماجستير منشورة)، بدر إبراهيم الذيابي، جامعة أم القرى السعودية، 1433هـ.

126- **تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين وتحذير السالكين من أفعال الجاهلين،** محيي الدين أبو زكريا أحمد بن إبراهيم ابن النحاس الدمشقي (ت: 814 هـ)، حققه وعلق عليه: عماد الدين عباس سعيد، إشراف: المكتب السلفي لتحقيق التراث، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان. ط1، 1407 هـ- 1987 م، عدد الأجزاء: 1.

127- **تنزيه القرآن عن المطاعن،** القاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني الأسد أبادي، أبو الحسين المعتزلي (ت: 415هـ)، دار النهضة الحديثة – بيروت، عام النشر: 1426هـ- 2005 م، عدد الأجزاء: 1.

128- **تهذيب الأسماء واللغات،** أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: 676هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، عدد الأجزاء: 4.

129- **تهذيب اللغة،** محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت: 370هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001م، عدد الأجزاء: 8.

130- **التوجيهات التربوية المتضمنة في سورة المجادلة** (ماجستير غير منشورة)، سعيد بن موسى بن عيدان العمري، جامعة أم القرى السعودية، سنة 1424هـ.

131- **التوجيهات التربوية وأساليبها المستنبطة من سورة الممتحنة** (ماجستير غير منشورة)، للباحث: محمد ناصر عبد القادر مصطفى، إشراف أ. د/ عبد السلام حمدان عودة اللوح، الجامعة الإسلامية – غزة، كلية أصول الدين، 1441هـ – 2019م.

132- **التوجيهات التربوية وأساليبها المستنبطة من سورة محمد**(ماجستير غير منشورة)، للباحث: جهاد زياد محمد أبو نعمة، إشراف: د/ زهدي محمد أبو نعمة، الجامعة الإسلامية – غزة، كلية أصول الدين، 1441هـ – 2019م.

133- **التوضيح الرشيد في شرح التوحيد المذيل بالتفنيد لشبهات العنيد،** أبو عبد الله خلدون ابن محمود بن نغوي الحقوي، عدد الأجزاء: 1.

134- **توفيق الرحمن في دروس القرآن،** فيصل بن عبد العزيز بن فيصل ابن حمد المبارك الحريملي النجدي (ت: 1376هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل محمد، الناشر: دار العاصمة، المملكة العربية السعودية- الرياض،

دار العليان للنشر والتوزيع، القصيم – بريدة، ط1، 1416 هـ- 1996 م، عدد الأجزاء: 4.

135- **التوقيف على مهمات التعاريف**، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين ابن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت: 1031هـ)، الناشر: عالم الكتب- القاهرة، ط1، 1410هـ-1990م، عدد الأجزاء: 1.

136- **تيسير التفسير**، إبراهيم القطان (ت: 1404هـ)، تاريخ النشر 1982م، عدد الأجزاء: 4.

137- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: 1376هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1 1420هـ-2000 م، عدد الأجزاء: 1.

138- **تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن**، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر ابن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (ت: 1376هـ)، الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد- المملكة العربية السعودية، ط1، 1422هـ، عدد الصفحات: 368، عدد الأجزاء: 1.

139- **تيسير الوصول إلى قواعد الأصول ومعاقد الفصول**، عبد المؤمن البغدادي الحنبلي (658- 739هـ)، شرح: عبد الله بن صالح الفوزان، ط2، عدد الأجزاء: 1.

140- **التيسير في أحاديث التفسير**، محمد المكي الناصري (ت: 1414هـ)، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، ط1، 1405 هـ- 1985 م، عدد الأجزاء: 6.

141- **الثبات والشمول في الشريعة الإسلامية** (دكتوراه منشورة)، الدكتور عابد بن محمد السفياني، مكتبة المنارة، مكة المكرمة- المملكة العربية السعودية، ط1، 1408 هـ- 1988 م، عدد الأجزاء: 1.

142- **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: 310هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط1، 1422 هـ- 2001 م، عدد الأجزاء: 26.

143- **جامع الرسائل**، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله ابن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: 728هـ)، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، الناشر: دار العطاء – الرياض، ط1، 1422هـ- 2001م، عدد الأجزاء: 2.

144- **الجامع الصحيح للسنن والمسانيد**، صهيب عبد الجبار، تاريخ النشر: 2014م، غير مطبوع، عدد الأجزاء: 38.
145- **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم**، زين الدين عبد الرحمن ابن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (ت: 795هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط- إبراهيم باجس، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، ط7، 1422هـ- 2001م، عدد الأجزاء: 2.
146- **الجامع الكبير سنن الترمذي**، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت: 279هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، 1998 م، عدد الأجزاء: 6.
147- **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري**، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط1، 1422هـ، عدد الأجزاء: 9.
148- **الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي**، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: 671هـ)، أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط2، 1384هـ- 1964 م، عدد الأجزاء: 20.
149- **الجامع لشعب الإيمان**، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد بالرياض، بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي، ط1، 1423 هـ- 2003 م، عدد الأجزاء: 14.
150- **جامع لطائف التفسير**، عبد الرحمن بن محمد القماش، تاريخ الإضافة 11/ يوليو/ 2011 م، عدد الأجزاء: 20.
151- **جمهرة اللغة**، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت: 321هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1987م، عدد الأجزاء: 3.
152- **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت: 875هـ)، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط1، 1418 هـ، عدد الأجزاء: 5.

153- **حاشية رد المختار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار فقه أبو حنيفة**، ابن عابد محمد علاء الدين أفندى، دار الفكر للطباعة والنشر، 1421هـ- 2000م، مكان النشر: بيروت، عدد الأجزاء: 8.

154- **حاشيتا قليوبي وعميرة**، أحمد سلامة القليوبي، وأحمد البرلسي عميرة، دار الفكر- بيروت، عدد الأجزاء: 4، بدون طبعة، 1415هـ-1995م.

155- **الحصار وسبل مواجهته في ضوء القرآن الكريم "دراسة موضوعية"**، سامي جبر اشتيوي، (رسالة ماجستير)، اشراف الدكتور/ وليد محمد العمودي، الجامعة الإسلامية- غزة، كلية أصول الدين، (1438هـ- 2016م).

156- **حقيقة السحر وحكمه في الكتاب والسنة**، د عواد بن عبد الله المعتق، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط34، العدد 115، 1422هـ-2002م، عدد الأجزاء: 1.

157- **الخراج**، أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد بن حبتة الأنصاري (ت: 182هـ)، المكتبة الأزهرية للتراث، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، سعد حسن محمد، ط: طبعة جديدة مضبوطة- محققة ومفهرسة، أصح الطبعات، عدد الأجزاء: 1.

158- **الخلاصة في أحكام أهل الذمة**، علي بن نايف الشحود، بدون طبعة، بدون سنة النشر.

159- **خمسة آلاف مثل ومقولة من بلالد الشام**، زياد يوسف متى، الناشر: الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، تاريخ النشر: 1996، عدد الصفحات: 256، ط1، عدد الأجزاء: 1.

160- **الدر المنثور**، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، دار الفكر - بيروت، عدد الأجزاء: 8.

161- **الدراسات التحليلية لمقاصد وأهداف الحرب التاسع من القرآن** الكريم (الأنفال "41-75" والتوبة "1-33")، (ماجستير غير منشورة)، منال عوني عاشور، الجامعة الإسلامية- غزة، كلية أصول الدين، أشراف: أ. د عصام العبد زهد، 1439هـ- 2015م.

162- **دراسات في تميز الأمة الإسلامية وموقف المستشرقين منه**، إسحاق بن عبد الله السعدي، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط1، 1434 هـ- 2013 م، عدد الأجزاء: 2.

163- **دراسة موضوعية للحائية ولمعة الاعتقاد والواسطية**، عبد الرحيم بن صمايل العلياني السلمي، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية،

http://www.islamweb.net، الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس- 18 درسا].

164- **درج الدرر في تفسير الآي والسور**، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت: 471هـ)، محقق القسم الأول: طلعت صلاح الفرحان، محقق القسم الثاني: محمد أديب شكور أمرير، الناشر: دار الفكر - عمان، الأردن، ط1، 1430 هـ- 2009 م، عدد الأجزاء: 2.

165- **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: 852هـ)، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية، صيدر اباد- الهند، ط2، 1392هـ- 1972م، عدد الأجزاء: 6.

166- **الدرر المنتقاة من الكلمات الملقاة**، أمين بن عبد الله الشقاوي،، 1437 هـ- 2016 م، عدد الأجزاء: 9 أجزاء في 5 مجلدات.

167- دروس الشيخ حسن أبو الأشبال، حسن أبو الأشبال الزهيري، بدون طبعة، بدون سنة النشر.

168- **دروس للشيخ أبو إسحاق الحويني** الأثري حجازي محمد شريف، بدون طبعة، بدون سنة النشر.

169- **دروس للشيخ عبد الله الجلالي**، د. عبد الله بن حمد الجلالي، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.

170- **دروس للشيخ محمد حسان**، بدون طبعة، بدون سنة النشر.

171- **دروسٌ وعبرٌ من الهجرة النبوية**، علي بن نايف الشحود، بدون طبعة، بدون سنة النشر.

172- **الدعوة إلى الله بالمجادلة مفهومها ومشروعيتها وضوابطها**، د. إبراهيم بن صالح الحميدان، قسم الدعوة والاحتساب، كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود، الإسلامية الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل، علي بن نايف الشحود، بدون طبعة، بدون سنة النشر.

173- **ديوان أبي الأسود الدؤلي، أبو سعيد الحسن السكري** (ت: 290 هـ)، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، الناشر: دار ومكتبة الهلال- بيروت، لبنان، ط2، 1998 م- 1418 هـ، عدد الصفحات: 427.

174- **ديوان الإمام الشافعي،** أبى عبد الله محمد بن ادريس الشافعى، بدون طبعة، بدون سنة النشر.
175- **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر،** عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (ت: 808هـ)، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط2، 1408 هـ- 1988 م، عدد الأجزاء: 1.
176- **ديوان المعاني،** أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: نحو 395هـ)، الناشر: دار الجيل – بيروت، عدد الأجزاء: 2.
177- **ديوان على الجارم،** مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة القاهرة – مصر، سنة النشر: 2012، ط1، عدد الأجزاء: 1.
178- **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة،** أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي (ت: 703 هـ)، حققة: الدكتور إحسان عباس، الدكتور محمد ابن شريفة، الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 2012 م، عدد الأجزاء: 5.
179- **الرحيق المختوم،** صفي الرحمن المباركفوري (ت: 1427هـ)، دار الهلال- بيروت، ط1، عدد الأجزاء: 1.
180- **رسائل الإمام حسن البنا،** حسن البنا.
181- **ركائز الإيمان،** العلامة محمد قطب، حققه وخرج أحاديثه ونسقه: علي بن نايف الشحود، ط1، تاريخ النشر: 1430 هـ- 2009م، عدد الأجزاء: 1.
182- **روائع التفسير (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي)،** زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (ت: 795هـ)، جمع وترتيب: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، الناشر: دار العاصمة- المملكة العربية السعودية، ط1، 1422- 2001 م، عدد الأجزاء: 2.
183- **روح البيان،** إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي المولى أبو الفداء (ت: 1127هـ)، الناشر: دار الفكر – بيروت، عدد الأجزاء: 10.
184- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،** شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: 1270هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1415 هـ، عدد الأجزاء: 16.

185- **زاد المسير في علم التفسير**، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: 597هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط1- 1422 هـ، عدد الأجزاء: 4.

186- **زاد المعاد في هدي خير العباد**، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين بن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت- مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط27، 1415هـ-1994م، عدد الأجزاء: 5.

187- **زمن البغاث**، د. نورة السعد، الوقت وأهميته في حياة المسلم، علي بن نايف الشحود.

188- **زهرة التفاسير**، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت: 1394هـ)، دار الفكر العربي، عدد الأجزاء: 10.

189- **زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه**، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، مكتبة دار القلم والكتاب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1 1416هـ- 1996م، عدد الأجزاء: 1.

190- **سبل السلام من صحيح سيرة خير الأنام عليه الصلاة والسلام**، صالح بن طه عبد الواحد، راجعه: فضيلة الشيخ سليم بن عيد الهلالي، فضيلة الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: مكتبة الغرباء، الدار الأثرية، ط2، 1428 هـ، عدد الأجزاء: 1.

191- **السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير**، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت: 977هـ)، الناشر: مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة، عام النشر: 1285 هـ، عدد الأجزاء: 4.

192- **السراج المنير في ترتيب أحاديث صحيح الجامع الصغير**، الحافظ جلال الدين السيوطي، العلامة محمد ناصر الدين الألباني، رتبه وعلق عليه: عصام موسى هادي، دار الصديق توزيع مؤسسة الريان، ط3، 1430 هـ- 2009 م، عدد الأجزاء: 1.

193- **سلسلة الآداب**، محمد صالح المنجد، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.

194- **سلسلة الإيمان والكفر**، محمد أحمد إسماعيل المقدم، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.

195- **سلم الوصول إلى طبقات الفحول**، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني المعروف بـ «كاتب جلبي» وبـ «حاجي خليفة» (ت 1067 هـ)، تحقيق: محمود عبد القادر الأرناؤوط، إشراف وتقديم: أكمل الدين إحسان أوغلي، تدقيق: صالح سعداوي

صالح، إعداد الفهارس: صلاح الدين أويغور، الناشر: مكتبة إرسيكا، إستانبول – تركيا، عام النشر: 2010 م، عدد الأجزاء: 6.

196- **السنة،** أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال البغدادي الحنبلي (ت: 311هـ)، تحقيق: د. عطية الزهراني، دار الراية – الرياض، ط1، 1410هـ- 1989م، عدد الأجزاء: 7.

197- **سنن ابن ماجه** ت، ابن ماجة- وماجة اسم أبيه يزيد- أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت: 273هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط- عادل مرشد- محمد كامل قره بللي- عبد اللطيف حرز الله، الناشر: دار الرسالة العالمية، ط: 1، 1430 هـ- 2009 م، عدد الأجزاء: 5.

198- **سنن أبي داود،** أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (ت: 275هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط- محمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط1، 1430 هـ- 2009 م، عدد الأجزاء: 7.

199- **سنن الإعداد والتدافع،** د. محمد أمحزون، موقع طريق الإسلام.

200- **سنن النصر في ضوء سورة الأنفال وكيف ربي الرسول ﷺ أصحابه عليها** (دكتوراه منشورة)، جميلة أحمد محمود صقر، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية السودان، 1423هـ – 2002م.

201- **سير أعلام النبلاء،** شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت: 748هـ)، تحقيق: مجموعة من تحقيقين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط3، 1405 هـ- 1985 م، عدد الأجزاء: 25 (23 ومجلدان فهارس).

202- **السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة،** محمد بن محمد بن سويلم أبو شهبة (ت: 1403هـ)، الناشر: دار القلم – دمشق، ط8، 1427 هـ، عدد الأجزاء: 2.

203- **السيرة النبوية لابن هشام،** عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت: 213هـ)، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، الناشر: شركة الطباعة الفنية المتحدة، عدد الأجزاء: 2.

204- **السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني،** أحمد أحمد غلوش، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1424هـ- 2004م، عدد الأجزاء: 1.

205- **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، محمد بن محمد بن عمر بن علي بن سالم مخلوف (ت: 1360هـ)، علق عليه: عبد المجيد خيالي، الناشر: دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1424 هـ- 2003 م، عدد الأجزاء: 2.
206- **شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي**، أبو الأشبال حسن الزهيري آل مندوه المنصوري المصري.
207- **شرح الأشموني على ألفية ابن مالك**، علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدين الأشموني الشافعي (ت: 900هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط1، 1419هـ- 1998مـ، عدد الأجزاء: 4.
208- **شرح العقيدة الطحاوية**، صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد بن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (ت: 792هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط1، 1418 هـ، عدد الأجزاء: 1.
209- **شرح الكلمات وما ترشد إليه الآيات**، الشيخ محمد غازي الدروبي، بدون طبعة، بدون سنة النشر.
210- **شرح زاد المستقنع**، محمد بن محمد المختار الشنقيطي، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية http://www.islamweb.net، [الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس- 417 درسا]
211- **شرح سنن أبي داود**، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن حسين بن علي بن رسلان المقدسي الرملي الشافعي (ت: 844 هـ)، تحقيق: عدد من الباحثين بدار الفلاح بإشراف خالد الرباط، دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الفيوم- جمهورية مصر العربية، ط1، 1437 هـ- 2016 م، عدد الأجزاء: 20.
212- **شرح سنن أبي داود**، عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العباد البدر، تاريخ النشر: 2019، عدد الصفحات، 2537، عدد الأجزاء:3.
213- **شرح صحيح البخارى**، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت: 449هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد- السعودية، الرياض، ط2، 1423هـ- 2003م، عدد الأجزاء: 10.
214- **شرح مختصر خليل للخرشي**، محمد بن عبد الله الخرشي المالكي أبو عبد الله (ت: 1101هـ)، دار الفكر للطباعة – بيروت، بدون طبعة، وبدون تاريخ، عدد الأجزاء: 8.

215- **شرح نواقض الإسلام،** عبد الله بن عبد الرحمن السعد، {سلسلة تفريغ الدروس والمحاضرات للعلماء والدعاة}.

216- **شروط النهضة،** مالك بن الحاج عمر بن الخضر بن نبي (ت: 1393هـ)، تحقيق: (إشراف ندوة مالك بن نبي)، الناشر: دار الفكر-دمشق سورية، عام النشر: 1986م، عدد الأجزاء: 1.

217- **الشريعة،** أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري البغدادي (ت: 360هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، دار الوطن- الرياض- السعودية، ط2، 1420 هـ- 1999 م، عدد الأجزاء: 5.

218- **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل،** محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1398هـ- 1978م، عدد الأجزاء: 1.

219- **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية،** أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: 393هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط4، 1407هـ- 1987م، عدد الأجزاء: 11.

220- **صحيح ابن خزيمة،** أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (ت: 311هـ)، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، عدد الأجزاء: 4.

221- **صحيح الترغيب والترهيب،** محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض- المملكة العربية السعودية، ط1، 1421 هـ- 2000 م، عدد الأجزاء: 3.

222- **صحيح الجامع الصغير وزياداته،** أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (ت: 1420هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي، عدد الأجزاء: 2.

223- **الصحيح المسند من أسباب النزول،** مقبل بن هادي بن مقبل بن قائدة الهمداني الوادعي (ت: 1422هـ)، الناشر: مكتبة ابن تيمية- القاهرة، ط4، 1408هـ- 1987م، عدد الأجزاء: 1.

224- **صحيح سنن أبي داود،** الشيخ محمد ناصر الدين الألباني (ت: 1420 هـ)، الناشر: مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، ط1، 1423 هـ- 2002 م، عدد الأجزاء: 8.

225- **صحيح وضعيف تاريخ الطبري**، الإمام أبو جعفر بن جرير الطبري (224- 310 هـ)، تحقيق: محمد بن طاهر البرزنجي، راجعة: محمد صبحي حسن حلاق، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، ط1، 1428 هـ- 2007 م، عدد الأجزاء: 13.
226- **صحيح وضعيف سنن ابن ماجة**، محمد ناصر الدين الألباني (ت: 1420هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، سنة النشر: 1417 – 1997، ط 1، عدد الأجزاء: 4.
227- **صحيح وضعيف سنن أبي داود**، محمد ناصر الدين الألباني (ت: 1420هـ)، إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة، بالإسكندرية، قام بإعادة فهرسته وتنسيقه: أحمد عبد الله، عضو في ملتقى أهل الحديث.
228- **صحيح وضعيف سنن الترمذي**، محمد ناصر الدين الألباني (ت: 1420هـ)، مكتبة المعارف، سنة النشر: 1419 – 1998، ط 1، عدد الأجزاء: 4.
229- صفقة شاليط، https://ar.wikipedia.org/wiki/.
230- **صفوة التفاسير**، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، ط1، 1417 هـ- 1997 م، عدد الأجزاء: 3.
231- **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (ت: 902هـ)، منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت، عدد الأجزاء: 6.
232- **الضياء اللامع من الخطب الجوامع**، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت: 1421هـ)، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ط1، 1408هـ- 1988م، عدد الصفحات: 727، عدد الأجزاء: 1.
233- **طبقات الحفاظ**، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1403، عدد الأجزاء: 1.
234- **الطراز الأول والكناز لما عليه من لغة العرب المعول**، السيد/ علي بن أحمد بن محمد معصوم الحسيني المعروف بـ ابن معصوم المدني (ت 1120 هـ ق)، تحقيق: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قدم له بمقدمة ضافية، السيد: علي الشهرستاني، الناشر: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، عدد الأجزاء: 9 (مقدمة و8 أجزاء).
235- **الطريق إلى السعادة**، عيد الدويهيس، ط2، ربيع الأول 1412 هـ- سبتمبر 1991 م، المفصل في الرد على الحضارة الغربية، علي بن نايف الشحود.

236- **الطريق إلى القدس:** دراسة تاريخية في رصيد التجربة الإسلامية على أرض فلسطين، د. محسن محمد صالح، ط5، بيروت لبنان 2014م – 1433هـ، عدد الأجزاء: 1.

237- **طلبة الطلبة**، عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل، أبو حفص، نجم الدين النسفي (ت: 537هـ)، الناشر: المطبعة العامرة، مكتبة المثنى ببغداد، بدون طبعة، تاريخ النشر: 1311هـ، عدد الأجزاء: 1.

238- **عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين**، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين بن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، دار ابن كثير، دمشق، بيروت- مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط3، 1409هـ- 1989م، عدد الأجزاء: 1.

239- **عدة المريد الصادق**، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي، المعروف بـ زروق (ت: 899هـ)، تحقيق: الصادق بن عبد الرحمن الغرياني، دار ابن حزم، ط1، 1427 هـ- 2006 م، عدد الأجزاء: 1.

240- **العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير**، محمد الأمين بن محمد المختار ابن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت: 1393هـ)، تحقيق: خالد بن عثمان السبت، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، الناشر: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط2، 1426 هـ، عدد الأجزاء: 5.

241- **العزلة**، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (ت: 388هـ)، الناشر: المطبعة السلفية – القاهرة، ط2، 1399 هـ، عدد الأجزاء: 1.

242- **عقد الدرر فيما صح في فضائل السور**، أبو خالد أيمن بن عبد العزيز أبانمي، مركز الشرق، مطابع جامعة أم القرى، ط1، عدد الأجزاء: 1.

243- **العقيدة في الله**، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط12، 1419 هـ- 1999 م، عدد الأجزاء: 1.

244- **علماء الشام في القرن العشرين وجهودهم في ايقاظ الأمه**، محمد حامد الناصر، دار المعالي للطباعة، عدد الأجزاء: 1.

245- علوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع»، أحمد بن مصطفى المراغي (ت: 1371هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، ط 4، تاريخ النشر: 1422 هـ.، الصفحات: 399 عدد الأجزاء: 1.

246- **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف ابن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت: 756 هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط1، 1417 هـ- 1996 م، عدد الأجزاء: 4.

247- العمل للدين مسؤولية الجميع، عبد الوهاب الطريري، دروس صوتية عبر الشبكة الإسلامية.

248- **عوامل النصر والتمكين في دعوات المرسلين**، أحمد بن حمدان بن محمد الشهري، الناشر: الكتاب على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات، عدد صفحات: 148.

249- **غاية النهاية في طبقات القراء**، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت: 833هـ)، مكتبة ابن تيمية، ط1، 1351هـ، عدد الأجزاء: 3.

250- **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت: 850هـ)،تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلميه – بيروت، ط1- 1416 هـ.

251- **غربة الإسلام**، حمود بن عبد الله بن حمود بن عبد الرحمن التويجري (ت: 1413هـ)، حقق وعلق عليه: عبد الكريم بن حمود التويجري، الناشر: دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض- المملكة العربية السعودية، ط1، 1431 هـ- 2010 م، عدد الأجزاء: 2.

252- **غريب الحديث**، أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي، تحقيق: الدكتور حسين محمد محمد شرف، أستاذ بكلية دار العلوم، مراجعة: الأستاذ عبد السلام هارون، الأمين العام لمجمع اللغة العربية، الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ط1، 1404 هـ- 1984 م، عدد الأجزاء: 5.

253- **غريب الحديث**، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: 276هـ)، تحقيق: د. عبد الله الجبوري، الناشر: مطبعة العاني – بغداد، ط1، 1397، عدد الأجزاء: 3.

254- **غريب الحديث**، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: 597هـ)، تحقيق: الدكتور عبد المعطي أمين القلعجي، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت – لبنان، ط1، 1405 – 1985، عدد الأجزاء: 2.

255- **غريب القرآن لابن قتيبة**، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: 276هـ)، تحقيق: سعيد اللحام، عدد الأجزاء: 1.

256- **غيرة على حرمات الله**، علي بن عبد الخالق القرني، صوتيات، موقع: https://ar.islamway.net/lesson.

257- **الفائق في غريب الحديث والأثر**، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: 538هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار المعرفة – لبنان، ط2، عدد الأجزاء: 4.

258- **الفتاوى الكبرى لابن تيمية**، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: 728هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، ط1، 1408هـ- 1987م، عدد الأجزاء: 6.

259- **فتاوى دار الإفتاء المصرية**، دار الإفتاء المصرية.

260- **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة- بيروت، 1379، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، عدد الأجزاء: 13.

261- **فتح البيان في مقاصد القرآن**، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي (ت: 1307هـ)، وقدم له وراجعه: خادم العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا – بيروت، 1412 هـ- 1992 م، عدد الأجزاء: 15.

262- **فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن**، زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (ت: 926هـ)، تحقيق: محمد علي الصابوني، الناشر: دار القرآن الكريم، بيروت – لبنان، ط1، 1403 هـ- 1983 م، عدد الأجزاء: 1.

263- **فتح الرحمن في تفسير القرآن**، مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي (ت: 927 هـ)، اعتنى به تحقيقا وضبطا وتخريجا: نور الدين طالب، الناشر: دار النوادر (إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية- إدارة الشؤون الإسلامية)، ط1، 1430 هـ- 2009 م، عدد الأجزاء: 7.

264- **فتح القدير**، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: 1250هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب- دمشق، بيروت، ط1، 1414 هـ.

265- **فتح المجيد شرح كتاب التوحيد**، عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي (ت: 1285هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي، الناشر: مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، مصر، ط7، 1377هـ-1957م، عدد الأجزاء: 1.

266- **فتح المنعم شرح صحيح مسلم**، الأستاذ الدكتور موسى شاهين لاشين، الناشر: دار الشروق، ط1، 1423 هـ- 2002 م، عدد الأجزاء: 10.
267- **الفتن والملاحم وأشراط الساعة في بلال الشام "دراسة موضوعية في السنة النبوية"** (رسالة ماجستير منشورة)، بسام بن خليل الصفدي، مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية، دار الرسالة للنشر والتوزيع- القاهرة- مصر، ط1، (1437هـ- 2016م).
268- **الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية**، محمد بن علان الصديقي الشافعي الأشعري المكي (ت: 1057 هـ)، جمعية النشر والتأليف الأزهرية، عدد الأجزاء: 7.
269- **الفروق اللغوية**، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: نحو 395هـ)، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، عدد الأجزاء: 1.
270- **الفروق أو أنوار البروق في أنواء الفروق**، أبو العباس أحمد بن إدريس الصنهاجي القرافي 684هـ، تحقيق: خليل المنصور، الناشر: دار الكتب العلمية، سنة النشر: 1418هـ- 1998م، مكان النشر: بيروت، عدد الأجزاء: 4.
271- **فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب**، محمد نصر الدين محمد عويضة، تاريخ النشر، 2011، عدد الأجزاء: 10.
272- **فصل الخطاب في شرح مسائل الجاهلية** (مطبوع مع رسالة قطف الثمر لصديق حسن خان)، أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي الثناء الألوسي (ت: 1342هـ)، تقديم وتعليق: محب الدين الخطيب، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد- المملكة العربية السعودية، ط1، 1421هـ، عدد الأجزاء: 2.
273- **فقه الأدعية والأذكار**، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، الناشر: الكويت، ط2، 1423هـ-2003م، عدد الأجزاء: 3.
274- **فقه الحرب النفسية في ضوء سورة الأنفال**، د. أحمد قطران، كلية التربية- جامعة صنعاء، عدد الأجزاء: 1.
275- **فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري**، سعيد بن علي بن وهب القحطاني، الناشر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ط1، 1421هـ، عدد الصفحات: 1289، عدد الأجزاء: 2.
276- **فقه السنة**، سيد سابق (ت: 1420هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ط3، 1397 هـ- 1977 م، عدد الأجزاء: 3.

277- **فقه السيرة،** محمد الغزالي السقا (ت: 1416هـ)، الناشر: دار القلم - دمشق، تخريج الأحاديث: محمد ناصر الدين الألباني، ط1، 1427 هـ، عدد الأجزاء: 1.

278- **فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات،** محمد عبد الحي بن عبد الكبير ابن محمد الحسني الإدريسي، المعروف بعبد الحي الكتاني (ت: 1382هـ)، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار الغرب الإسلامي- بيروت ص. ب: 113-5787، ط2، 1982، عدد الأجزاء: 2.

279- **الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية،** نعمة الله ابن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان (ت: 920هـ)، الناشر: دار ركابي، مصر، ط1، 1419 هـ- 1999 م، عدد الأجزاء: 2.

280- **الفوائد العشر من حديث حذيفة كان الناس يسألون رسول الله عن الخير وكنت أسأله عن الشر،** أبو سيف خليل بن إبراهيم العبيدي العراقي، عدد الأجزاء: 1.

281- **الفوائد،** محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين بن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط2، 1393 هـ- 1973 م، عدد الأجزاء: 1.

282- **في ظلال الإيمان،** د. صلاح عبدالفتاح الخالدي، دار القلم - دمشق، ط4، 1434هـ- 2013م.

283- **في ظلال القرآن،** سيد قطب إبراهيم، دار الشروق، القاهرة، عدد الأجزاء: 6.

284- **في مواجهة الغزو الفكري ثلاثة أفكار في الميزان،** سلام حامد، موسوعة الغزو الفكري والثقافي وأثره على المسلمين، علي بن نايف الشحود، بدون طبعة، بدون سنة النشر.

285- **فيض الرحمن تفسير جواهر القرآن،** أبو يوسف محمد زايد، عدد الأجزاء: 2.

286- **فيض القدير شرح الجامع الصغير،** زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت: 1031هـ)، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى - مصر، ط1، 1356، عدد الأجزاء: 6.

287- **القرآن منهاج حياة،** غازي صبحي آق بيق، تنسيق الباحث في القرآن والسنة: علي بن نايف الشحود، بدون طبعة، بدون سنة النشر.

288- **قطف الأزهار في كشف الأسرار،** السيوطي، تحقيق د. أحمد محمد الحمادي، إصدار: وزرة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دولة قطر، الجزء الأول، ط1، 1414هـ - 1994م، عدد الأجزاء: 2.

289- **قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر**، أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد بن علي بامخرمة، الهجراني الحضرمي الشافعي (870- 947 هـ)، عني به: بو جمعة مكري، وخالد زواري، دار المنهاج – جدة، ط1، 1428 هـ- 2008 م، عدد الأجزاء: 6.

290- **قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد**، محمد بن علي بن عطية الحارثي، أبو طالب المكي (ت: 386هـ)، تحقيق: د. عاصم إبراهيم الكيالي، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، ط2، 1426 هـ-2005 م، عدد الأجزاء: 2.

291- **القول المعتبر في بيان الإعجاز للحروف المقطعة من فواتح السور**، إياس محمد حرب آل خطاب، الناشر: مطابع برنتك للطباعة والتغليف- السودان – الخرطوم، ط1، 2011، عدد الأجزاء: 1.

292- **الكبائر**، تنسب لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت: 748هـ)، دار الندوة الجديدة – بيروت، عدد الأجزاء: 1.

293- **كتاب 1213 سؤال وجواب في القرآن الكريم**، المصدر، أبو إسلام، موقع مكتبة صيد الفوائد.

294- **كتاب الألفاظ (أقدم معجم في المعاني)**، ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (ت: 244هـ)، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 1998م، عدد الأجزاء: 1.

295- **كتاب التعريفات**، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: 816هـ)، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ط1 1403هـ-1983م، عدد الأجزاء: 1.

296- **كتاب العين**، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: 170هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، عدد الأجزاء: 8.

297- **كتاب تفسير القرآن**، أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (ت: 319هـ)، قدم له الأستاذ الدكتور: عبد الله بن عبد المحسن التركي، حققه وعلق عليه الدكتور: سعد بن محمد السعد، دار النشر: دار المآثر- المدينة النبوية، ط1، 1423 هـ، 2002 م، عدد الأجزاء: 2.

298- **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، عدد الأجزاء4.

299- **كشف الأسرار شرح أصول البزدوي**، عبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدين البخاري الحنفي (ت: 730هـ)، دار الكتاب الإسلامي، طبدون طبعة وبدون تاريخ، عدد الأجزاء: 4.

300- **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت: 1094هـ)، تحقيق: عدنان درويش- محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت، عدد الأجزاء: 1.

301- **الكنى والأسماء**، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: 261هـ)، تحقيق: عبد الرحيم محمد أحمد القشقري، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1404هـ-1984م، عدد الأجزاء: 2.

302- **الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة**، نجم الدين محمد بن محمد الغزي (ت: 1061هـ)، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1418 هـ- 1997 م، عدد الأجزاء: 3.

303- **لباب الآداب**، أبو المظفر مؤيد الدولة مجد الدين أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني الكلبي الشيزري (ت: 584هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مكتبة السنة، القاهرة، ط2، 1407 هـ- 1987 م، عدد الأجزاء: 1.

304- **لباب التأويل في معاني التنزيل**، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت: 741هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1415 هـ، عدد الأجزاء: 4.

305- **اللباب في علوم الكتاب**، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت: 775هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، ط1، 1419 هـ-1998م، عدد الأجزاء: 20.

306- **لسان العرب**، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: 711هـ)، دار صادر - بيروت، ط3،- 1414 هـ، عدد الأجزاء: 15.

307- **لطائف الإشارات**، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت: 465هـ)، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة - مصر، ط3، عدد الأجزاء: 3.

308- **لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف**، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (ت: 795هـ)، دار ابن حزم للطبتعة والنشر، ط1، 1424هـ-2004م، عدد الأجزاء: 1.

309- **لقاء الباب المفتوح**، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت: 1421هـ)، دروس صوتية عبر موقع إسلام ويب.

310- **لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح**، عبد الحق بن سيف الدين بن سعد الله البخاري الدهلوي الحنفي ت (1052 هـ)، تحقيق وتعليق: أ. د. تقي الدين الندوي، دار النوادر، دمشق - سوريا، ط1، 1435 هـ- 2014 م، عدد الأجزاء: 10.

311- **ما البديل؟**، عبدالملك القاسم، دار القاسم، المفصل في فقه الدعوة إلى الله تعالى، علي ابن نايف الشحود، بدون طبعة، بدون سنة النشر.

312- **ما قاله الثقلان في أولياء الرحمن**، عبد الله بن جوران الخضير، تحقيق: عبد الله عبد الرحمن الراشد، دار التميز للنشر والتوزيع، ط1، 1426هـ- 2005م، عدد الأجزاء: 1.

313- **مالك بن نبي مفكر اجتماعي ورائد إصلاحي**، محمد العبدة، الناشر: دار القلم - دمشق، ط1، 1427 هـ- 2006 م، عدد الأجزاء: 1.

314- **مباحث في العقيدة**، أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار، مكتبة الرشيد، ط2، تاريخ النشر: 1426هـ - 2005م، عدد الأجزاء: 2.

315- **مباحث في علوم القرآن**، مناع بن خليل القطان (ت: 1420هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط3، 1421هـ- 2000م، عدد الأجزاء: 1.

316- **المبدع في شرح المقنع**، إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن مفلح، أبو إسحاق، برهان الدين (ت: 884هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1418 هـ- 1997 م، عدد الأجزاء: 8.

317- **المجتبى من مشكل إعراب القرآن**، أ. د. أحمد بن محمد الخراط، أبو بلال، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، عام النشر: 1426 هـ، عدد الأجزاء: 4.

318- **المجلة العربية**، المجلد 30،الأعداد 342-346، جامعة كاليفورنيا، الكتب ذات التنسيق الرقمي، 5 نيسان (إبريل) 2019.

319- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت: 807هـ)، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، 1414 هـ، 1994 م، عدد الأجزاء: 10.

320- **مجموع الفتاوى**، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت: 728هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: 1416هـ-1995م.

321- **محاسن التأويل**، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت: 1332هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميه - بيروت، ط1- 1418 هـ.

322- **المحتضرين**، أبو بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا(281 هـ)، تحقيق: فاضل بن خلف الحمادة الرقي، دار أطلس الخضراء - الرياض، ط1، 1433 هـ- 2012 م، عدد الأجزاء: 8.

323- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن ابن تمام الأندلسي المحاربي (ت: 542هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط1- 1422 هـ، عدد الأجزاء: 9.

324- **المحكم والمحيط الأعظم**، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: 458هـ]، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1421 هـ- 2000 م، عدد الأجزاء: 11.

325- **المحلى**، ابن حزم، تحقيق: احمد محمد شاكر، دار الفكر، عدد الأجزاء: 11.

326- **مختار الصحاح**، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت: 666هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية- الدار النموذجية، بيروت - صيدا، ط5، 1420هـ- 1999م، عدد الأجزاء: 1.

327- **مختصر العلامة خليل**، المؤلف: خليل بن إسحاق بن موسى، ضياء الدين الجندي المالكي المصري (ت: 776هـ)، تحقيق: أحمد جاد، الناشر: دار الحديث- القاهرة، ط1، 1426هـ- 2005مـ، عدد الأجزاء: 1.

328- **مختصر تفسير ابن كثير**، اختصار وتحقيق: محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت – لبنان، ط7، 1402 هـ- 1981 م، عدد الأجزاء: 3.

329- **المختصر في تفسير القرآن الكريم**، جماعة من علماء التفسير، مركز تفسير للدراسات القرآنية، ط4، تاريخ النشر:1439هـ، عدد الأجزاء: 1.

330- **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط3، 1416 هـ- 1996م، عدد الأجزاء: 2.

331- **المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية**، محمد جمال الدين محفوظ، الناشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1976جامعة ميتشيغان، 14 آب (أغسطس) 2006، عدد الصفحات 449.

332- **المذكر والمؤنث**، سعيد بن إبراهيم التستري، البغدادي، النصراني، أبو الحسين الكاتب (ت: 361هـ)، الناشر: مكتبة الخانجي الفاهرة – مصر، ط1، 1403هـ- 1983م، عدد الأجزاء: 8.

333- **المرأة الفلسطينية في دائرة الاستهداف الصهيوني**، م. إسماعيل عبد اللطيف الأشقر- أ. مؤمن محمد غازي بسيسو، تدقيق لغوي: أ. منير إقطيفان، ربيع الأول-1425هـ- مايو-2004م

334- **مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات**، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت: 456هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، عدد الأجزاء: 1.

335- **مرض فيروس كورونا**.https://ar.wikipedia.org/wiki/.

336- **المستدرك على الصحيحين**، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد ابن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت: 405هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1411 – 1990، عدد الأجزاء: 4.

337- **المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام**، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت: 728هـ)، جمعه ورتبه وطبعه على نفقته: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم (ت: 1421هـ)، ط، 1418 هـ، عدد الأجزاء: 5.

338- **المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام**، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت: 728هـ)، جمعه ورتبه وطبعه على نفقته: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم (ت: 1421هـ)، ط1، 1418 هـ، عدد الأجزاء: 5.

339- **المسلم بين الهوية الإسلامية والهوية الجاهلية**، جمع وإعداد: علي بن نايف الشحود.

340- **مسند أبي داود الطيالسي**، أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصرى (ت: 204هـ)، الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر – مصر، ط1، 1419 هـ- 1999 م، عدد الأجزاء: 4.

341- **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن أسد الشيباني (ت: 241هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط- عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421 هـ- 2001 م، عدد الأجزاء: 45.

342- **مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار**، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (ت: 292هـ)، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، (حقق الأجزاء من 1 إلى 9)، وعادل بن سعد (حقق الأجزاء من 10 إلى 17)، وصبري عبد الخالق الشافعي (حقق الجزء 18)، مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة، ط1، (بدأت 1988م، وانتهت 2009م)، عدد الأجزاء: 18.

343- مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن ابن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (ت: 255هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط1، 1412 هـ- 2000 م، عدد الأجزاء: 4.

344- **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ**، أبو الحسين مسلم ابن الحجاج القشيري النيسابوري ت: 261 هـ، تحقيق: مجموعة من تحقيقين، الناشر: دار الجيل – بيروت، ط: مصورة من الطبعة التركية المطبوعة في استانبول سنة 1334 هـ، عدد الأجزاء: 8.

345- **مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار**، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البستي (ت: 354هـ)، حققه ووثقه وعلق

عليه: مرزوق على إبراهيم، الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع – المنصورة، ط1 1411 هـ- 1991 م، عدد الأجزاء: 1.

346- **مشكاة المصابيح**، محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين، التبريزي (ت: 741هـ)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، ط3، 1985، عدد الأجزاء: 3.

347- **مشمولات مصرف في سبيل الله بنظرة معاصرة حسب الاعتبارات المختلفة**، د. عمر سليمان الأشقر ط1، دولة الكويت، 1988م.

348- **مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، ويسمى: "المقصد الأسمى في مطابقة اسم كل سورةٍ للمسمى"**، إبراهيم بن عمر بن حسن بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: 885هـ)، مكتبة المعارف – الرياض، ط1، 1408 هـ- 1987 م، عدد الأجزاء: 3.

349- **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت: نحو 770هـ)، المكتبة العلمية – بيروت، عدد الأجزاء: 2.

350- **المصباح المنير**، أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري، دراسة وتحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، عدد الأجزاء: 1.

351- **المصنف**، المؤلف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي 159 . 235 هـ، الناشر: دار القبلة، تحقيق: محمد عوامة، عدد الأجزاء: 21.

352- **المصنف**، عبد الرزاق بن همام الصنعاني ت (211هـ)، تحقيق: مركز البحوث بدار التأصيل، الناشر: دار التأصيل – القاهرة، ط1، 1436هـ- 2015م، عدد الأجزاء: 10- الجزء الأخير فهارس.

353- **المضامين التربوية المستنبطة من سورة الفتح وآثارها** (ماجستير غير منشورة)، للباحث: ياسر أبو هلال، إشراف د/ إبراهيم عيسى صيدم، الجامعة الإسلامية- غزة، كلية أصول الدين، سنة الحصول: 2018م – 1400هـ.

354- **المضامين التربوية المستنبطة من سورة محمد وآثارها** (ماجستير غير منشورة)، للباحث: أسامة عوني شعبان المقيد، إشراف: د/ وليد محمد حسن العامودي، الجامعة الإسلامية- غزة، كلية أصول الدين، سنة الحصول: 2018م – 1400هـ.

355- **مطالع الأنوار على صحاح الآثار**، إبراهيم بن يوسف بن أدهم الوهراني الحمزي، أبو إسحاق ابن قرقول (ت: 569هـ)، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث،

الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية- دولة قطر، ط1، 1433 هـ- 2012 م، عدد الأجزاء:6.

356- **معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول**، حافظ بن أحمد بن علي الحكمي (ت: 1377هـ)، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم – الدمام، ط1، 1410 هـ- 1990 م، عدد الأجزاء: 3.

357- **معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي**، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت: 510هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط:1، 1420 هـ، عدد الأجزاء: 5.

358- **معالم بيانية في آيات قرآنية**، أبو هاشم صالح بن عواد بن صالح المغامسي، بدون طبعة، بدون سنة النشر.

359- **معاني القرآن وإعرابه**، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت: 311هـ) تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، 1408 هـ- 1988 م، ط1، عدد الأجزاء: 5.

360- **معاني القرآن**، أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد (ت: 338هـ)، تحقيق: محمد علي الصابوني، الناشر: جامعة أم القرى- مكة المرمة، ط1، 1409، عدد الأجزاء: 1.

361- **معترك الأقران في إعجاز القرآن**، ويسمى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران)، عبد الرحمن ابن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، دار النشر: دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، ط1، 1408 هـ- 1988 م، عدد الأجزاء: 3.

362- **المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم** (مؤصل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها)، د. محمد حسن حسن جبل، مكتبة الآداب – القاهرة، ط1، 2010 م، عدد الأجزاء: 4 (في ترقيم واحد متسلسل).

363- **المعجم الأوسط**، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت: 360هـ)، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين – القاهرة، عدد الأجزاء: 10.

364- **معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين (محذوف الأشعار)**، فريق من الباحثين مذكورة أسماؤهم في خانة المؤلف، عدد الأجزاء: 1.

365- **المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين**، أعضاء ملتقى أهل الحديث، أعده للشاملة: أسامة بن الزهراء عضو في ملتقى أهل الحديث.

366- **معجم الشعراء العرب**، تم جمعه من موقع الموسوعة الشعرية، بدون طبعة، بدون سنة النشر.
367- **معجم الشيوخ الكبير للذهبي**، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت: 748هـ)، تحقيق: الدكتور محمد الحبيب الهيلة، مكتبة الصديق، الطائف- المملكة العربية السعودية، ط1، 1408 هـ- 1988 م، عدد الأجزاء: 2.
368- **المعجم الكبير**، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت: 360هـ)، حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، ط2، عدد الأجزاء:25.
369- **معجم اللغة العربية المعاصرة**، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: 1424هـ)، الناشر: عالم الكتب، ط1، 1429 هـ- 2008 م، عدد الأجزاء: 4.
370- **معجم المصطلحات المالية والاقتصادية في لغة الفقهاء**، نزيه حماد، دار القلم – دمشق، ط1، تاريخ النشر: 1429هـ- 2008م عدد الأجزاء: 1.
371- **معجم المفسرين "من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر"**، عادل نويهض، قدم له: مفتي الجمهورية اللبنانية الشيخ حسن خالد، الناشر: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان، ط3، 1409 هـ- 1988 م، عدد الأجزاء: 2.
372- **معجم لغة الفقهاء**، محمد رواس قلعجي، وحامد صادق قنيبي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1408 هـ- 1988 م، عدد الأجزاء: 1.
373- **معجم متن اللغة**، أحمد رضا، دار مكتبة الحياة – بيروت، 1380 هـ- 1960 م، عدد الأجزاء: 5.
374- **معجم مقاييس اللغة**، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: 395هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ- 1979م، عدد الأجزاء: 6.
375- **معوقات الخلافة الإسلامية وسبل إعادتها**، إعداد: د. سعد عبد الله عاشور، بحث مقدم إلى مؤتمر "الإسلام والتحديات المعاصرة" المنعقد بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية في الفترة: 2- 3/ 2007/4م.
376- **المغرب**، ناصر بن عبد السيد أبى المكارم ابن على، أبو الفتح، برهان الدين الخوارزمي المطرزى (ت: 610هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي، ط بدون طبعة وبدون تاريخ، عدد الأجزاء: 1.

377- **مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج**، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت: 977هـ)، دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ- 1994م، عدد الأجزاء: 6.

378- **المغني لابن قدامة**، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (ت: 620هـ)، مكتبة القاهرة، ط بدون طبعة، تاريخ النشر: 1388هـ- 1968م، عدد الأجزاء: 10.

379- **مفاتيح الغيب = التفسير الكبير**، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: 606هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط3، 1420 هـ، عدد الأجزاء: 32.

380- **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**، محمد بن أبي بكر بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، عدد الأجزاء: 2.

381- **المفردات في غريب القرآن**، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: 502هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية- دمشق بيروت، ط1- 1412 هـ، عدد الأجزاء 1.

382- **المفصل في الرد على الحضارة الغربية**، علي بن نايف الشحود، بدون طبعة، بدون سنة النشر.

383- **المفصل في موضوعات سور القرآن**، علي بن نايف الشحود، بدون طبعة، بدون سنة النشر.

384- **المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**، أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم الحافظ، الأنصاري القرطبي (ت 656 هـ).

385- **مفهوم الصبر عند ابن تيمية رحمه الله**، جمع: أبو حمزة الشامي، بدون طبعة، بدون سنة النشر.

386- **المقدمة في فقه العصر**، د. فضل بن عبد الله مراد، الناشر: الجيل الجديد ناشرون – صنعاء، ط2، 1437 هـ- 2016 م، عدد الأجزاء: 2.

387- **مكر الأعداء في القرآن الكريم**، موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة، جمع وإعداد: علي بن نايف الشحود، بدون طبعة، بدون سنة النشر.

388- **المكر**، (ماجستير غير منشورة)، إيمان عبد الوهاب فايز عبد الوهاب، إشراف: د. خضر سوندك جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2012م.

389- **مكفرات الخطايا،** أحمد بن عبد الرحمن الصويان، مجلة البيان (238 عددا)، تصدر عن المنتدى الإسلامي، ربيع الآخر- 1422هـ، يوليو- 2001م، عدد الأجزاء: 1.

390- **من أسباب تساقط الشباب،** أحمد العميرة، البحوث التربوية في مجلة البيان، جمع وإعداد: علي بن نايف الشحود، بدون طبعة، بدون سنة النشر.

391- **من الجوانب الفقهية في علاقة الإسلام بالغرب،** كلمة مقدمة إلى مؤتمر(نحن والآخر) المنعقد بدولة الكويت تحت رعاية وزارة الأوقاف، الدكتور صلاح الصاوي.

392- **من مواقف قريش المضادة للدعوة الإسلامية في مكة،** الخميس 13 شوال 1425هـ- 25نوفمبر 2004 م، مفكرة الإسلام، موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة، جمع وإعداد: علي بن نايف الشحود.

393- **من هدي سورة الأنفال،** محمد أمين المصري، دار الأرقم، الكويت، عدد الأجزاء: 1.

394- **مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها،** على أحمد مدكور، دار الفكر العربي، 1421هـ- 2001م، عدد الأجزاء: 1.

395- **مناهل العرفان في علوم القرآن،** محمد عبد العظيم الزرقاني (ت: 1367هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط3، عدد الأجزاء: 2.

396- **المنتخب في تفسير القرآن الكريم،** لجنة من علماء الأزهر، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية- مصر، طبع مؤسسة الأهرام، ط18، 1416 هـ- 1995 م، عدد الأجزاء: 1.

397- **منتخب من صحاح الجوهري،** أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: 393هـ)، غير مطبوع، بدون طبعة، بدون سنة النشر.

398- **منحة السلوك في شرح تحفة الملوك،** أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (ت: 855هـ)، تحقيق: د. أحمد عبد الرزاق الكبيسي، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – قطر، ط1، 1428هـ- 2007م، عدد الأجزاء: 1.

399- **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج،** أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: 676هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط2، 1392، عدد الأجزاء: 18.

400- **منهج التعرف إلى الله والتعريف به،** د. فريد الأنصاري، مجلة البيان (238 عددا)، تصدر عن المنتدى الإسلامي، شعبان- 1423هـ، نوفمبر- 2002م.

401- **منهجيات الإصلاح والتغير في سورتي الأنفال والتوبة**- دراسة موضوعية- (ماجستير غير منشورة)، عبد المؤمن إبراهيم الفقي، الجامعة الإسلامية – غزة، 1433هـ.

402- **المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي**، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين (ت: 874هـ)، حققه ووضع حواشيه: دكتور محمد محمد أمين، تقديم: دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، عدد الأجزاء: 7.

403- **المهمات في شرح الروضة والرافعي**، جمال الدين عبد الرحيم الإسنوي (ت: 772 هـ)، اعتنى به: أبو الفضل الدمياطي، أحمد بن علي، الناشر: مركز التراث الثقافي المغربي- الدار البيضاء- المملكة المغربية، دار ابن حزم- بيروت- لبنان، ط1، 1430 هـ- 2009 م، عدد الأجزاء: 10.

404- **الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية**، محماس بن عبد الله بن محمد الجلعود، دار اليقين للنشر والتوزيع، ط1، 1407 هـ- 1987 م، عدد الأجزاء: 2.

405- مواهب الجليل لشرح مختصر الخليل، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي، المعروف بالحطاب الرعيني (954هـ)، تحقيق: زكريا عميرات، الناشر: دار عالم الكتب، ط: طبعة خاصة، 1423هـ- 2003م، عدد الأجزاء: 8.

406- موسوعة الدفاع عن رسول الله ﷺ، جمعها وقدم لها ورتبها: علي بن نايف الشحود، بدون طبعة، بدون سنة النشر.

407- **الموسوعة العقدية**، مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف، عدد الأجزاء: 11، بدون طبعة، 1433 هـ.

408- **الموسوعة الفقهية الكويتية**، صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت، عدد الأجزاء: 45 جزءا، من 1404- 1427 هـ.

409- **الموسوعة القرآنية**، إبراهيم بن إسماعيل الأبياري (ت: 1414هـ)، الناشر: مؤسسة سجل العرب، 1405 هـ.

410- **موسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة**، مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف، بدون طبعة، بدون سنة النشر، عدد الأجزاء: 2.

411- **موسوعة فقه القلوب**، محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، الناشر: بيت الأفكار الدولية، عدد الأجزاء: 4.

412- **موسوعة مصطلحات ابن خلدون والشريف علي محمد الجرجاني**، رفيق العجم، عدد الأجزاء: 2، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، ط1، 2004 م.

413- **موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية**، أبو سهل محمد بن عبد الرحمن المغراوي، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، النبلاء للكتاب، مراكش – المغرب، ط1، عدد الأجزاء: 10.

414- **المورد العذب الزلال فيما انتقد على بعض المناهج الدعوية من العقائد والأعمال**، أحمد بن يحيى بن محمد النجمي، بدون طبعة، وبدون سنة النشر، عدد الأجزاء، 1.

415- **الموطأ**، مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (ت: 179هـ)، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، الناشر: مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية- أبو ظبي – الإمارات، ط1، 1425 هـ- 2004 م، عدد الأجزاء: 8.

416- **موقف القرآن الكريم من اليهود والنصارى**، جمع وإعداد: علي بن نايف الشحود، بدون طبعة، بدون سنة النشر.

417- **ميزان الأصول في نتائج العقول**، علاء الدين شمس النظر أبو بكر محمد بن أحمد السمرقندي (ت: 539 هـ)، حققه وعلق عليه وينشره لأول مرة: الدكتور محمد زكي عبد البر، الأستاذ بكلية الشريعة- جامعة قطر، ونائب رئيس محكمة النقض بمصر (سابقا)، مطابع الدوحة الحديثة، قطر، ط1، 1404 هـ- 1984 م، الناشر: دار عالم الكتب، 1423هـ- 2003م، عدد الأجزاء: 1.

418- **نداءات الرحمن لأهل الإيمان**، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط3، 1421هـ-2001م، عدد الأجزاء: 1.

419- **نزول القرآن الكريم والعناية به في عهد الرسول ﷺ**، محمد بن عبد الرحمن الشايع، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، عدد الأجزاء: 1.

420- **النظام المقطعي ودلالته في سورة الأنفال**-دراسة صوتية وصفية تحليلية- (ماجستير غير منشورة)، إلهام حبيب دياب أبو لباد، الجامعة الإسلامية غزة، كلية أصول الدين، 1433هـ.

421- **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، إبراهيم بن عمر بن حسن بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: 885هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، عدد الأجزاء: 22.

422- **النهاية في غريب الحديث والأثر**، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت: 606هـ)، المكتبة العلمية- بيروت، 1399هـ- 1979م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، ومحمود محمد الطناحي، عدد الأجزاء: 5.

423- **نور التقوى وظلمات المعاصي في ضوء الكتاب والسنة**، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، الناشر: مطبعة سفير، الرياض، توزيع: مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض، عدد الأجزاء: 1.

424- **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، أحمد بابا بن أحمد بن الفقيه الحاج أحمد بن عمر بن محمد التكروري التنبكتي السوداني، أبو العباس (ت: 1036 هـ)، عناية وتقديم: الدكتور عبد الحميد عبد الله الهرامة، الناشر: دار الكاتب، طرابلس – ليبيا، ط2، 2000 م، عدد الأجزاء: 1.

425- **نيل المرام من تفسير آيات الأحكام**، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي (ت: 1307هـ)، تحقيق: محمد حسن إسماعيل، وأحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، تاريخ النشر: 2003/01/30، عدد الأجزاء: 1.

426- **الهجرة النبوية المباركة**، د. عبد الرحمن البر، دار الكلمة – المنصورة- مصر، ط 1، عدد الأجزاء: 1.

427- **هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقا**، أبو أسامة، محمود محمد الخزندار (ت: 1422هـ)، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض- المملكة العربية السعودية، ط2، 1417 هـ- 1997 م، عدد الأجزاء: 1.

428- **هل تخلى الله عن أمة محمدٍ** ﷺ، إعداد: علي بن نايف الشحود، بدون طبعة، بدون سنة النشر.

429- **الواضح في علوم القرآن**، مصطفى ديب البغا، محيى الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، ودار العلوم الإنسانية – دمشق، ط2، 1418 هـ- 1998 م، عدد الأجزاء: 1.

430- الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت: 764هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوطي تركي مصطفى، دار إحياء التراث – بيروت، 1420هـ- 2000م، عدد الأجزاء: 29.

431- **واقعنا المعاصر**، محمد قطب، دار الشروق، ط1، 1418ﷺ – 1997م، عدد الأجزاء: 1.

432- **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: 468هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1415 هـ- 1994 م، عدد الأجزاء: 4.

433- **الولاء والبراء والعداء في الإسلام**، أبو فيصل البدراني، عدد الأجزاء: 1.

434- **ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن**، محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم، أبو عمر الزاهد المطرز الباوردي، المعروف بغلام ثعلب (ت: 345هـ)، حققه وقدم له محمد بن يعقوب التركستاني، الناشر: مكتبة العلوم والحكم – السعودية- المدينة المنورة، ط1، 1423هـ- 2002م، عدد الأجزاء: 1.